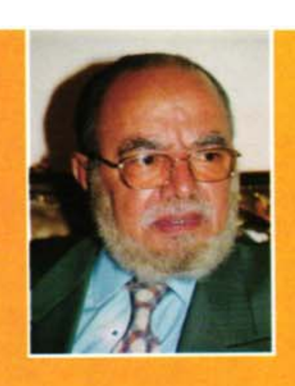


تأسست عام 1385 هـ-1965 م

الوعي الإسلامي

العدد 473 - السنة (42) - محرم 1426 هـ - فبراير / مارس 2005 م

د. الأحمدي أبوالنور:
مظاهر حضارية في السنة النبوية

هل يتبلور مفهوم جديد لعالمية الإسلام؟

المصارف الإسلامية ضرورة وأمل

أسس بناء الدولة الإسلامية بعد الهجرة

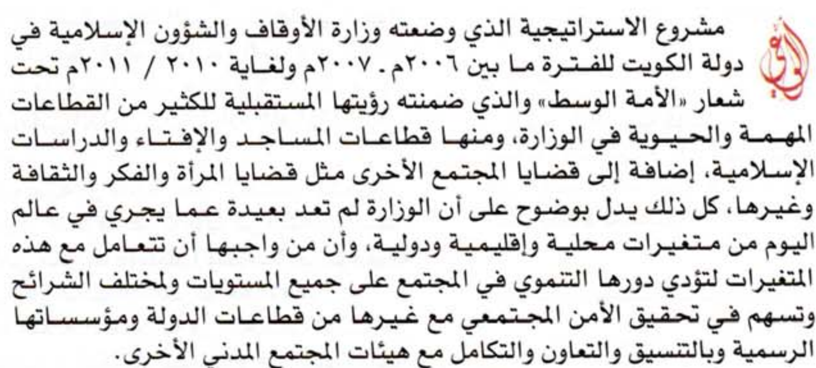
مآذن دمشق
عمارة عريقة وفن أصيل



صلاتي
شي أساسي بحياتي
نفائس
المشروع العلمي لتعزيز العبادات
إدارة الإعلام الديني
www.nafaess.com

الافتتاحية

مشروع استراتيجية الأوقاف... رؤية مستقبلية واضحة المعالم



مشروع الاستراتيجية الذي وضعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت للفترة ما بين ٢٠٠٦م - ٢٠٠٧م ولغاية ٢٠١٠ / ٢٠١١م تحت شعار «الأمة الوسط» والذي ضمنته رؤيتها المستقبلية للكثير من القطاعات المهمة والحيوية في الوزارة، ومنها قطاعات المساجد والإفتاء والدراسات الإسلامية، إضافة إلى قضايا المجتمع الأخرى مثل قضايا المرأة والفكر والثقافة وغيرها، كل ذلك يدل بوضوح على أن الوزارة لم تعد بعيدة عما يجري في عالم اليوم من متغيرات محلية وإقليمية ودولية، وأن من واجبها أن تتعامل مع هذه المتغيرات لتؤدي دورها التنموي في المجتمع على جميع المستويات ولمختلف الشرائح وتسهم في تحقيق الأمن المجتمعي مع غيرها من قطاعات الدولة ومؤسساتها الرسمية وبالتنسيق والتعاون والتكامل مع هيئات المجتمع المدني الأخرى.

إن تفعيل الدور المجتمعي لوزارات الأوقاف في الدول العربية والإسلامية في عالم يموج بالأفكار والمتغيرات والمصالح المادية، أمر في غاية الأهمية ومطلب جماهير الأمة كلها بعد أن ظل هذا الدور ولقرون عدة غائباً أو مغيَّباً عن قضايا الأمة، فقد آن الأوان لوزارات الأوقاف كي تكون على مستوى الأحداث والمستجدات على الساحة الإسلامية ولكي تسهم في تكوين الرأي العام الواعي التي يصلح الأمة ويرسخ الفضائل ويعزز الروح الإيجابية، ويحمي الشباب من الوقوع في مستنقع الإرهاب والأفكار المتطرفة، ويمكن المرأة المسلمة من أداء دورها التنموي في المجتمع ويقدِّم الصورة الصحيحة للإسلام الذي يتصف بالوسطية والسماحة والحب والخير للإنسانية جمعاء.

لقد واجه الإسلام في أثناء مسيرته صنوفاً من التحديات وتجلت حيوية أجياله في قدرتهم على تحقيق تغيير حضاري سام بإسلام وسطي معتدل ينادي بكرامة الإنسان من استخلاف وشهود لتأكيد الغاية الربانية الكونية في الوجود.

ونحن اليوم في أمس الحاجة لاتباع هذه الاستراتيجية الوسطية وما على مؤسساتنا وهيئاتنا الإسلامية الرسمية والشعبية ضمن إمكاناتها وقدراتها الذاتية إلا أن تتخذ كل الوسائل المؤدية إلى ذلك لتحرير الإسلام من هذه الأغلال الاختيارية التي قيدناه بها والانطلاق نحو أفق أوسع وأرحب تتحقق من خلاله عالمية الإسلام وإنسانيته اللامحدودة، (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) ■



رئيس التحرير... بالتوفيق والنجاح

ودَّعت أسرة تحرير مجلة الوعي الإسلامي الشهر المنصرم رئيس تحرير المجلة الأستاذ جاسم مطر شهاب، الذي استقال من منصبه ليتفرغ لأعماله الخاصة، وأسرة التحرير إذ تثمِّن الفترة التي أمضاها أبومحمد رئيساً للتحرير والإنجازات الطيبة التي حققها، تتمنى له التوفيق والنجاح في عمله الجديد، وتقول له: وداعاً «أبو محمد».





إسلامية • شهرية • جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد 473 - العام الثاني والأربعون - محرم 1426 هـ - فبراير / مارس 2005 م

كلمة العدد

أمتنا ومبدأ النقد الذاتي

الإخوة القراءة والكتاب:

لابد للأمة المسلمة وهي على أعتاب عام هجري جديد من إجراء مراجعة تقوِّم أوضاعها وتحقق مبدأ النقد الذاتي البناء الذي تتجاوز من خلاله السلبيات التي رانت عليها طوال القرون الماضية، فأقعدتها عن الحركة والنشاط والحيوية وتركتها جثة هامدة لا حراك فيها، وحالت بينها وبين الدور الإيجابي الفاعل الذي أراده الله لها أن تكون عليه خير أمة أخرجت للناس.

نريد من هذه الوقفة التقويمية أن تأخذ بعين الاعتبار متغيرات العصر ومستجداته. من دون أن تتحرف عن ثوابتها من الكتاب والسنة. حتى يأتي الخطاب الإسلامي متوازناً ووسطياً وشاملاً في توجهاته وأهدافه قادراً على التصدي لكل التحديات التي تواجه الأمة.

إن مسؤولية إحداث هذه النقلة التغييرية في الخطاب الإسلامي تقع على عاتق الدعاة والعلماء والمفكرين تساندهم في ذلك وسائل الإعلام الإسلامي المقروء والمسموع والمرئي، لذا نأمل من كتابنا وقرائنا أن يكونوا لنا عوناً في العام الهجري الجديد حتى نتمكن من الإسهام في ترسيخ وتأهيل هذا الخطاب وتسديد مسيرة الأمة لما يصلحها في الدنيا والآخرة وإلى تحقيق المصالحة بين أبنائها بعيداً عن العصبية الفكرية والمذهبية السياسية، والله من وراء القصد ■

الوعي الإسلامي

في هذا العدد

إقرأ في العدد اللاحق

د. زغلول النجار: الكوارث عقاب للمجرمين وابتلاء للمؤمنين
حوار أجراه: همام عبدالمعبود

العالم العربي والإسلامي بين خطابي الأصالة والتمرد في قرن العولمة
د. أحمد عيساوي

الجندر معول غربي جديد لهدم الأسرة المسلمة
د. خالد سعد النجار

تحديات الإصلاح والتجديد الإسلامي
الأستاذ: شاكر عبدالقادر

موضوع الغلاف



تفخر دمشق بمساجدها ذات المآذن السامقة التي بُنيت عبر العصور الإسلامية التي تعاقبت على حكم أقدم مدينة في التاريخ مشيدة فيها حضارة متنوعة الفنون والثقافات، ولا تزال معالمها قائمة حتى الآن.

موقع الوزارة على شبكة الانترنت Homepage: www.islam.gov.kw
موقع المجلة على شبكة الانترنت www.alwaei.com

المحتويات





Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

Al-Waei Al-islami
P.o. Box 23667 Safat
13097 Kuwait
TEL.: 844 044 / 5348 974
FAX : (+965) 5348954

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارا كويتيا
• الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
• دول العالم : لأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها).
• للمؤسسات : ٢٥ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المراسلات

رئيس التحرير مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧
الصفاة 13097 ـ الكويت
هاتف:
٥٣٤٨٩٧٤ / ٨٤٤٠٤٤
فاكس:
(+٩٦٥) ٥٣٤٨٩٥٤

الأسعار

• الكويت : ٥٠٠ فلسا • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : **دينار واحد** • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧٠ ريال • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠ دراهم • ليبيا : **دينار واحد** • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • اميركا ودول العالم : **٣ دولارات** أو مايعادلها.

التوزيع :

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف والمطبوعات هاتف: ٤٨١٦٨٨٥ - فاكس: ٤٨٣٦٦٨٠ - ٤٨٤١٠٢٦ - ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٣٧ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) • اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر • لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ٢٥/١٨٤ • سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات • الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٠٠٩٦٢٦) ف ٤٦٣٥١٥٢ • مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع • الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع • مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام • المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع • المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف • سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع • قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

ترحب الوعي الإسلامي برسائل القراء، وتنشر منها ما يتوافق وسياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

تواصل

رقود العظماء وموقف الأصفياء

إنهاا لهجرة بمعانيها الكبرى وسماتها العظمى التي تتجدد على مر الزمان ولا يشبع منها الإنسان، وكيف لا و«علي بن أبي طالب» رضي الله عنه يضرب المثل الرائع والفداء الواقع يفتدي خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم.

وهو في هذه السن الصغيرة والخبرة القليلة لم يله كما يلهو أقرانه.

ولو كان في هذه الأيام لاعتصم بالحيا ولم يكن له في اللهو مباهاة.

في مباراة يضيع وقتاً وفي فيلم يمتع نظراً ومع الإنترنت يقتل حياة.

شتان بين هؤلاء وبين ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتربيته ومن هيأته الأقدار الإلهية للمسؤولية التشريفية.

فنام رضي الله عنه في فراش النبي صلى الله عليه وسلم معرضاً حياته لخطر أكيد وهو مسلح بالحق لا يحيد في وضع في التاريخ فريد، ومعتمد على الذي يبدي ويعيد، إنها العقيدة التي سرت في علي وأمثاله سريان الروح في الجسد.

فزادوا عنها بروحهم وعانقتها أفئدتهم وهاموا حباً برسولهم.

ولم يكن يومهـا من مغنم أو الحصول على منجم بل جهاد مرير وكفاح كبير، وخطر ضرير.

وهكذا كانوا في المقدمة بروح وثابة متوقدة لربها هي قاصدة لنبيها معاضدة ومع عدوها غليظة متشددة، ولطاقاتها غير مبددة وللآخرين غير مقلدة، وللشجاعة والجرأة في الحق مولدة.

فجاءت أعمالهم العظمى قلاعاً شاهدة، نباريس هدى، وأعلاماً تالدة، سيظل التاريخ يحكي عن هذه الأعلام الخالدة.

عبدالله محمد

السادة والعبيد

هل كُتب على البشرية أن تعيش هذه الثنائية البغيضة من بدايتها إلى نهايتها؟! أحياناً تأخذ مسميات شتى، لكنها في جوهرها شيء واحد، يقولون: الشمال والجنوب، الشرق والغرب، الأغنياء والفقراء إلخ... ويستسلم لها الجانب الضعيف، ويتلذذ بها الأقوياء.

قل ما تشاء في وجاهة السيد، وحدِّث ولا حرج عن دونية العبد، تمضي الأيام وتتقدم البشرية إلى الأمام فتظهر واجهة جديدة: المدنية والحضارة، الديموقراطية والحرية، القرن الجديد، عصبة الأمم، الأمم المتحدة، حقوق الإنسان، النظام العالمي الجديد، العولمة.. ألفاظ فخمة لمعان ضخمة، لكنها لا تغيِّر شيئاً، ويزداد الأمر رُسوخاً في دخيلة الطرفين: العبد عبد والسيد سيد، هذا لا يليق به أن يناطح ذاك، وذاك هو العقل المدبِّر المسيطر.

السيد عبدالرحمن عبدالواحد

احذروا الفن الهابط

على المرأة المسلمة أن تحذر الفن الهابط... لأنها تمثل العمود الحيوي لنسيج الأسرة... لأن هناك مخططاً إعلامياً للقضاء على مقومات الأسرة بفتح عيون الفتيان والفتيات في عالمنا العربي والإسلامي على الوضعية المزرية التي تعيشها المرأة الغربية... حتى وإن بدت كأنها تعيش في هناء وسعادة لا مثيل لهما... فإنها تفتقد معنى تحمل المسؤولية.. والحياة.. والمشاركة الأسرية والمجتمعية... لأن المرأة الغربية أصبحت كالسلعة تباع وتشترى... فهل نعي خطورة الفن الهابط.

يحيى السيد النجار

ثقافة معرفة الحقيقة

ثقافة الإسلام تدعو المسلمين لأن يسعوا جهد أيمانهم حتى يتمتعوا بأكبر مساحة من قوة الحقيقة تلقياً وإرسالاً، وتبين هذه الثقافة للمسلمين أن صفحات القرآن الكريم تسطع وتلبث ساطعة على قدر ما تفيض بقوة الحقيقة... فالمسلم إن رغب أن يعرف تاريخ أجداده، لا يجد أصدق من صفحات القرآن الكريم التي تقدم الحقيقة كلها.

وعلى ضوء هذه الحقيقة الساطعة يمكن لنا أن نتأمل قوة الشعوب والأمم، فالشعوب التي تتمتع بأكبر مساحة من الحقيقة، هي الشعوب التي تمتلك أكبر مساحة من القوة في العالم، وتكون لها الأولية في كل مقومات الحياة، فتكون لها الأولية في الاقتصاد، وفي الأفكار، وفي السلاح وفي الطب، وفي الآداب والعلوم والفنون والتكنولوجيا، وفي ممارسة الحرية.

عبدالباقي يوسف

رسالة خاصة

الخطاب الصهيوني... مراوغة وتزييف

الخطاب الصهيوني يتسم بعدم التجانس وبالإبهام والمراوغة نظراً لاستخدامه آليات أسلوبية كثيرة مثل استخدام أسماء ذات مسميات مختلفة، أو أسماء عدة لها في واقع الأمر مسمًّى واحد، أو كلمات لها معنى مبهم تخبئ التحيزات والمفاهيم الصهيونية العنصرية أو ترك فراغات كثيرة داخل الخطاب الصهيوني، أو استخدام اعتذارات وديباجات متنوعة ومختلفة.

والخطاب الصهيوني له أسماء محدودة أهمها المراوغة النابعة من تعدد الجهات التي يتوجه لها هذا الخطاب.

١ ـ الصهيونية حركة تابعة يدعمها ويمولها الاستعمار الغربي، ولذلك يتوجه الخطاب الصهيوني إلى الدول الاستعمارية الراعية.

٢ ـ لا تتوجه الصهيونية لهذه الدول وحسب، أو لنخبها وحسب، وإنما للرأي العام غير اليهودي فيها، والذي لا يدرك الأبعاد الاستراتيجية للتحالف بين إسرائيل والحضارة الغربية.

٣ ـ لابد أن يتوجه الخطاب الصهيوني للمادة البشرية المستهدفة، أي تلك الجماعات اليهودية في العالم التي تنتمي إلى تشكيلات ثقافية وحضارية واجتماعية مختلفة.

٤ ـ تعود الصهيونية إلى أصول ثقافية ودينية واجتماعية وطبقية متباينة وهو ما يجعل لكل فريق صهيوني رؤية وأوليات مختلفة.

٥ ـ تركت التيارات الصهيونية بعض القضايا الأساسية من دون اتفاق، فلم يتم الاتفاق على هوية اليهودي، بل لم يتم الاتفاق على هوية الصهيوني، كما لم يتحدد التوجه الاجتماعي أو الاقتصادي للعقيدة الصهيونية.

د.محمد مرسي محمد مرسي

الإسلام ينبذ العدوان ويدعو إلى السلام

قال تعالى في كتابه العزيز: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) الممتحنة:٨.

وقال: (ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) المائدة:٢.

وقال: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) الحج:٣٩.

وقال: (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) البقرة: ١٩٠.

وقال: (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) الحج:٤٠.

وقال: (واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) البقرة: ١٩١.

وقال: (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) البقرة:١٩١.

وقال: (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) البقرة: ١٩٤.

وقال: (يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) المائدة: ٨٧.

وقال لضمان حرية العقيدة وحرية العبادة: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين) البقرة: ١٩٣.

وقال: (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) الأنفال: ٦١ صدق الله العظيم.

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً ولا صغيراً ولا امرأة وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين» منهاج المسلم ص٥٩١.

نبيل الدسوقي ناشي ـ مصر

وجهت الدعوة إلى ٢٦ جهة حكومية للالتقاء والاستماع

الشورى والوسطية لبناء استراتيجية الأوقاف

وجهت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الدعوة إلى ٢٦ جهة حكومية لسماع رأيها في ابراز الصور الذهنية لوزارة الأوقاف.

وقال وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية د. «عادل الفلاح»: إن هذا اللقاء الموسع يأتي ضمن فعاليات مشروع إصدار وثيقة الخطة الاستراتيجية المستقبلية للوزارة، فقد حرصت وزارة الأوقاف على ابراز صورتها الذهنية لدى جمهور المعنيين عموماً، وقطاع المستفيدين من خدماتها وخصوصاً في إطار سعيها الحثيث لتقديم خدمة تتلاءم مع تنامي أهمية الدور الذي تضطلع به كراعية لقطاع الشؤون الإسلامية في البلاد، لأنها جزء من منظومة الأمن الاجتماعي.

وبيّن «الفلاح» أن الوزارة لا تستطيع أن تحقق ذلك منفردة عن الجهاز الحكومي، فتكامل العمل المؤسسي يتم بين أجهزة الدولة الأوفر حظاً لتحقيق التنمية المنشودة للوطن والمواطنين، وأضاف: أن الدور التكاملي الذي تلعبه الوزارة مع الجهات الحكومية الأخرى للارتقاء بمستوى الأداء الحكومي تنظيراً وممارسة هو غاية قابلة للتحقق نتعاون جميعاً للوصول إليها.

وأوضح «الفلاح» أنه من هذه المنطلقات جاءت رغبة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في استشراف آراء قيادات العمل الحكومي حول مشروع استراتيجيتها للفترة المستقبلية، وما تضمنته منهجية خطتها الانمائية الخمسية (٢٠٠٦ / ٢٠٠٧ - ٢٠١٠/٢٠١١).

وأكد «الفلاح» أن المسؤولية تضامنية، وينبغي علينا جميعاً التحرك السريع منطلقين من ثوابتنا الدينية والمجتمعية، متخذين من الاعتبارات الحاكمة للعمل الإسلامي من شورى ووسطية عقدية وفكرية طريقاً ومنهجاً لبناء هذه الاستراتيجية، مستفيدين من طروحات شركاء العمل الحكومي وغيرهم من كل المشارب والأطياف لبناء وطننا الحبيب.



د. «عادل الفلاح»

وحول الآلية التي اتبعتها الوزارة في بناء خطتها، بيّن «الفلاح» أنه قد تم تشكيل فريق للتخطيط الاستراتيجي ثم فرز عدد من الفرق الفرعية لدراسة قطاعات الوزارة، كما تم تحديد فئات المعنيين من داخل الوزارة وخارجها للتعاون معها والوصول إلى الخطة التي تحمي الوطن، والمواطن.

آلية «الأوقاف» الجديدة لمتابعة إنشاء مشروعات المتبرعين حتى انتهائها

أكد وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المساعد لشؤون المساجد «عبدالله شهاب»، أن الوزارة اعتمدت آلية جديدة لمتابعة بناء أعمال المتبرعين يتم من خلالها إشراف الوزارة بشكل كامل على العمل المتبرع به من بداية وضع مخططاته حتى انتهاء العمل فيه.

وأوضح «شهاب» على خلفية الحادث الأليم الذي أصيب خلاله عشرات العمال في انهيار مسجد الجليب، أن الإخوة في الوزارة سيكونون مع المتبرع أولاً بأول لتفادي حدوث أي مشكلة هندسية أو إنشائية، وسيكونون عوناً مساعدة له في أي قضية فنية أو مالية، كما سيساعدونه في كل ما يحتاج إليه من تقديم العون والمشورة، وستلتزم تلك الأعمال بالمواصفات التي تعتمدها الوزارة.

عبدالله شهاب

ورداً على سؤال عن مشروع تطوير الإمام وآخر ما توصل إليه، قال: نحن نقوم حالياً بجولات في المحافظات ونستقطب آراء الإخوة في الدواوين حول الأئمة، ونتواصل كذلك مع الأخوة الخطباء في كل الأمور، وأغلب الإخوان يرون أنه يجب أن يُفعَّل دور الأئمة بشكل أكبر، وكانت معظم الملاحظات على بعض خطب الجمعة، مؤكدين أنها تحتاج إلى تطوير وتحديث في تعاملها مع المصلين.

وبالنسبة لمشروع تطوير الإمام، قال: هناك بعض الدراسات مع المكاتب المتخصصة في قضية حاجات الإمام والأمور التي من شأنها أن تفرّغ الإمام تفرغاً تاماً لعمله.

وبالنسبة لما يُثار عن انتشار الفكر المتطرف بين بعض الشباب في الكويت وعلاقة ذلك بالخطباء والأئمة، تابع «شهاب»: المجتمع الكويتي - ولله الحمد - إذا قسنا ما به من فكر التطرف - سواء كان الحديث عن أبنائنا الشباب أو حتى عن خطبائنا - سنجد هذا الفكر قليل جداً، وإن كنت لا أستطيع أن أحكم بنسبة ١٠٠٪، ولا يمكن أن أقول: إنه لا يوجد لدينا هذا الفكر، لأنني لست مختلطاً مع جميع فئات الشباب، لكن الواقع الذي أراه أن هذا الفكر «قليل جداً» ويكاد يكون نادراً.

ورداً على تساؤل عن مدى التعاون والتنسيق مع جمعيات النفع العام، وبخاصة الدينية منها مثل جمعية الإصلاح الاجتماعي وإحياء التراث الإسلامي، أردف «شهاب»: الإخوة في هذه الجمعيات حريصون كل الحرص على التعاون مع وزارة الأوقاف، ولكن ترويج أي فكر مغاير هو مسؤولية وزارة الشؤون وليس الأوقاف، وهي دائماً تحاورهم وترى أفكارهم واتجاهاتهم.

ندوات دينية ومخيم شبابي للأوقاف في هلا فبراير

أعلن وكيل وزارة الأوقاف المساعد لشؤون الدراسات الإسلامية والحج «مطلق القراوي» عن مشاركة الوزارة في فعاليات مهرجان «هلا فبراير».

وأشار «القراوي» الذي هو رئيس فريق وزارة الأوقاف المشارك في الفعاليات أن الوزارة تقوم حالياً بالتنسيق مع الشركة المنظمة للمهرجانات بتقديم عدد من الفعاليات التي ستنظمها وزارة الأوقاف وستقدم برامج ملتقى الأنشودة ويستمر مدة ثلاثة أيام، حيث سيشارك فيه منشدون من خارج الكويت، إضافة إلى أن الوزارة ستنظم خلال هذه الفعاليات المخيم الربيعي للشباب بجانب المسجد الكبير بحيث يستوعب هذا المخيم أكثر من ألف مشارك ويتضمن فعاليات رياضية وثقافية خلال الأيام الثلاثة.


مطلق القراوي

وأكد القراوي في تصريحه أنه خلال فعاليات الوزارة في مهرجان «هلا فبراير» سيتم التركيز على إقامة الندوات الدينية، كما سيتم خلال الأيام القليلة المقبلة ترشيح عدد من المشايخ ليقدموا خواطر توجيهية.

وأشار «القراوي» إلى أن إدارة التنمية الأسرية سيكون لها دور في هذا المهرجان من خلال تنظيم عدد من المشاريع التي تهم الأسرة بالإضافة إلى عمل برامج خاصة، مشيراً إلى أن الوزارة طالبت بتوفير عدد من الأماكن لإقامة الأنشطة عليها.

وذكر «القراوي» أن الوزارة ستنظم ملتقى الأدب الإسلامي، ويعد له حالياً بدعوة عدد من المشاريخ الكويتيين وآخرين من السعودية، وستتم استضافة عدد من الأدباء الإسلاميين للمشاركة في المهرجان.

ندوة تربوية لملتقى السراج المنير


المحاضر حمد الخالد (يمين) ومشرف المركز


جانب من حضور الندوة

أقام ملتقى السراج المنير فرع الصباحية التابع لوزارة الأوقاف - إدارة الدراسات الإسلامية - يوم الأربعاء ٢٠٠٤/١٢/٢٩م ندوة تربوية حول موضوع «توجيهات للشباب» استضافت فيها إدارة الملتقى الأستاذ حمد الخالد الذي تحدث إلى إخوانه الطلبة وجميع منسوبي الملتقى، داعياً إلى مكارم الأخلاق والحرص على تطبيقها في حياتنا اليومية، وذلك في سبيل رفعة وصقل الشخصية المسلمة لهؤلاء الطلبة ليكونوا صالحين لبيوتهم وأسرهم ولأوطانهم وخير ذخيرة وعتاد للمستقبل الواعد بخير إن شاء الله.

موجز أخبار

- دعا وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور «عبدالله المعتوق» جميع أركان وزارته إلى التعامل مع من يحمل أفكاراً متطرفة بحكمة وروية من خلال فتح الحوار معهم بهدف إقناعهم للعدول عن الأفكار التي يتبنونها وليعودوا إلى الطريق القويم الذي يضمن الأمن والسلامة لهم ولمجتمعهم المسالم، وذلك خلال لقاء مفتوح دعا إليه وكيل وزارة الأوقاف والوكلاء المساعدين والمديرين والمراقبين ورؤساء الأقسام في الوزارة.
- قدمت الأمانة العامة للأوقاف إلى اللجنة المشتركة للإغاثة تبرعاً بمبلغ خمسمئة ألف دولار لدعم جهود الإغاثة الإنسانية في الدول المنكوبة جنوب شرق آسيا جراء تعرضها لزلزال «تسونامي» المدمر. وتم تسليم المبلغ في مقر الأمانة العامة للأوقاف، حيث قام كل من الدكتور محمد عبدالغفار الشريف الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف وقياديي الأمانة بتسليم المبلغ إلى رئيس اللجنة المشتركة للإغاثة «يوسف الحجي».
- أعلن مراقب إدارة الإعلام الديني في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية «صلاح أبا الخيل» أن إدارة الإعلام الديني بدأت بتوزيع «كوبنات» مسابقة «وفد الله» الدينية التي تم عرضها على القناتين الأولى والفضائية الكويتية خلال موسم الحج الفائت.

حوار خاص مع د. الأحمدي أبو النور وزير الأوقاف المصري الأسبق

مظاهر حضارية في السنة النبوية الشريفة

في أيدينا نحن المسلمين كل مصادر النهضة والحضارة في الفكر والخلق والسلوك وفي العلوم والتقنية والعمران.. وفي واقعنا أيضا مظاهر كثيرة للتخلف الحضاري البادي في تصرفات بعض البشر وأنظمة المجتمع الإدارية وتعاملهم مع نواميس الكون المادية.. وعلى أرضية هذا التباين ينتقد بعض الخصوم حديث المسلمين عن المشروع الحضاري الإسلامي ويأخذون على السنة النبوية على وجه الخصوص موقفها من بعض القضايا الإنسانية المطروحة... فيما يستشعر بعض المسلمين الحرج عندما يطرحون موقفهم من مظاهر التقدم الحضاري في دنيا الناس.

تداعيات هذه الإشكالية وضعناها بين يدي واحد من كبار رجالات الدعوة الإسلامية الذين امتلكوا ثقافة شرعية واسعة وتجربة سياسية متعددة... هو الدكتور «الأحمدي أبو النور» أستاذ الحديث وعلومه في جامعة الأزهر وزير الأوقاف الأسبق في مصر والأستاذ الحالي في جامعة اليرموك في الأردن والذي جاوزت مؤلفاته الأربعين كتاباً جلها في الدفاع عن صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم، وسنته ليرصد بعض مظاهر الحضارة الإنسانية الرائعة في السنة النبوية الشريفة التي يدّعي أبناء القرن العشرين أنهم محدثوها!!





حوار أجراه:
رضا عكاشة

صنفان من الناس

● قلت: في مطلع المقال... يلاحظ أن بعضنا يحاول أن يكوّن نوعاً من الخصومة بين المسلم والعطاءات المادية الحديثة... في تصورك.. لماذا نشأت شبهة الحساسية هذه بين الإسلام والحضارة المادية؟

- بدءاً دعنا نقرر أن الحضارة في الفهم العام تعني كل فعل يضيف جديداً مفيداً لطريقة حياة المجتمعات، في العادات

وفي التقنية، في الفنون وشكل السلطة، في السلوك والتفاعل مع المادة، في ثقافة الإنسان العميقة وعلاقاته الخارجية وتكنولوجيا العلوم وعطاءاتها المادية الحديثة... ودعنا نكرر ما قرره المنصف والمغرض معاً من أنّ «الإسلام» - دون غيره - يُعنى بمجمل شؤون الكون وعلى رأسه الإنسان، ويُعنى به كله، في ماديته وروحانيته، في عاطفته وعقله، في تصرفه الذاتي وعلاقاته الخارجية، في حياته ومماته، في عقيدته وعبادته وفي إنشائه من الأرض واستعماره فيها، وفي نظره إلى السماء وصعوده إليها، وفي غوصه في البحار واستكشاف مكوناتها وقوانينها.

أما محاولة افتعال خصومة بين الإسلام والحضارة المادية الحديثة فهي محاولة ليس لها ما يدعمها من دين أو عقل أو واقع... والحق أن هناك صنفين من الناس هما المسؤولان عن هذه المحاولة:

الصنف الأول: بعض بني جلدتنا من الذين أحسنوا النية وأساؤوا القصد والتصرف، نظر إلى مصدر الحضارة في الوقت الحالي فرآه في المستعمر الأجنبي فرفض الحضارة ومصدرها، وبعضهم لم يحسن فهم الإسلام وشموله ولا فهم الإنسان وحاجاته فركز على الروحانيات دون النظر إلى الماديات، وبعضهم كسول خمول أو ضيق الأفق وجهول، رمى الكد في الدنيا، وراح يحصر التدين في الشكل والفرع والنافلة على

حساب المضمون والأصل والغرض.

الصنف الثاني: بعض الكارهين للإسلام، من غير معتنقيه، الذين لا يرغبون في أن يروا آثاره في دنيا الناس، بل يحصرونه في الصدر، ومن ثمَّ يريدون إزاحته من الصدور إن استطاعوا إلى ذلك سبيلا... هؤلاء أراهم يحرصون على محاولة استعداء الحضارة للإسلام واستعداء الإسلام للحضارة، فيعملون على وصف المسلم بالجمود والتعصب وعدم القدرة على التعامل مع مدنية العصر وحضارته... بعض هؤلاء أعماهم التعصب وبعضهم حال الجهل بينة وبين رؤية شمس الإسلام ونوره وبعضهم يخاف على واقعة الحضاري فيحارب كل ما عدا واقعة... ولكنهم جميعاً يتفقون في حقيقة واحدة، وهي أنهم يرموننا بالتخلف وقت ضعفنا... عندما نأينا عن منابع القوة وأسبابها، وحالوا هم بين المسلمين وحضارتهم في أحقاب زمنية متباينة، راحوا يتهموننا بعدم التحضر..! إن هذا التصرف في رؤيتنا، ليست إساءة للإسلام والمسلمين بقدر ما هو إساءة لعطاء الإسلام الحضاري للبشرية... هم يقارنون بين ما يمكن أن يقدمه أهل هذا الدين من مدنية وحضارة، فيخافون على نفعيتهم وواقعهم يعملون على تكريس تخلفنا!.

وأنبه هنا إلى أن تعميم التخلف على المسلمين خطأ قاتل، فلا المسلمون تخلفوا في كل تاريخهم، ولا تخلفوا في كل حاضرهم، ففيهم الآن نماذج حضارية رائعة في الفكر والفهم والسلوك، وفي البشر والأرض والزرع والثمار، وفي التشييد والتصنيع والبناء، وفي نظم الاقتصاد والحكم والاجتماع.

التخلف يظهر فقط عندما تقارن قوتنا بغطرسة القوة التي يمارسها الآخرون علينا... وأكرر غطرسة القوة لأن قوة الآخرين فقط يمكن مواجهتها والغطرسة فقط لا تخيفنا ولكن الخطورة في غطرسة القوة معاً وهو واقع غير حضاري إلا إذا سميناه حضارة غطرسة القوة!.

● كيف ترى في عجالة الأصول الفكرية العامة الحاكمة لحضارة الإسلام المنشودة؟

- حضارة الإسلام المنشودة والقائمة حضارة أساسها الأبرز هو العقيدة والبناء والإعمار والأخلاق تخدم الكون كله والإنسان كله، والحياة كلها... تنشد العدل والسعادة والراحة لبني الإنسان في الدنيا والآخرة، وتحقق له القوة من دون غطرسة، والحرية من دون إلحاد، والسعادة من دون أنانية والمتعة من دون إسراف، والإعمار لا الهدم، والعزة لا التعصب حضارة تسخر الكون كله لخدمة الإنسان ولا تستعبد الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً.

حقوق إنسانية رائعة

● عند الحديث عن بعض جوانب العطاء الحضاري الإنساني في السنة النبوية يتبادر إلى الذهن حديث الساسة والمفكرين عن حقوق الإنسان في العصر الحديث. كيف ترى هذه الحقوق في السنة النبوية الشريفة؟

- بواقعية، فإن صاحب الرسالة جاء ليتمم هذه الحقوق ويؤصل هذه الواجبات في دنيا الناس، وقد بان هذا العطاء الحضاري الإنساني في جل مواقف الرسول ﷺ وسننه.

بدءاً من حق العقيدة ودلالتها الحضارية، وانتهاء بحقوق ثابتة للإنسان بعد الوفاة، مروراً بحقه في الحياة وفي المأكل والمشرب والملبس والعلم والتعلم والعمل والتملك وحفظ النفس والمال والعرض والعقل والحرية وتحقيق العدل والرفاهية والمساواة والكرامة، واختيار الحاكم ببيعة وحرية مطلقة في الاختيار وتحقيق الأمن المادي والنفسي والاجتماعي والفكري.

وأحاديث رسول الله ﷺ في هذا الصدد أعظم من أن تحصر... ومن إحداها: «لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا». «أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، اللهم قد بلغت، اللهم فاشهد» «كل

شورى النبوة تجعل الحرية قيمة عقدية وتتيح الاستفادة من كل النظم الدستورية الحديثة



العقيدة أساس حضارة الإسلام

المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».

وفي إقرار العمل وتفوقه: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده». «لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»، «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»، «إخوانكم خولكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما لا يطيق فإذا كلفتموهم فأعينوهم». وفي الحديث أيضاً: «من ولي لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلاً، أو ليست له زوجة فليتزوج، أو ليس له خادم فليتخذ خادماً، أو ليس له دابة فليتخذ دابة»، «من أحيا أرضاً ميتة فهي له»، «ما آمن بي من بات شبعان وجاره إلى جانبه طاو»، «أي رجل مات ضياعاً بين أغنياء فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله».

وفي حق العلم وطلبه: يقرر الرسول ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، «يأيها الناس تعلموا، إنما العلم بالتعلم، والفقه بالتفقه، ومن يرد الله به خيراً يفقه في الدين»، «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض... وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء...»، والمؤكد أن العلم الإسلامي ليس قاصراً على تعلم الأحكام الشرعية بل يتعداه إلى كل أسباب المعرفة والتقدم في الدنيا.

وتنتظم هذه الحقوق الإنسانية تلك اللفتات السلوكية الحضارية حتى تلك الأسس السياسية العامة في الجهر بالحق واختيار الراعي. ومن أحاد

الأحاديث في هذا:

«إفراغك من دلوك في دلو أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وبسمتك في وجه أخيك صدقة، وإماطتك الحجر والشوك والعظام عن طريق الناس به صدقة، وهدايتك الرجل في أرض ضالة صدقة»، ويقول ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثة: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم»، «من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه، فقد خان الله ورسوله»، «إن أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»، «الدين النصيحة، قيل لمن يا سول الله؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»... فأسس الحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية مقررة في سنة رسول الله ﷺ ومن قبل في كتاب الله.

شورى النبوة ومؤسسات الحكم الديموقراطي

● يعتبر الغرب مسألة الحرية والديموقراطية السياسية هي أسس هذه الحقوق، وقد يعيبون على بعض مجتمعاتنا غياب مؤسسات الحكم الديموقراطي... كيف ترى في التطبيق النبوي ما يؤكد أصالة الديموقراطية في الفكر السياسي الإسلامي؟

ـ أحب أن أؤكد أن تأصيلنا للتجربة الديموقراطية في مجتمعاتنا لا ينبغي أن يكون ردة فعل لحديث الغرب أو الشرق عنا، بل يجب أن يكون نابعاً من قراءة واعية للنص الشرعي والممارسة الإسلامية بدءاً من صدر الإسلام وحتى الآن، لأن قضية الديموقراطية قضية مجتمعية في الأساس، وينطبق عليها ما ينطبق على غيرها من اعتبار التراكم المعرفي والتجارب التاريخية. أيضاً، فإن رؤيتنا للحرية لا يجوز أن تقاس فقط على تجربة الغرب الواقعية، لأن لكل مجتمع تجاربه، ولأن الغرب أساساً كمكون ثقافي وفكري لم يتفق على الديموقراطية بشكل نهائي، ولم تتضح معالمها نسبياً إلا منذ بضعة عقود من الزمان، بل إن الغرب ـ الاشتراكي ـ لم يكن يعرف إلى عشر سنوات مضت تجربة المؤسسات والأحزاب الديموقراطية.

والأمر الأهم في التجربة النبوية، أن الإسلام قرر «فضيلة الشورى»، والرسول ﷺ مارس هذه «القيمة» واعتبرها الإسلام جزءاً من العقيدة والعبادة، وطبيعة دعوة الإسلام، أما شكل الممارسة أو ما نسميه مؤسسات الحكم فليس هو الهدف بعينه، بل الهدف أن يمارس الناس الحرية، ويختارون حاكمهم بحرية، ويملكون القوة النفسية في نصحه وتقويمه وتوجيهه وعزله إن كان لذلك ضرورة، أما المؤسسات فمتروك أمر بنائها لكل دولة وحسب تطور الزمان، فقد تكون هناك مجالس نيابية، أو قد تكون مجالس شورى، وقد يكون الحكم رئاسياً أو ملكياً أو جمهورياً... المؤكد أن تدار شؤون الأمة بحرية واختيار ودون ضغط أو ظلم.

وأنت ترى في سنة رسول الله ﷺ ما يؤكد هذا، فالرسول لم يعرف عنه ضيق الأفق أو العصبية في الرأي، ومارس الشورى في مواقف اجتماعية وسياسية وعسكرية جمة، كما حدث في أمر الغنائم والأسرى وغزوة بدر وفي غزوة الخندق.

وقد أمر الرسول بالشورى كما أمر بعباده الاستغفار لله رب العالمين: (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) آل عمران:١٥٩... وثمة شواهد تؤكد ما كان يشبه «التنظيم السياسي الشوري» من الصحابة أو من المهاجرين الأولين في المدينة.. ثم ما كان من البيعة العامة التي هي في فلسفتها أعمق من العقد الاجتماعي الذي طرحه فلاسفة السياسة المعاصرون... ولئن وقفت أمام دعوة الرسول إلى الأمر بالمعروف وإلى رفع الظلم وإلى اعتبار الأمة كالجسد الواحد وإلى محاربته للسلبية وألا يكون الإنسان إمعة لا رأي له... وإلى نحو قوله ﷺ: «إذا رأيتم الظالم فلم تأخذوا على يديه يوشك الله أن يعمكم بعذاب من عنده»، «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منا»... لو نظرنا إلى هذا وغيره لأدركنا أن شورى النبوة غطت كل جوانب الحياة حتى قال أبوهريرة فيما يرويه الترمذي: «ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله».



مشاركة المرأة في العمل السياسي والقضائي لا تمثل حرجاً في مشروعنا الإسلامي

المرأة والممارسة السياسية

● ماذا عن ممارسة المرأة للأنشطة السياسية والبرلمانية... أو توليها القضاء بصفة عامة؟

ـ نعم، هذا الموضوع يثير لغطاً شديداً، وقد يسبب حرجاً عند أصحاب المشروع الإسلامي الحضاري.

ففي تصوري أنه ليست هناك مشكلة إذا وضعنا في اعتبارنا أمرين: الأول: أن النصوص الشرعية فيها سعة وتحتمل أوجهاً عدة. الثاني: مراعاة مصلحة الأمة التي يقدرها ولاة الأمر من العلماء والأمراء.

قضية تولي المرأة القضاء مدروسة ومبحوثة في الفقه الإسلامي القديم والحديث، والرأي فيها يدور حول الفهم العام لأحاديث رسول الله ﷺ، وقد درسها الأئمة الشافعية والحنابلة والمالكية والأحناف وفصل زفر ومحمد، وأبوالحسن البصري وابن جرير وابن حزم وابن القاسم، وتوسع الماوردي وابن كثير... وغيرهم... ويدور الرأي حول المنع والإجازة، والإجازة فيما تصح فيه شهادة المرأة أي كل شيء فيما عدا الحدود والقصاص كما قال ابن جرير وابن حزم.

وأما الممارسة السياسية، بمعنى الاهتمام بالشأن السياسي العام، وإبداء الرأي، والمشاركة

الاجتماعية والنيابية والوزارية، فقد يُقاس على القضاء، وقد يباح بشكل عام لأن الشأن العام مسؤولية المرأة كالرجل، والأمة عمادها الرجل والمرأة، والقرآن يخاطب هذه الأمة في تكليف عام لا يخلو من دور سياسي عام في مثل قوله: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) التوبة:٧١.

خمس حقائق شرعية

ومن المناسب أن نذكر هنا حديث: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» فهذا الحديث صحيح، ووارد في البخاري والترمذي والنسائي والإمام أحمد بصيغ متقاربة.

أما في دلالته فلي خمس ملاحظات:

١ - أن الحديث أورد في سياق معروف، حيث قدم نفر من بلاد فارس إلى المدينة المنورة، فسألهم رسول الله ﷺ: «من يلي أمر فارس»؟ فقال أحدهم: امرأة، فقال ﷺ: «ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة».

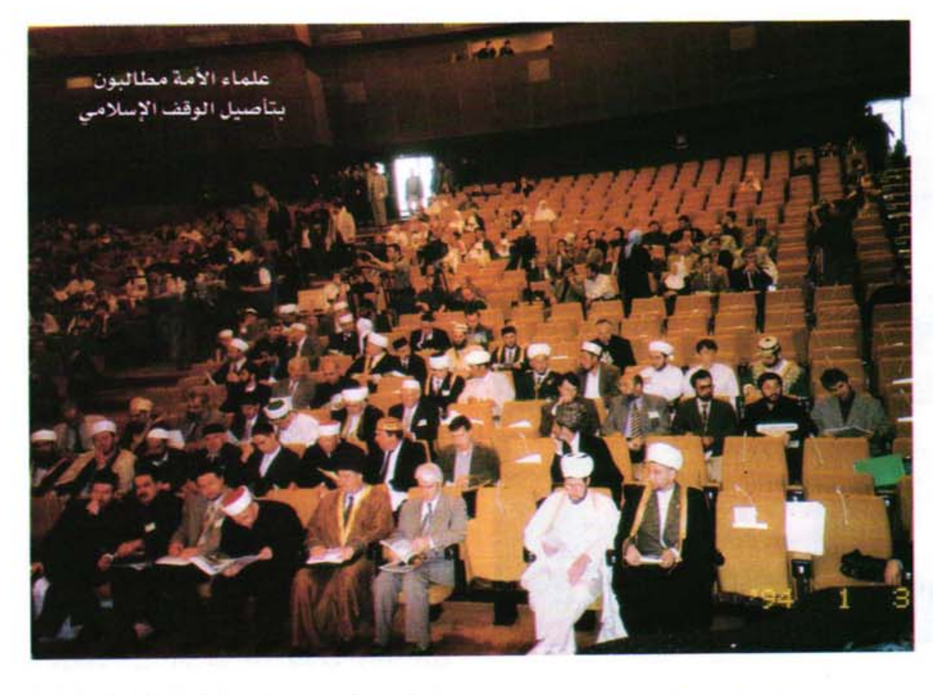
فكأن الرسول يتنبأ بزوال دولة فارس وهو ما حدث فعلاً بعد سنوات.

٢ - ليس في الحديث حكم شرعي قاطع، بدليل أنه لم يتواتر معه نص شرعي من كتاب أو سنة تعمد إلى هذا الحكم مباشرة.

٣ - أن ما فهم من عموم هذا الحديث كان اجتهاداً فكرياً من العلماء، وهو اجتهاد مقدّر ومحترم، ولكنه لا يمنع اجتهاداً آخر مقدراً ومحترماً أيضاً، فضلاً عن أن أثر البيئة والتقليد التاريخي قد عمّق من هذا الفهم.

٤ - لا ينبغي أن نخلط بين القضاء وبين الممارسة السياسية العامة في الشأن الإسلامي العام. وأن الذين يقفون أمام الحديث السالف ينبغي أن يقفوا به عند «الولاية العامة»، كما ورد في سياقها، ولا ينزلون به إلى ممارسة القضاء أو الوزارة أو العمل المجتمعي العام.

٥ - إن تعدد المؤسسات الآن جعل القضاء كما السياسة لا تعتمد على الرأي الفردي، بل على الاجتهاد المؤسسي المتقن، فالقاضي أو الوزير لا يحكم برأيه من على المنصة، بل يعمل النص المكتوب باجتهاد جماعي، وهذا الوضع الجديد جعل الفوارق الفردية لا يبدو لها أثر كبير في الممارسة بقدر ما يظهر دور المؤسسة ككل، كل هذه المعاني أراعيها في مشروعي الحضاري من دون حرج، في الوقت الذي أعود فأشدد على أن من حق كل حاكم مسلم أن يختار الرأي المناسب لطبيعة مجتمعه، إذ معروف في علم الأصول أن لولي الأمر المسلم أن يختار بين البدائل التي طرحها عليه العلماء، فلو عرض أهل الفقه في المسألة ثلاثة آراء مثلاً، لولي الأمر أن يختار إحداها، واختياره هنا مرجح لأحد هذه الآراء،



علماء الأمة مطالبون بتأصيل الوقف الإسلامي

الحضارة تعني كل فعل يضيف جديداً مفيداً لحياة المجتمعات

وعليه لا بأس أن تشارك المرأة في القضاء أو في الحكم، ولا بأس ألا تشارك، حسبما تقدر مصلحة المجتمع الشرعية، وليس في هذا نقص يحرجني كصاحب مشروع إسلامي، بل آراه قمة الطرح السياسي الواعي لمتطلبات المجتمع وخصائصه.

المؤسسات المدنية والوقف الإسلامي

● برؤية إسلامية كيف نفعّل دور مؤسسات المجتمع المدني في الوقت الحالي؟

- أحب أن أسميها «مؤسسات المجتمع» فهي مدنية عندما تخدم الدين، ودينية عندما تخدم المدنية، ثم هذه المؤسسات موجودة عندنا منذ أن صدع الرسول ﷺ بدعوة التوحيد، ليس فقط عبر مؤسسة الزكاة، بل من خلال مؤسسة إنسانية شديدة التفرد وهي مؤسسة الوقف الإسلامي التي من خلالها استفاد المجتمع المدني في زراعته وصناعته وتجارته ومعارفه وعبادته وحروبه وشتى صنوف أعماله الخيرية. هذا معطى حضاري شديد الخصوصية، وعندما يؤرخ بعضهم لأول وقف في التاريخ الإسلامي بوقف النبي ﷺ لبستان بالمدينة كانت ليهودي اسمه «مخيريف بن النضر»، هذا معطى حضاري، وعندما يؤصل العلماء للوقف بالوقف على «الأرض الزراعية»، عندما أصاب «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه أرضاً بخيبر فقال له الرسول ﷺ: «إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها غير أنه لا يباع أصلها ولا يبتاع ولا يوهب ولا يورث» هذا معطى حضاري رائع.

أقول: إنه عندما تفعل المجتمعات الأخرى مثل هذه الأفعال الخيرية هي تفعلّها لأغراض أخرى الله أعلم بها، ولكن نحن مع كل مؤسسة تفيد الدنيا في بشرها وجمادها ونباتها وحيوانها... فقط أطالب أن تكون هذه المؤسسات تحت عين وبصر الدولة حتى لا يتأول عملها بأنها قاعدة للفتنة أو التطرف!.

الشفافية لا تعوق أي عمل محض... وفي هذا الصدد تعجبني جداً تجربة دولة الكويت في مجال العمل الوقفي والخيري، حيث جمعت بين شرعية الفكرة الوقفية، ورغبة الأفراد في التبرع والإدارة، ثم متابعة الدولة ورقابتها المشروعة.

الأقليات وحقوقها

● دعنا نتوقف أمام قضية مثل قضية «الأقليات»، وهي مرتبطة بالحديث عن حقوق الإنسان والتعامل مع الآخرين التي نسأل عنها وبها كثيراً.

- لاحظ أساساً أن تعبير «الأقلية» هذا ليس من صنع الخطاب العربي الإسلامي، هو من صناعة الفقه القانوني السياسي الفرنسي، خطابنا الإسلامي استخدم في التعبير عن المخالف في

العقيدة مفهومين رائعين:
الأول: «أهل الكتاب» كما غلب في القرآن الكريم.
والثاني «أهل الذمة» كما غلب في الحديث النبوي الشريف، وهما مفهومان كما ترى شديدا الإنسانية والاحترام والتقدير.

حقوق في العقيدة والإنسانية

• في مجال حرية الاعتقاد يثير بعضهم شبهات حول موقع غير المسلمين في المجتمع الإسلامي... كيف ترصد تعامل المسلمين مع المخالفين للعقيدة في ضوء السنة الذي انعكس في الواقع الاجتماعي للمسلمين؟

- ليس هناك مبرر واحد يسوغ مثل هذه الشبهات سوى هوى النفس الذي تحركه الأطماع أو الأحقاد.

فالإسلام كله كبناء عقدي جامع تتجسد فيه وحدة العقيدة، ولا يقبل معه أن تؤمن ببعض الأنبياء وتكفر ببعض، فقضية الإيمان بالرسل تقضى أن نؤمن بكل الرسل، وذلك هو شعار القرآن: «لا نفرق بين أحد من رسله ونحن له مسلمون».

والرسول يقرر أن الرسل أخوة، أبوهم واحد وأمهاتهم شتى، وأن مثل الإسلام مع الأديان كمثل لبنة في البناء. ولا يعقل أن يتساءل أحد عن موقع غير المسلمين ونحن نعتبرهم جزءاً من بنائنا العقدي والاجتماعي. ولئن تعجب فاعجب عندما تعرف سبب نزول الآية القرآنية السامية: (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) البقرة:٢٥٦، حيث يروى أن بعض نساء العرب كن ينذرن إذا أنجبت أولاداً أن تهودهم في قبيلة بني النضير اليهودية، فلما جاء الإسلام وهجر يهود المدينة، أراد آباؤهم أن يجبروهم على الإسلام ويتركوا اليهودية... فإذا بالأمر الإلهي ينزل على رسول الله: لا إكراه في الدين حتى لو كان هدفه التحول إلى الإسلام ذاته.. إذن الاختيار الحر هو أساس الاعتقاد... والأخوة الإنسانية هي وعاء الجميع... والحقوق والواجبات متساوية حسب القاعدة الذهبية: لهم مالنا وعليهم ما علينا. ولذلك كان لغير المسلم ألا يظلم في مجتمع المسلمين، وفي الحديث: «من ظلم معاهداً أو انتقصه حقاً أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة». وكان لهم حماية أموالهم وأعراضهم. وفي عهد النبي ﷺ لنصارى نجران: «ولنجران وحاشيتها جوار الله، وذمة محمد النبي ﷺ، على أموالهم وملتهم وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير»، حتى اعتبرت الخمر والخنزير رغم حرمتها في الإسلام من الأموال المحترمة كما قال فقهاء الحنفية. كذلك فإن حقوق العمل والحياة والمجاملات الاجتماعية وحقوق العيش والكسب والتعلم ورفع الظلم قررها الرسول ومارسها المجتمع المسلم في غير موقع.. ولم يحدث أن نصت آية أو حديث على حرمان غير المسلمين من حقوق المدنية أو الدينية، أو ما قد يسمى بحقوق المواطنة... والنبي بعث إلى أهل مكة المشركين ما لا يوزعه على فقرائهم... واستقبل الرسول وفد نصارى نجران في مسجده بعد صلاة العصر، وصلوا صلاتهم داخل المسجد نحو المشرق... وتصدق الرسول ﷺ على أهل بيت من اليهود... كما عاد يهودياً وهو مريض.

والحق أن التأول على معاملة غير المسلم في المجتمع الإسلامي مردود، ولا يطرح إلا في سياق الرغبة في إحداث الفتنة داخل المجتمع المسلم، وهي فتنة كثيراً ما تطل برأسها، كما قلت في زمن الضعف والهوان!!.


الوعي الإسلامي تحاور د. الأحمدي أبو النور

مؤسسات المجتمع الإسلامي عليها ألا تنأى بنفسها عن قضايا الأمة ولا تكون عوناً لأهداف الخصوم

إنسانية الجهاد وحماقة الإرهاب

• هل يأتي اللبس الحادث بين مفهوم الجهاد ومفهوم الإرهاب، في سياق هذه الفتنة والضعف... وكيف نعرض في إطار مشروعنا الحضاري الضوابط الإنسانية للجهاد المشروع قانوناً وديناً وسياسة...؟

- اقرأ معي وصية الرسول ﷺ لجيشه وهو في سبيله إلى ساحة الوغى... «تألفوا الناس وتأنوا بهم، ولا تغيّروا عليهم حتى تدعوهم، فما على الأرض من أهل مـــدر أو وبر إلا أن تأتوني بهم مسلمين أحب من أن تأتوني بأبنائهم ونسائهم، وتقتلوا رجالهم»، ويقول: «انطلقوا بسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً، واصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين».

ليس مباحاً أن يقاتل رجال الدين في عبادتهم ولا النساء ولا الأطفال ولا العجزة ولا يعتدي على التجارة والزراعة والصناعة وكل مقومات المجتمع المدني والمدنيين، فإذا أضفنا إلى هذا وغيره الحديث عن مشروعية الجهاد وأدواته ودوافعه وراياته أمكننا أن نؤكد على حقائق عدة:

الأولى: ما كانت الغاية النبيلة لتتم إلا بوسيلة نبيلة، فإذا كان هدف الإسلام هو هداية الناس فلماذا لا تكون الهداية بوسائل هينة لينة لا حمق فيها ولا أحقاد!.

الثانية: إن الجهاد عندنا مقرر في سياق رد العدوان ودفع الظلم وتحقيق الأمن الاجتماعي.

الثالثة: إن ثمة مراتب عدة للجهاد، عدها الفقهاء وهي نحو خمس عشرة مرتبة... الجهاد ليس منحبساً على الجهاد بالنفس، بل هناك الجهاد بالقلم والدعوة والحوار وبالقلب والجنان والعلم والمال والابتكار والمعرفة، والسيف، واللسان... وغيرها من نظم الحضارة والحكم والسياسة والعمران.

الرابعة: الإرهاب الذي تعيشه بعض المجتمعات إرهاب ممقوت محرَّم ومجرَّم... نحن نعد القوى لنرهب العدو ونخيفه حتى لا يفكر في الاعتداء

علينا، أي لتحقيق ما سمي في الاستراتيجية العسكرية الحديثة (توازن القوى) إعدادنا العدة ليكون العالم أكثر أمناً في قوة المسلمين لأن استخدامنا القوة ليس مدفوعاً بفكر بشري أو بالقوة الباطشة، وليس المسلمون ولن يكون المسلمون يوماً بغاة، بل دعاة على الدوام. أنت اليوم ترى بلداً تحتل بلداً فيكون أول همه النفط أو الثروة الزراعية... في حين عندما يتحدث الرسول عن الزكاة ومجتمع الفاتحين يقول أول ما يقول: «الزكاة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم».

أحب أن أقرر أيضاً أن الجهاد المشروع هو الذي يتم تحت راية الدول وتحت مسؤولية الحاكم وتحت علم الجماعة ويصير ركيزة لحماية الأمة وليس أداة لزعزعة استقرارها... ولا يستساغ أبداً أن ينشق كائن من كان عن الحاكم أو الدولة أو الجماعة ويأخذ خطاً جهادياً بعيداً عن ولي الأمر ومصلحة الأمة... أن وحدة الجماعة هي أحد أبرز خيرية الأمة في الدعوة والاصطلاح بين الناس.

الخيرية والعنصرية

● للمناسبة، اتهم بعض الذين في أنفسهم شائبة حول رسول الإسلام ﷺ، إن هذه الخيرية فيها شيء من العنصرية... بل شبهوا هذه الخيرية بدعوى اليهود بأنهم شعب الله المختار؟!! هل حدث هذا فعلاً؟ وهل هؤلاء ممن يعتنقون الإسلام أم من مخالفيه؟ حدث هذا في أحد المؤتمرات الثقافية التي عقدت في أكتوبر الماضي.

. لا عصبية عندنا ولا عنصرية ولا استعلاء عرقياً، والذين يتهموننا بهذا هم الذين صنفوا البشر إلى أبيض وأسود وغربي وشرقي.

عندنا في الإسلام لا تفاضل لبشر ولا فوارق حسب لون أو جنس أو لغة أو تكوين طبقي أو عرقي أو ثقافي.. فالناس سواسية، والعصبية «فتنة» كما وصفها الرسول، ونحن مدعوون لأن ندعها، فكلكم لآدم وآدم من تراب كما قال صاحب الدعوة ﷺ.

أما حديث هؤلاء عن الخيرية فهو حديث مضحك، ولكنه ضحك كالبكاء، الآية التي يعنون هي قول الحق في سورة آل عمران: (كنتم خير أمة أخرجت للناس...) آل عمران: ١١٠، هناك قضايا يسوقها القرآن مساق الأخبار وآيات يسوقها مساق الإنشاء، هذه قضية يسوقها القرآن سوقاً إنشائياً، أي إن الله يكلفنا أن ننشئ أنفسنا على أن نكون على هذه الخيرية، وقد تكون وقد لا تكون، فهي دعوة إلى حلبة المنافسة في الأخذ بسنن الحضارة والتقدم، كما أنها خيرية ليست بسبب عنصري واستعلائي أو عضوي أو عسكري.

بل هي خيرية إيمانية أي كونوا يا من تؤمنون بي مؤهلين لأن تكونوا على خير... وإن عملتم بأسباب الخيرية فسوف تكونوا، وإلا فلن تتحقق لكم هذه الخيرية.

هذه الخيرية هل يمكن أن ندعيها ونحن ضعفاء أو مقصرون في الأخذ بالنهضة ومصادرها... إذن، الآية توجه المشاعر حتى نكون أحسن أمة زرَّاعة، وأحسن أمة صناعة، وأحسن أمة أخلاقاً، وأحسن أمة إنتاجاً.

ثم إن أساس هذه الخيرية لم تغفله الآية.

الآية تقول: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمرن: ١١٠.

هذه الأسس الحضارية تجعل الأمة، أي أمة، على القدر المطلوب من الخيرية المطلوب من المسلمين أن ينشئوها، ولتأكيد هذا المعنى قال الله تعالى بعد هذه الحقيقة مباشرة: (ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) آل عمران: ١١٠.

فأين العنصرية في الآية أو في دعوة الإسلام كله...؟!. إنها ليست إلا في عقول الحاقدين!.

غير المسلمين يدخلون في بناء الأمة الحضاري والتأول على معاملة الأقليات وهذا لا يراد به إلا الفتنة

مطلوب من المؤسسات

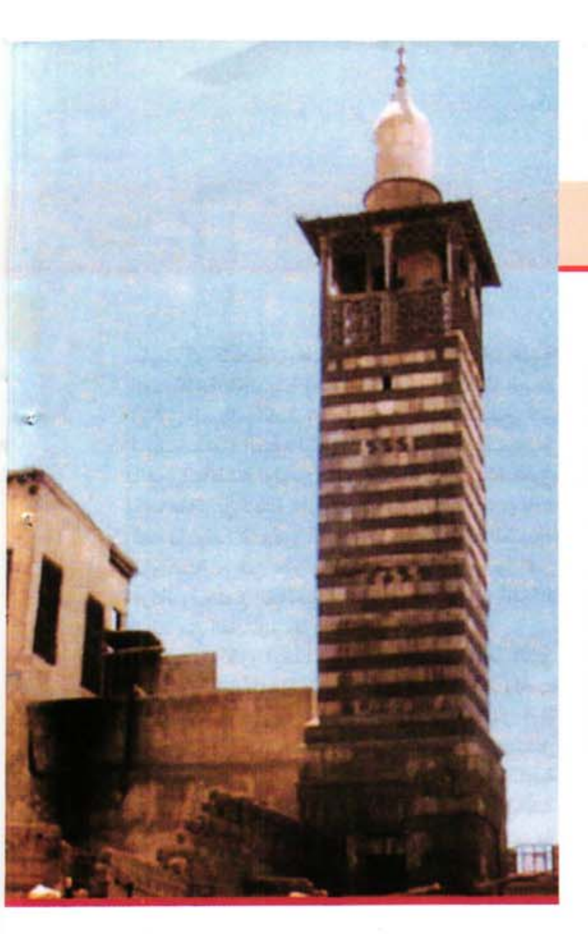
● مع الرغبة في إنضاج مشروع حضاري مميز للأمة الإسلامية... ومع الغبار الكثيف الذي يثيره الآخرون حول رسول الإسلام وقضايا المسلمين... بماذا تدعو مؤسسات المجتمع في هذا الصدد؟!



. عندنا مؤسسات في المجتمع مشغولة بالدين وقضاياه، وعندنا مؤسسات لا أقول ضد الدين بل أقول: إن الدين ليس على أجندة اهتماماتها، والذي أدعو إليه ألا يكون في عالمنا الإسلامي خط مناهض لثوابتنا الشرعية أو يعمل كطابور خلفي يروِّج لأهداف الخصوم من حيث يدري ولا يدري!.

وفي الوقت ذاته، فإن المؤسسات المشغولة بالدين وهي متعددة ورائدة ومبشرة، لها أن تشغل نفسها بالقضايا الملحَّة، وعليها أن تتعاون فيما بينها ليكمل بعضها بعضاً، عندنا نحن المسلمين جهاد كبير في شرح حقائق الإسلام، والدفاع عن رسوله وحماية تقاليدنا الاجتماعية الحسنة، واستنهاض الأمة نحو إتقان العمل، واستكشاف أسرار الكون، وتطبيق نموذج عملي في التربية والأخلاق والسلوك... وهي أهداف ينوء بحملها المجموع فما بالنا لو تصدى لها الآحاد والأفراد؟!.

إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، تلك حكمة واقعية بليغة ولا نريد لمؤسسة دينية أن تبتعد في نشاطها عن أهداف المجموع، ولنتعاون في إصدار الكتب ونشر المؤسسات وتأسيس المراكز البحثية وإصدار الصحف والمجلات والفضائيات وإنشاء المواقع الإلكترونية ونشر المراكز والمساجد والمدارس التي تأخذ الناس نحو دين الله وتنافح عن صاحب الرسالة الذي ما انفك الخصوم يوماً عن تجريح سيرته وسنته!! ■



إعداد: محمد مروان مراد

أولت دمشق عناية كبيرة لبناء الجوامع وأماكن العبادة المختلفة، ففي دمشق القديمة والحديثة، عشرات الجوامع الكبيرة والصغيرة. المصممة وفق طراز إسلامي معماري قديم وموشاة بروح العصر وتقنياته، ودمشق داخل السور الكبير تغص بالجوامع والمآذن القديمة والجديدة، الكبيرة والصغيرة، لا تكاد تعبر شارعاً إلا وتلمح مئذنة على يمينك وأخرى عن يسارك، وتكاد تكون أماكن العمل والتجمعات اليومية لسكان دمشق أغزر هذه الأماكن بالجوامع، أماكن العبادة المقدسة للمسلمين في أثناء عملهم في الأسواق القديمة في أسواق العمارة والحميدية والسويقة وباب السريجة وباب توما وغيرها، وللمآذن في دمشق تاريخ خاص ومميز معمارياً.

مآذن دمشق الفيحاء

أمثلة جميلة على العمارة العريقة والفن الأصيل

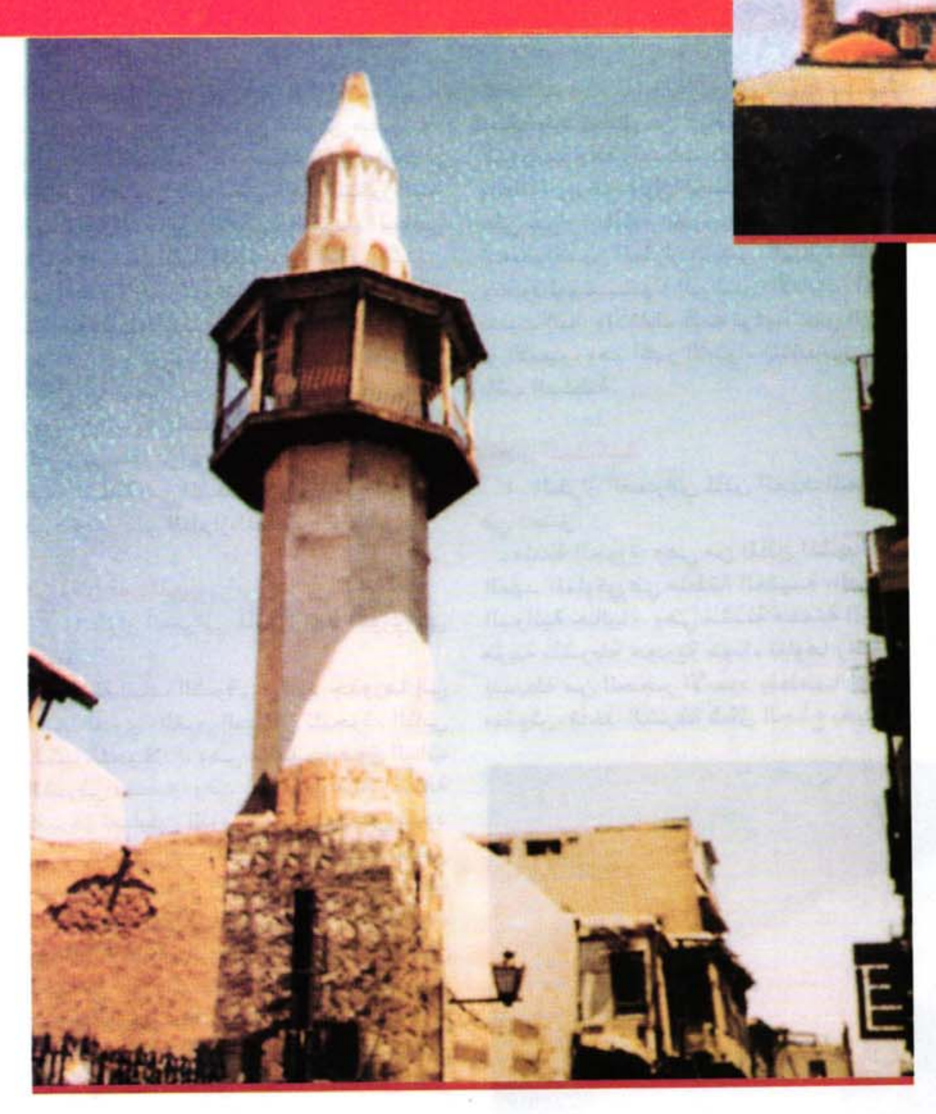
كانت مآذن دمشق على الدوام موضوع اهتمام الباحثين في تاريخ المدينة وآثارها المعمارية والفنية، ومن أهم الأبحاث المتوافرة لدينا في هذا الصدد البحث الميداني الذي أعده مصوراً الدكتور «قتيبة الشهابي» وصدر في كتاب عن وزارة الأوقاف عنوانه: «مآذن دمشق تاريخ وطراز».

تقسم المئذنة من حيث عناصرها إلى ثلاثة أقسام هي «البدن - الشرفة - القمة» وقد نجد فيها درجاً للصعود داخلياً وخارجياً ونوافذ تهوية وإنارة واضحة ومميزة.

وتتميز المآذن بأنواعها المتعددة عمرانياً من خلال رأس المئذنة حيث يشتهر منها نوعان أساسيان الأول: وهو عبارة عن بدن تغطيه قبة مخروطية، بقمة ذات زاوية حادة وجوانب متسعة بشكل مخروطي لتشكل قبة جالسة فوق البدن «قاعدة متسعة وقمة مدببة».

الثاني: وهو عبارة عن بدن يحمل قبة ذات قطاع نصف دائري أو مدبب أو بصلي الشكل أو كمثري الشكل مضلع من الخارج.. ومنها الشاهق المرتفع المزين بنقوش وتزيينات إسلامية الطابع ومنها المنخفض، ومهما كان نوعها وشكلها يوضع في قمتها هلال من المعدن بشكل بارز. وفي دمشق نحو تسعة عشر طرازاً معمارياً شيدت بها مآذن دمشق. ولقد تميز كل عصر من العصور التي توالت على المنطقة بطابع خاص يطبع به المعمار من حيث الشكل الخارجي كطراز مميز أو من حيث التزيينات والنقوش الزخرفية.

لم تكن المآذن التي نراها اليوم موجودة من قبل، فقد كانت المساجد الأولى المنشأة حتى بدايات العهد الأموي خالية من المآذن، وكان الأذان يطلق من موضع مرتفع عن المسجد أو من فوق سطحه، كما كان الناقوس الكنسي مستعملاً لدعوة الناس إلى صلاة الفجر بمسجد «عمرو بن العاص» في «الفسطاط» حتى سنة (٥٣هـ - ٦٧٣م)، حين أمر الخليفة



«معاوية بن أبي سفيان» عامله في مصر «مسلمة بن مخلد» أن يبني صوامع للأذان فبنى فيه أربع صوامع،» إلى أن جاء عهد «الوليد بن عبدالملك»، وبدأ فيه تشييد الجامع الأموي سنة (٨٦هـ - ٧٠٥م)، واستمر بناؤه عشر سنوات لترتفع بعدها مآذنه التي حافظت جذوعها على الشكل المربع القديم، والتي تبدلت معاملها تقريباً في الحقب اللاحقة.

واستمر تشييد المآذن في دمشق وغيرها على الشكل المربع نفسه طوال العهد الأموي، ومنه انتقل إلى شمال أفريقيا والأندلس، لذلك أطلق الباحثون العرب والأجانب على هذا الطراز اسم «الطراز السوري أو المئذنة السورية»!.

في العهد الأموي

١ - الطراز العمراني لمآذن العهد الأموي في دمشق: تميزت جذوعها بالشكل المربع البسيط الخالي من العناصر التزيينية أو الزخرفية، وكانت هذه الجذوع استمراراً شكلياً لطراز الأبراج الرومانية ثم الكنيسة المربعة، ومن المؤسف أنه لم يبق في دمشق ولا مئذنة أموية واحدة - على الرغم من ندرتها - لم تتعرض إلى عوامل الترميم أو التجديد أو إعادة الإعمار في عهود مختلفة والآن لنأخذ بعض الأمثلة عن هذا الطراز العمراني للمآذن.

- مئذنة العروس: وتقع هذه المئذنة في منتصف الرواق الشمالي للجامع الأموي وتشرف على حي «الكلاسة» لذلك تدعى أحياناً بمئذنة «الكلاسة»، كما تعرف بالمئذنة الشمالية والمئذنة البيضاء، ومئذنة العروس في الأصل أموية الجذور.

وهذه المئذنة واحدة من المآذن المميزة بتكويناتها المعمارية، فجذعها مربع أموي - أيوبي خال من الزخارف والنقوش والكتابات، وينتهي بطبقة مجددة حافظت على أسلوبية الجذع وغايرت من بساطته بنوافذ مزدوجة ذات أقواس متكررة، ويرتفع فوقها جوسق مزخرف بأشرطة تزيينية بلون مختلف لينتهي بدورة صنوبرية ضخمة تتوازن في حجمها مع مجموعة الكتلة العامة.

وتعود تسميتها إلى مظهرها عندما كانت تتلألأ بأنوار الفوانيس في المناسبات مما يجعلها تشبه العروس ليلة زفافها.

- مئذنة «قايتباي»: وهي من مآذن الجامع الأموي الثلاث، المقامة فوق برج معبد «جوبيتر الدمشقي»، الروماني عند الزاوية الجنوبية الغربية لذلك سميت المئذنة الغربية، وكذلك مئذنة المسكية لإطلالتها على سوق المسكية في هذا الموقع.

وتمثل مئذنة «قايتباي» - كما يقول «ولتسينجر» - «مرحلة انتقالية انحرفت فيها عمارة المآذن المملوكية عن التأثيرات الأيوبية، واتجهت نحو تغيير مقاطع الجذور بين الأسفل والأعلى أكثر من مرة، ونحو تتويج الذرا بالقلنسوات الكروية، وتعتبر مئذنة «قايتباي» أجمل مآذن الجامع الأموي في عصرنا الحاضر.

تتميز المئذنة المملوكية اليوم بجذع مثمن يرتفع فوق قاعدة البرج الروماني في أسفله ثماني نوافذ صماء ثلاثية الفصوص فوقها «مداميك» حجرية سوداء تساير انحناء الأقواس، وتتصل في أعلاها بدوائر زخرفية سوداء تحددها أطر متناوبة النقوش والألوان فتضفي على هذا الجزء من الجذع عنصراً زخرفياً غاية في الجمال والإبداع، كما تتدلى

المقرنصات تحت شرفة المؤذن المسيجة «بدرابزين» حجري مزين بنقوش مفرغة، وترتفع فوقها ساترة بسيطة يعلوها القسم الثاني الأصغر قطراً من الجذع تتكرر فيه الزخارف الدائرية والأنطقة السوداء، لينتهي بشرفة مؤذن ثانية أصغر من الأولى تتدلى من أسفلها المقرنصات أيضاً، ويكمل الجذع طريقه نحو الأسفل ليغاير مرة أخرى رتابة تسمى الجذع السفلي، فيأخذ شكلاً أسطوانياً أصغر قطراً وينتهي بجوسق يحمل ذروة صنوبرية الحجر كانت الذروة الأولى التي شيّدت في دمشق بل يمكن القول إن هذه المئذنة هي المئذنة الأولى التي شيّدت في دمشق على الطراز المملوكي الوصفي.

في زمن نورالدين

٢ ـ الطراز العمراني لمآذن العهد النوري في دمشق:

ـ مئذنة الباب الشرقي: وتعود جذورها إلى العهد النوري «القرن السادس للهجرة ـ الثاني عشر للميلاد»، وهي مشيدة فوق الباب الشرقي نفسه، وقد تعرضت هذه المئذنة كغيرها لعمليات الترميم والتجديد في عهود مختلفة، وهي بحالها الراهنة تعكس خصائص الجذع الأيوبي المربع، المتقشف، الخالي من العناصر التزيينية، والزخرفية، وكذلك الشرفة البسيطة، ثم يطرأ التحول المفاجئ في رأسها الذي تغطيه قلنسوة مخروطية عثمانية كثيرة الأضلاع ترتفع فوق جوسق مملوكي مثمن، ومن تسميتها يتضح لنا بأنها نسبت إلى الباب الشرقي الذي ترتفع فوقه.

ـ مئذنة جامع حسان: أيضاً هي بالأصل من مآذن العهد النوري، وهذه المئذنة بحالها الراهنة مزيج من طرز متعددة نتيجة أعمال الترميم التي أجريت عليها. فهي ذات جذع مربع، وشرفتها مثمنة الأضلاع على طراز العمارة المملوكية، وفوق رأسها جوسق مثمن، وقلنسوة مخروطية عثمانية تساير سطوحها عدد أضلاع الجوسق.

العهد الأيوبي

٣ ـ الطراز العمراني لمآذن العهد الأيوبي في دمشق: مئذنة المدرسة الأتابكية، وهي من مآذن العهد الأيوبي في حي الصالحية، وقد شيدت هذه المئذنة بجذع مربع بسيط ومتقشف خال من الزخارف والتفاصيل التزيينية والمقرنصات، تعلوه شرفة مربعة ومظلة، ويرتفع فوق الجميع جوسق وخوذة على غرار مئذنة المدرسة المرشدية، لذلك تصنف ضمن الطراز الأيوبي لعمارة المآذن، وتعود تسميتها إلى اسم «الأتابك» الذي نسبت إليه، والأتابك كلمة تركية تعني الوالد أو الأمير، وهو أكبر الأمراء المتقدمين بعد نائب السلطنة.

المآذن المملوكية

٤ ـ الطراز العمراني لمآذن العهد المملوكي في دمشق:

ـ مئذنة الجوزة: وهي من المآذن المشيدة في العهد المملوكي في منطقة العقيبة «العمارة البرانية حالياً». وهي مئذنة مثمنة الجذع مزينة بأشرطة حجرية سوداء تعلوها زخارف بسيطة من الحجر الأسود يقطعها إفريز منقوش، تأخذ الشرفة شكل الجذع يحيطها درابزين من الخشب المخروط وتعلوها مظلة على شاكلتها كما يرتفع فوقها جوسق مثمن بطبقتين العلوية منهما مزينة بأقواس على شكل محراب، وينتهي رأس المئذنة بذروة صنوبرية تنتهي بتفاحات وهلال كامل الاستدارة، وبذلك تصبح المئذنة مهجنة بالتجديد، ولم يأت أحد من المؤرخين على ذكر أصل تسميتها.

ومن الطراز الشامي بتأثير مملوكي صنف





الباحث الدكتور «قتيبة الشهابي» خمس مجموعات:

ـ المجموعة الأولى: مئذنة ذات طابع شامي محلي، جذعها مثمن الأضلاع، خال من الزخارف والتزيينات إلا من بعض كوى الإنارة أو النوافذ الاعتيادية، شرفتها ومظلتها وجوسقها مثمنة على غرار الجذع. ومن الأمثلة على هذه المجموعة مئذنة جامع الحرش التي ترتفع فوق جامع الحرش، وتعود تسميتها إلى منطقة «الحرش» عند مقابر المهاجرين.

المجموعة الثانية: لها خصائص المجموعة الأولى نفسها ولكن هناك زيادة في زخارف الدرابزين، والأشرطة التزيينية حول الجذع أو الجوسق أو الذروة مجتمعة أو منفردة.

ومثال عليها جامع الإصلاح الذي يتميز بمئذنة معاصرة ترتفع فوقه. والكائن في جادة الإصلاح إلى الشرق من الباب الصغير ضمن سور المدينة القديمة، وتعود تسميتها لموقع الجامع في جادة الإصلاح.

ـ المجموعة الثالثة: وهي تحمل الخصائص نفسها، إضافة إلى المقرنصات، والفن الزخرفي في الأشرطة التزيينية والحشوات الهندسية وتزيينات الدرابزين.

الأمثلة على هذه المجموعة كثيرة منها مئذنة جامع عصفور التي ترتفع فوق الجامع الكائن في حي الميدان الفوقاني.

ـ المجموعة الرابعة: وتمتاز بالخصائص نفسها، مع إفراط وترف زخرفي وتزييني أكبر، ومثال عليها مئذنة جامع السنجقدار وكانت من مآذن العهد المملوكي عند زاوية التقاء جادة السنجقدار بشارع الدرويشية الحالي وتعود تسميتها لمنطقة السنجقدار.

ـ المجموعة الخامسة: خصائص المجموعتين الثالثة والرابعة نفسها، ولكن بإفراط في رقش الجذع والجوسق بالأشرطة والزخارف الحجرية ذات اللونين الأسود والأبيض بدلاً عن التزيين بالنوافذ المقوسة والشرفات، ومثال هذه المجموعة مئذنة جامع التكية المولوية.

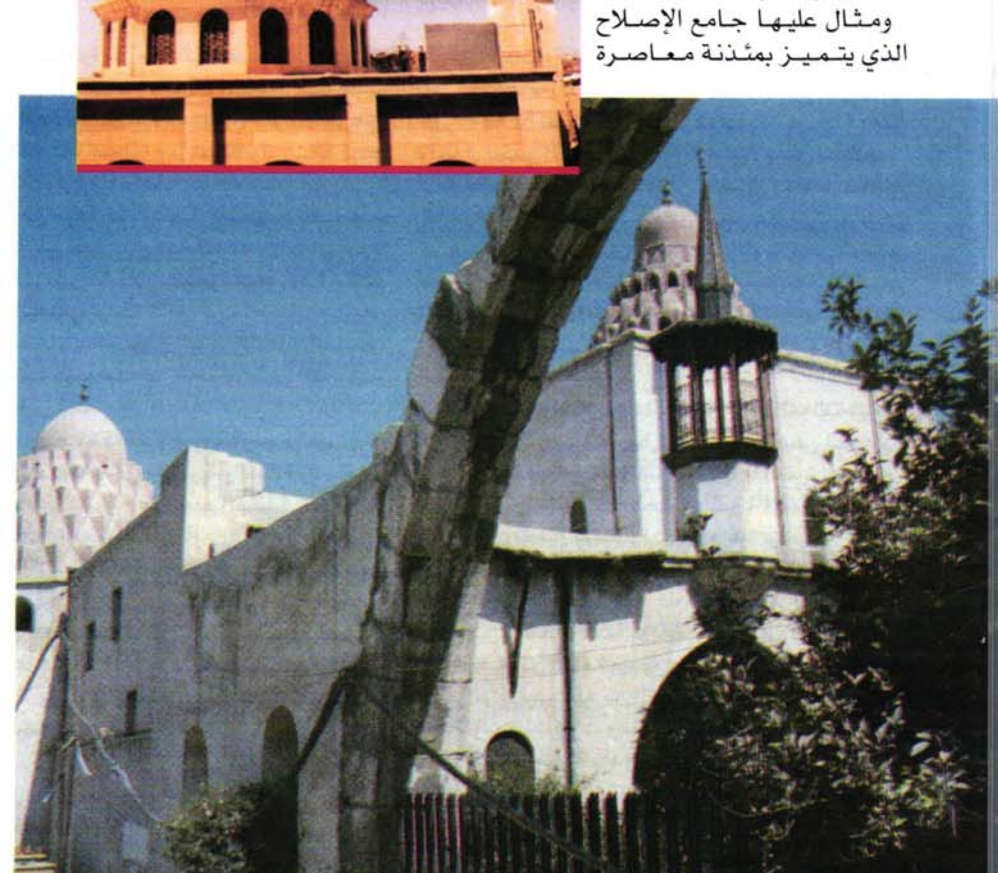
وترتفع هذه المئذنة فوق جامع المولوية الكائن عند الطرف الغربي لشارع النصر، وسبب تسميتها نسبة إلى التكية المولوية الواقعة عندها والمشيدة سنة (٩٩٣هـ - ١٥٨٥م).

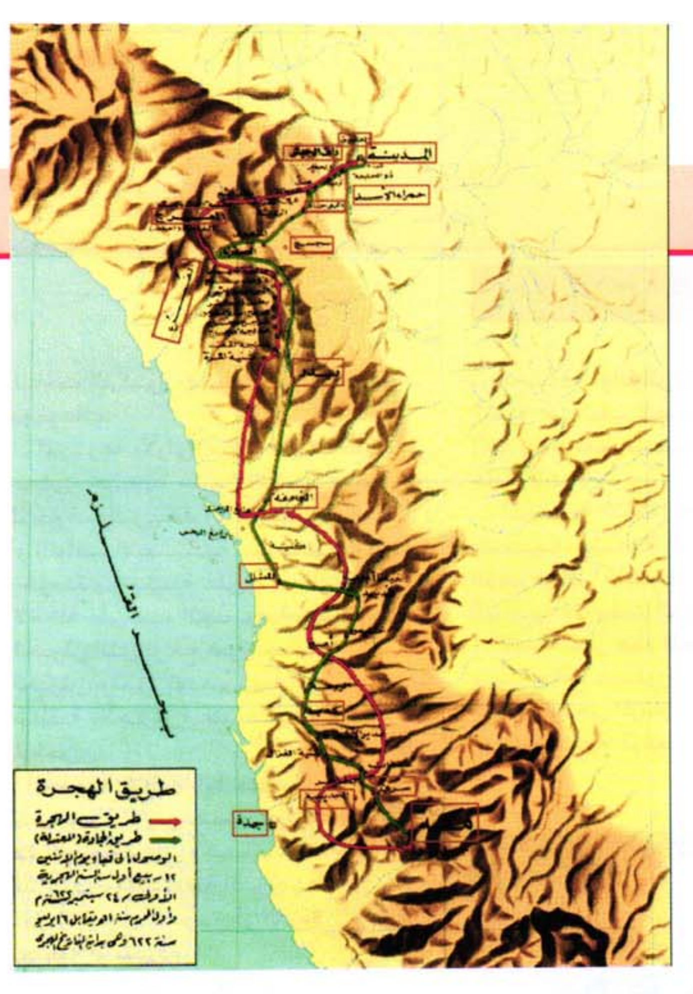
مآذن العهد العثماني

مع دخول العثمانيين إلى دمشق بقيادة سليم الأول، تم تشييد مبان عمرانية كثيرة لا تزال ماثلة حتى يومنا هذا، وقد طرأ تغير واضح في ملامح المآذن التي بنيت في عهد العثمانيين، فاتسمت المئذنة في العهد العثماني بتحول الجذع إلى الرشاقة والارتفاع، كما اتسمت بالشكل الاسطواني... وظهرت القلنسوة المخروطية المصفحة بالرصاص. كما تناقص استعمال الزخارف والنقوش ومثال ذلك «مئذنة جامع فتحي، مئذنة مسجد الرفاعي»، كما أنشئت في هذا العهد مآذن على طراز العمارة المملوكية ذات الجذوع المثمنة والذروة الصنوبرية مثل «مئذنة جامع مراد باشا».

هذا التحول الجديد في شكل المئذنة أعطاها طابعاً فريداً ومميزاً حتى عن تلك المآذن العثمانية الموجودة في استانبول فهي مزيج من طابع شامي ونفس عثماني.

وما المآذن المختلفة والمتباينة المنتشرة في مدينة دمشق وضواحيها امتداداً إلى الأحياء السكنية المحدثة المحيطة بمدينة دمشق إلا حصيلة مراحل تاريخية مرت على دمشق ظهر آخرها من المآذن الحديثة الهجينة منها «مئذنة الجامع المحمدي - مئذنة جامع عمر بن عبدالعزيز» في حي المزة في دمشق وقد بنيت وفق طراز معماري حديث ■





أسس بناء الدولة الإسلامية بعد الهجرة

"الأمة المسلمة اليوم في أشد حاجة إلى الأسس التي قامت عليها الدولة الإسلامية بعد الهجرة إلى يثرب"



بقلم:
أ.د.محمد الدسوقي

تعد الهجرة من مكة إلى المدينة من الأحداث الفاصلة في تاريخ الدعوة الإسلامية، فقد كانت نهاية لعهد تعرض فيه المسلمون لألوان شتى من الاضطهاد والأذى فما ضعفوا وما استكانوا، وبداية لعهد جديد نصر الله فيه الإسلام على أعدائه نصراً مؤزراً.

إن الهجرة في جوهرها انتصار للعقيدة التي تأبى الدنية والمهانة في الدين والدنيا، كذلك كانت الهجرة أسلوباً عملياً في نشر الإسلام والدعوة إليه، بعد أن فقد الرسول صلى الله عليه وسلم الأمل في مكة، فقد صيرها المشركون بيئة فاسدة لا تصلح لنشر الدعوة الخاتمة، والرسالة العامة التي بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للناس كافة.

على أن هذه الهجرة كانت المقدمة الضرورية لقيام الدولة الإسلامية، دولة الحق والحرية والعدالة والمساواة، الدولة التي بدأت البشرية على يديها عهداً جديداً لم تعرفه من قبل في تاريخها الطويل.

وهذه الدولة الإسلامية الفريدة في تاريخ البشرية قامت على أسس لم تقم عليها دولة في الماضي والحاضر، لأن مصدرها الوحي الإلهي والهدي النبوي، ومن ثم جاءت قواعد كلية، ومبادئ عامة لا يبليها الزمن، ومستقيمة لا يقومها التطور، ومثبتة لا تنال منها الحوادث، صالحة لكل أمة، ملائمة لكل زمن، قائمة في كل مكان.

وهذه الأسس يمكن تقسيمها قسمين:

١ - القسم التشريعي.

٢ - القسم التنظيمي السياسي.

ويشمل القسم الأول كل ما فرضه الحق سبحانه وتعالى من تشريعات وآداب، ويمثل هذا القسم الجانب النظري في بناء الدولة، إذ يقوم على تقرير الأحكام التي يجب على الأمة أن تطبقها في كل شؤونها، لتكون دولة رائدة وقائدة، تحمي الحق والعدالة، وتناهض الباطل والظلم.

والحديث عن هذا القسم في تفصيل وشمول يحتاج إلى دراسة مستفيضة ولا مجال لها في هذه الكلمة، ولكن ما ينبغي التذكير به أن ما فرضه الإسلام من فرائض وقرره من مبادئ كله وحدة مترابطة متكاملة، لا تعرف الانفصام في حياة المسلم، فهو يأخذ نفسه بها جميعها من دون تفرقة بين ما يسمى بالعبادات أو المعاملات أو الآداب ومكارم الأخلاق.

أما القسم الثاني وهو الخاص بالجانب التنظيمي السياسي فهو يشمل كل ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة، يقصد كفالة الحياة المستقرة للمسلمين في المدينة، وتهيئة المناخ الصحي للدولة الإسلامية حتى تستطيع أن تنهض برسالتها المقدسة كما ينبغي أن تكون.

إن سكان المدينة بعد الهجرة كانوا متنافرين من حيث التركيب الاجتماعي، فقد كان يقيم فيها المسلمون من المهاجرين والأنصار، كما كان يقيم بها اليهود والمشركون، بالإضافة إلى المنافقين، ومن شأن هذا المجتمع الذي يضم ألواناً متباينة من العقائد والقيم أن تكثر فيه الخلافات والمشكلات والمؤامرات، ولكن الرسول استطاع بعبقريته السياسية وقدرته الفائقة على القيادة، وتمتعه بأكمل الصفات في شتى المجالات أن يقود هذا المجتمع المتنافر، ويجنبه العثرات وينتزع من طريقه الأشواك ويجعل منه المجتمع الرائد في حياة المسلمين.

إن الجانب التنظيمي في سياسة الدولة الإسلامية

الذي يعكس عبقرية الرسول، وحسن قيادته يندرج تحت أمور أربعة هي:

١ ـ بناء المسجد.
٢ ـ المعاهدة.
٣ ـ المؤاخاة.
٤ ـ بناء القوة العسكرية.

١ ـ بناء المسجد: كان أول عمل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم فور وصوله إلى يثرب وبناء المسجد كان في المكان الذي بركت فيه ناقته، وقد أسهم الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه في العمل مع المسلمين، ولما رآه هؤلاء بينهم يحمل الحجارة كما يحملون ضاعفوا من نشاطهم وأخذوا يرددون:

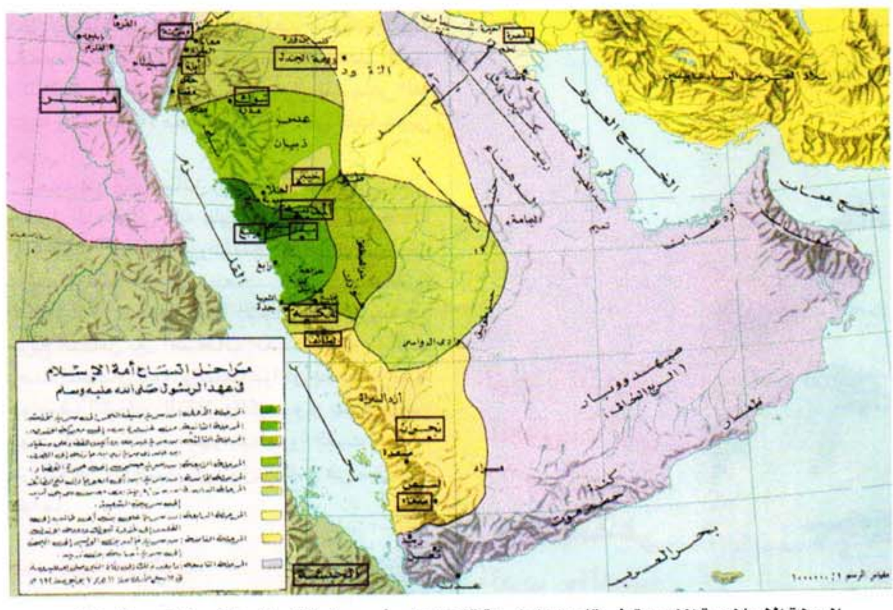
لئن قعدنا والرسول يعمل
لذاك منا العمل المضلل

ولم يكن بناء المسجد لإقامة الصلوات فيه فحسب، ولكنه إلى هذا يمثل الركيزة الأساسية في بناء المجتمع الإسلامي، فهذا المجتمع لا قوام له إلا بما شرعه الله من تعاليم، والمسجد يرمز إلى هذه التعاليم جميعها، ومن ثم كان تشييد المسجد أول عمل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم، ليكون للمسلمين أبداً النور الذي يهديهم إلى خير الدنيا والآخرة، ويرشد الأمة إلى أنها مادامت تعمر بيوت الله، وتصوغ حياتها وفقاً لشرع الله الذي يمثله المسجد، فهي خير أمة أخرجت للناس.

وظل المسجد في المجتمع الإسلامي مصدر الطاعات والقربات إلى أن أتى على هذا المجتمع حين من الدهر تخلى فيه عن العناية بالمسجد لا من حيث البناء، ولكن من حيث الالتزام بما يرمز إليه من الاعتصام بالإسلام، فأصابه ما أصابه من الضعف والتخلف، ولن يصبح المسلمون خير أمة إلا إذا أعادوا للمسجد ما كان له في الماضي من الهيمنة على الحياة في مختلف جوانبها وشؤونها.

٢ ـ المعاهدة: لما كان مجتمع المدينة متنافراً من حيث التركيب الاجتماعي كما أومأت إلى هذا آنفاً فقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على القضاء على هذا التنافر في محاولة لصهر الجميع في بوتقة الإسلام، وليتاح لكتائب الإسلام أن تنطلق من المدينة لتبليغ رسالة الله، ولتنقذ الضعفاء من تسلط المتجبرين والقاسطين.

وكانت المعاهدة التي عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم بين المسلمين واليهود من أبرز الأعمال التي قام بها في سبيل تلك الغاية، وقد قررت هذه المعاهدة أو الصحيفة أو الكتاب جملة من المبادئ والقواعد التي تعد بلا جدال آية من آيات عبقرية الرسول صلى الله عليه وسلم السياسية، كما تعد فتحاً جديداً في حياة المسلمين بعد الهجرة، وأهم هذه المبادئ ما يلي:



الدولة الإسلامية الفريدة في تاريخ البشرية قامت على أسس لم تقم عليها في الماضي والحاضر

أ ـ وحدة المسلمين: لقد قررت الصحيفة أن المسلمين أمة واحدة يتناصرون ويتكافلون، وهذا يعني أن العصبية القبلية التي كانت تحكم المجتمع العربي قبل الإسلام، وتجر عليه المتاعب والضغائن والثارات قد توارت في ظل الدعوة الجديدة التي حاربت هذه العصبية ونبذت كل دعاوى العنصرية والطائفية، وأكدت أن الناس جميعاً سواء لا يتفاضلون بالأنساب والأحساب ولكن بتقوى الله والعمل الصالح.

ب ـ تقرير الحرية الدينية: إن الإسلام يرفض مبدأ الإكراه في الدين ولهذا قررت المعاهدة حرية العقيدة وحرية الرأي، وكان هذا تكريماً للإنسان الذي حرمه القهر والتسلط من اعتناق ما يؤمن به، أو الجهر بما يراه.

جـ ـ وحدة أهل المدينة: قررت المعاهدة أن أهل المدينة جميعاً على اختلاف عقائدهم يد واحدة على أعدائهم، فعليهم أن يدفعوا عنها كل من يعتدي عليها، وبهذا أصبحت المدينة قوة تحمي جميع سكانها، وتكفل لهم الحرية والأمن والاستقرار.

هـ ـ تنظيم الحياة الاجتماعية: لم تغفل الجانب الاجتماعي، فقررت عقاب كل من يرتكب جرماً أو لا يرعى حرمة، لتظل المدينة حرماً آمناً لأهلها، كذلك دعت إلى التكافل بين الأغنياء والفقراء، تأكيداً للوحدة بينهم، وضماناً لاستقرار الحياة، في مجتمع المدينة.

وبالإضافة إلى هذه المبادئ نصت المعاهدة على قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم لكل سكان المدينة، ومن ثم سادت كلمة الإسلام فيها، وسكن المسلمون إلى دينهم وجعلوا يقيمون شعائره مجتمعين وفرادى لا يخافون أذى ولا يخشون فتنة.

المؤاخاة

إذا كانت الصحيفة قد حققت للمسلمين في المدينة الاستقرار والاطمئنان فإنها لم تخلصهم تماماً من محاولات النيل منهم، فأعداء الإسلام في داخل المدينة وفي خارجها يتربصون بالإسلام ويكيدون له ويعملون في الظلام للانقضاض عليه، فضلاً عن أن المهاجرين قد ضحوا بكل غال ونفيس من أجل الحفاظ عى عقيدتهم، لقد تركوا ديارهم وأموالهم وهاجروا في سبيل الله، إذا كان الأمر كذلك تبين لنا أن المسلمين في مستهل حياتهم الجديدة بعد الهجرة كانوا في أمس الحاجة إلى تشريعات تشد أزرهم، وتحمي وحدتهم، وتعدهم لخوض المعارك المتباينة ضد الشرك والنفاق والحقد.

وكانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار تشريعاً يتلاءم مع طبيعة الفترة الحرجة التي كان المجتمع الإسلامي يمر بها عقب الهجرة، فقد حققت التعاون والتناصر بين أفراد المجتمع تحقيقاً كفل له التماسك والتغلب على كل ما يتهدده في المدينة وخارجها.

والشهير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

آخى بين المهاجرين والأنصار بعد قدومه المدينة بخمسة أشهر، وأن هذه المؤاخاة كانت على الحق والتوارث والمواساة، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: تآخوا في الله أخوين أخوين».

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال: آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه المهاجرين الأنصار، وورث بعضهم من بعض حتى نزلت: (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض) الأنفال:٧٥. لقد كان هذا الإخاء صلة فريدة في تاريخ التكافل بين أصحاب العقائد، وبه ازدادت وحدة المسلمين قوة، واستطاعوا أن يصمدوا أمام عواصف الشرك والنفاق والكيد، وأن ينطلقوا من مهجرهم بعد أمد وجيز، ليطهروا البيت الحرام من الأوثان والأصنام، ويدخل الناس في دين الله أفواجاً.

بناء القوة العسكرية

الإسلام دين القوة ما في ذلك ريب، قوة الإيمان والعقول والأبدان والإنتاج والإعداد العسكري، فهو دين الحق، والحق من دون قوة تذود عنه لا يعيش في دنيا الناس عزيزاً كريماً، ولذا فرض الجهاد لا ليكون وسيلة لإكراه الناس على الإيمان، أو نهب ثروات الشعوب وخيراتها ولكن ليكون وسيلة للحماية، وإرهاب أعداء الله وأعداء الحياة.

ومعروف أن الإذن بالقتال والجهاد المسلح كان بعد الهجرة، فالمسلمون في مكة كانوا قلة وكانوا ضعافاً، ولا مجال أمامهم لبناء قوة عسكرية تقف أمام صلف الشرك وطغيانه، فكان من رحمة الله ألا يكلف المسلمون في مكة قبل الهجرة بالجهاد المسلح، فلا طاقة لهم عليه، فلما هاجروا وأتيح لهم في مهجرهم الاستقرار فُرض القتال.

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) الحج:٣٩ ـ ٤٠ ، وأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هذا ينمِّي لدى المسلمين فنون القتال ويدربهم عليه، فقد مارسوا الحرب في الجاهلية ولهم بأساليبها دراية ولكنهم في جاهليتهم كانوا يثيرون الحروب لأتفه الأسباب وأوهى العلل، غير أنهم بعد أن هداهم الله للإيمان، لا يُعدون أنفسهم للحرب سعياً وراء مغنم دنيوي وإنما يفعلون ذلك إحقاقاً للحق، ومن هنا كان إعداد القوة تحكمه دائماً عقيدة الإيمان ومبادئ الخير والسلام: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفَّ إليكم وأنتم لا تظلمون) الأنفال:٦٠.



الهجرة انتصار للعقيدة التي تأبى الدنية والمهانة في الدين والدنيا

وإذا كانت القوة وردت في الآية الكريمة مطلقة فتشمل كل قوة معنوية ومادية، فإن الذي يستلفت النظر أن رباط الخيل جاء بعد الأمر بإعداد القوة مع أنه يدخل في مفهومها، ويبدو أن في هذا التخصيص ما يشير إلى وجوب العناية بالإعداد العسكري الذي يحمي الثغور والحدود، فالتعبير برباط الخيل يُراد به القوة التي تُرابط في ثغور البلاد، وعلى حدودها، لتدفع عنها كل عدو قد يفاجئها بهجومه، ومن ثم فضَّل أن تكون من أسرع القوى تحركاً ومن أقدرها على القتال، ولعل هذا هو سر اختيار «رباط الخير» للتعبير عنه، فقد كانت الخيل هي خير ما عرفت العرب من وسائل الانتقال في الحرب وأسرعها.

وقد جاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل إعداد المسلمين روحياً ومادياً، ليكونوا قوة ضاربة لا تخشى غير فاطر الأرض والسماء، ونجح في هذا نجاحاً فائقاً، فقد استطاع أن يجعل المؤمنين كلهم جنوداً للحق تبذل في سخاء، وتجاهد في بسالة، وتطمح نفوسهم للنصر أو الشهادة.

تلك أسس بناء الدولة الإسلامية الأولى في تاريخ الإسلام، وهي أسس ستظل في كل زمان ومكان ضرورية لقيام الدول الإسلامية، لأنها رسمت للمسلمين الطريق الذي لا عوج فيه، وبيَّنت لهم المبادئ الخالدة التي يجب الحفاظ عليها والعمل بها، ليكونوا بحق أمة الهداية ودولة النور والقوة والعزة والإباء.

إن تلك الأسس تدور في فلك لحكم بما أنزل الله والاعتصام بحبله المتين والبعد عن كل ما يؤدي إلى الفرقة والتنازع والشقاق، ثم تنظيم العلاقة ـ دون حيف أو هوان ـ بين المسلمين وغيرهم، وأخيراً إعداد القوة الحارسة لتحمي وتذود وترهب الأعداء.

وما من شك في أن الأمة الإسلامية في أشد الحاجة اليوم إلى تلك الأسس، فما نالها ما نالها إلا بسبب التفريط في أحكام الله، وهذه الفرقة التي تكاد تقضي على الوحدة الجامعة المقدسة، وكذلك هذا الاضطراب في علاقة المسلمين بغيرهم، وهو نتيجة حتمية للضعف والتفرق، ولن يبلغ المسلمون ما يتطلعون إليه إلا بالعودة العملية الجادة إلى أحكام قرآنهم وهدي نبيهم، فصلاح أمر المسلمين اليوم لن يكون إلا بما صلح عليه أمرهم بالأمس، والله المستعان ■

•• الهوامش ••

١ ـ انظر الرسول القائد ـ للواء «محمود شيت خطاب» ص٦٠.
٢ ـ انظر حياة محمد لـ«هيكل» ص٢٢٨.
٣ ـ انظر محمد صلى الله عليه وسلم وبنو إسرائيل للدكتور «مصطفى وصفي».
٤ ـ انظر البداية والنهاية لـ«ابن كثير» ج٣ ص٢٢٦.
٥ ـ انظر الدرر في اختصار المغازي والسير لـ«ابن عبدالبر» ص ٩.
٦ ـ انظر سورة الأنفال عرض وتفسير للدكتور مصطفى زيد ص ١٦٩.



ضوابط النشر

حرصاً من إدارة مجلة الوعي الإسلامي إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة منضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقاً للشروط التالية:

• ما يتعلق بالكاتب •

- أن يكون الكاتب متخصصاً في مجال كتابته أو ذا ثقافة تؤهله للكتابة.
- أن يرسل صورة شخصية لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.
- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.
- أن يكون العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف والفاكس واضحين إن وجدا.

• ما يتعلق بالمادة العلمية للمقال •

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة، أو ملمحاً فريداً يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي والثقافة النيّرة والعلم الشرعي.
- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرَّجة.
- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشاراً إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب، واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.

- ألا يزيد المقال عن ثلاث صفحات فلسكاب، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- لا تنشر المقالات والبحوث المأخوذة من كتب منشورة.
- ألا يكون المقال منشوراً في المجلات الأخرى.



لن يهرم القلم

شعر: محيي الدين عطية

قالوا ترجَّل، فقد أودى بك الهرمُ ... إذ شاخ نظمُك واسترخى به النغمُ

قد قلت ما قلت حتى لم تعد أذنٌ ... تهوى السماع، كأنَّ المنتدى صممُ

يا شاعر الأمس عهد الشعر قد ولَّى ... مُذ أصبح المطربُ الشادي هو الرقمُ

مُذ أن تربَّع فوق العرش حاسبُنا ... والتفَّ من حوله الأعرابُ والعجمُ

قيثارة الشعر قد عِفنا مجالسها ... فازهد بها، قبل ألا ينفع الندمُ

* * *

قلتُ استعيذوا من الشيطان، ويُحَكمو ... إنْ راح عهدُ الصبا، لن يهرمَ القلمُ

مثلَ النبات، ينمو الذوقُ ممتداً ... في رحلة العمر، أشجاراً لها قممُ

إن الحياة بلا حسٍ يُدغدغُها ... صحراء يقتاتُ من كثبانها الغنمُ

ظمأى لماء وأطيار محلِّقة ... تشدو، وفي شدوها الأمثالُ والحِكمُ

مخضرَّةٌ أرضنا دوماً ومُزهرةٌ ... إذ إنَّ أنهارها الإيمانُ والقيمُ



ورتل القرآن ترتيلا

الموسيقا في القرآن الكريم





بقلم: عبدالهادي صافي

نجد في القرآن الكريم هذه الآية التي تدعونا إلى أن نقرأه مرتلا (ورتل القرآن ترتيلا). وقد جاءٍ في لسان العرب مادةِ «رتل»: الرتل حسن تناسق الشيء، ورتل الكِلام: حسنٍ تأليفه وأبانه وتمهل فيه. قال مجاهد: الترتيل الترسل. قال: بينه تبيانا. وقال أبواسحق: «والتبيين لا يتم في العجلة وإنما يتم بأن يتبين جميع الحروف ويوفيها حقها من الإشباع».

والآية تدل على أداء القرآن بصوت حسن جميل، وذلك بأن نحسِن مخارج الحروف. ونعطيها حقها في الأداء والتجويد. وفي التجويد غن ومد يصدر عنهم جرس موسيقي عذب.

وتقع في القرآن على كثير من الآيات الكريمة التي تضطرنا ونحن نقرأها إلى أن نقيم في أصواتنا هذه الموسيقا الظاهرة في ألفاظها وكلماتها ونبرات أصواتها وفي تناسق ألفاظها بعضها مع بعض. وفي تراكيبها اللغوية وعلاماتها وأنساقها.



نحس بالظاهرة الموسيقية أولاً في الفواصل التي أحكمها القرآن إحكاماً، وهذه الفواصل «الجمل» تمتد أحياناً امتداداً طويلاً، وأحياناً تكون معتدلة من حيث الطول، وأحياناً ثالثة تكون قصيرة واتفاق الفواصل على حرف واحد أطلق عليه البلاغيون مصطلح «السجع» والسجع يحدث إيقاعاً موسيقياً هو الذي نتحدث عنه.

وقد تحدث علماء البلاغة والتفسير والإعجاز في القديم والحديث عن هذه الظاهرة الموسيقية، وأولوها اهتماماً كبيراً، والتمسوا لها شواهد من القرآن الكريم، والشواهد على هذه الموسيقا الخارجية التي يحدثها السجع كثيرة جداً، افتح أي صفحة في القرآن، فستجد أمثلة كثيرة تمثل هذه الظاهرة المعجزة، وهي ظاهرة الموسيقا، ومن أمثلة السجع الكثيرة جداً في القرآن (يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير. خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير) التغابن: ١ ـ ٣.

ومن الموسيقا ما يأتي من طريق الموازنة وهي أن تكون الجملتان أو الآيتان متساويتين في الوزن دون تقفية كقوله تعالى: (ونمارق مصفوفة. وزرابي مبثوثة) الغاشية: ١٦، (وآتيناهما الكتاب المستبين. وهديناهما الصراط المستقيم) الصافات: ١١٧ ـ ١١٨، إن الآيتين الأوليين تحدثان في هذا التوازن في الوزن موسيقا لا تخفى على أحد، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الآية الثانية، فإن التماثل الحاصل في ألفاظهما يصدر نغماً محبباً إلى النفس عند تلاوتهما وجرساً موسيقياً عذباً، وهذا يعتبر من الموسيقا الخارجية كالسجع ولكنه يزيد عليه اتفاق الوزن في أكثر من لفظ، فكلمة «نمارق» توازي كلمة «زرابي» وكلمة «مصفوفة» توازن كلمة «مبثوثة»، وكلمة «وآتيناهما» توازي وتماثل كلمة «هديناهما» وتركيب «الكتاب المستبين» يماثل «الصراط المستقيم»، والأمر يتعلق بالجرس الموسيقي الذي ينبعث من هذا التناسق والتساوي والتوازن والتماثل.

عندما يعرض القرآن مشاهد من يوم القيامة يستخدم الألفاظ ذات الجرس القوي الذي يتوافق مع عظمة البعث

وقد تنبه الباحثون في القرآن الكريم إلى دور الألفاظ المفردة في تصوير الجو العام والمناخ النفسي من خلال الأصوات والحروف التي تنبعث منها موسيقا تصور الجو النفسي الذي يكون عليه السحر من تمتمات ونفث في العقد: (قل أعوذ برب الفلق. من شر ما خلق. ومن شر غاسق إذا وقب. ومن شر النفاثات في العقد. ومن شر حاسد إذا حسد) الفلق:١ـ٥ ، فهناك توافق وتلائم بين استعمال الألفاظ المبهمة التي تنشر جواً من الغموض والإبهام وتنشر ظلالاً من الشك والحذر، وهذا الجو النفسي الذي يحدثه السحر والعمل بأدواته وآلائه، فألفاظ «الفلق، الغاسق، النفاثات، العقد» من الكلمات التي توحي بالغموض والإبهام، وهذه الألفاظ تتوافق مع الحال النفسية التي يكون عليها من يزاول السحر من غموض وتأزم وانكفاء وأسرار، وهذا النوع من الألفاظ ينبعث منه صدى موسيقي يصور الجو العام للسحر والسحرة والحسد والحسّاد. ومثل ذلك ما جاء في سورة الناس: (قل أعوذ برب الناس. ملك الناس. إله الناس. من شر الوسواس الخناس. الذي يوسوس في صدور الناس. من الجنة والناس) الناس: ١ ـ ٦، فاستخدام حرف السين المتكرر مع الكلمات يحدث موسيقا تصور حركة النفس الداخلية المتأثرة بوسوسة الشيطان، فلم تأت الموسيقا الداخلية عن طريق الألفاظ والتراكيب وإنما جاءت عن طريق حرف السين الذي له صدى موسيقي خفي يصور ما يجول في نفوس بعض الناس وما يتحرك في ضمائرهم وبين صدورهم خفية بينهم أو في عقولهم وما يدبِّرون في خفاياهم من شرور وآثام إزاء الناس.

ومن هذا النوع من الموسيقا التي تتوافق مع الجو النفسي للآيات والجو المعنوي العام سورة «الزلزلة» فقد استخدم القرآن الألفاظ التي تناسب عظمة يوم القيامة وثقله على الناس، فجاءت الفواصل أي الجمل المسجوعة متوافقة على ثلاثة حروف هي اللام والهاء والألف، وذلك في قوله تعالى: (إذا زلزلت الأرض زلزالها. وأخرجت الأرض أثقالها. وقال الإنسان ما لها) وهي من الألفاظ التي تملأ موسيقاها النفس وتصك السمع.

والقرآن عندما يعرض مشاهد من يوم القيامة أو يؤكد فكرة قيام الساعة والبعث يستخدم الألفاظ ذات الجرس القوي الذي يتوافق مع عظمة البعث وهول يوم القيامة وفظاعته: (والمرسلات عُرفاً. فالعاصفات عصفاً. والناشرات نشراً. فالفارقات فرقاً) المرسلات: ٤.١، ويستخدم الألفاظ القوية القاسية عندما يتحدث عن آيات النار والجحيم وعذاب الكافرين: (ألقيا في جهنم كل كفار عنيد. مناع للخير معتد مريب) ق: ٢٤ ـ ٢٥،، فقد استخدم الألفاظ القاسية وبعض صيغ المبالغة التي تحدث موسيقا صاخبة «كفار ومناع» وأيضاً استخدم الأسلوب

نفسه وهو أسلوب التناسق الموسيقي بين الألفاظ والجو العام الذي يريد تصويره، ويستخدم التناسق الموسيقي في الآيات التي تصور فظاعة النار (إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور. تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير) الملك: ٨.٧. أما عندما يتحدث عن الجنة والنعيم فتأتي الألفاظ سهلة عذبة يشيع فيها جو من السعادة الطمأنينة النفسية (فهو في عيشة راضية. في جنة عالية. قطوفها دانية) الحاقة: ٢١ ـ ٢٣، ففي الآيات الثلاثة إلى جانب السجع الذي يوفر موسيقا خارجية نجد موسيقا داخلية قائمة على التوافق بين موضوع الآيات وبين الألفاظ المعبِّرة عن هذا الموضوع، فالجو العام في الآيات يدل على الراحة النفسية والسعادة الأبدية التي يعيش فيها المؤمنون في الجنة. فهو مطمئن راض عن هذا العيش الرغد، يأكل ما طاب له من دون عناء أو مشقة (قطوفها دانية) فكل لفظ من الألفاظ بل كل حرف من الحروف أتى سمحاً هيناً ليناً لا عناء فيه عند نطقه ولا مشقة عند تلاوته، فالتوافق واضح بين الحال النفسية من الهدوء والطمأنينة والسعادة وبين الألفاظ السهلة ذات الحروف والأصوات اللينة التي تصدر نغماً عذباً وصوتاً مؤنساً ينسجم مع الجو النفسي الذي يعيشه المؤمنون.

وتأتي الموسيقا أحياناً من تكرار بعض الكلمات الصاخبة: «القارعة. ما القارعة. وما أدراك ما القارعة) القارعة: ٣.١، ومثل ذلك في: (الحاقة. ما الحاقة. وما أدراك ما الحاقة) الحاقة: ١ ـ ٣، وهذه الكلمات المكررة ذات وقع قوي وخاص في الأذن والنفس يصور هول يوم القيام وعظمته، وفي سورة الانشراح نجد هذا التكرار الذي ينبعث عنه صوت موسيقي يحدث هزّة في النفس تطرب إليه وتشعر بلذة الطمأنينة (فإن مع العسر يسراً. إن مع العسر يسراً) الآيتان: ٥ ـ ٦، فالتكرار إلى جانب أنه يؤكد معنى حصول اليسر بعد الشدة والفرج بعد الضيق، إلا أنها من الناحية الجمالية والموسيقية يترك في النفس أثراً لصوت موسيقي عذب يجري داخل القارئ عندما يقرأ سورة الشرح.

قارئ القرآن يحس بأثر الموسيقا في كثير من الجمل الخبرية والإنشائية

وكما تنبعث الموسيقا من الألفاظ والحروف وفي المفردات المكررة تنبعث أيضاً من الصور الفنية نفسها من تشبيه واستعارة ومجاز عقلي ومجاز مرسل، لأن الجمال الفني الصادر عن هذه الصور الفنية التي امتلأ بها القرآن يصدر موسيقا عذبة تصدر من أركان التشبيه أو من عناصر الاستعارة والمجاز المرسل، وهذه الموسيقا لا يشعر بها إلا المتذوقون ذوو الإحساس الفني الرفيع.

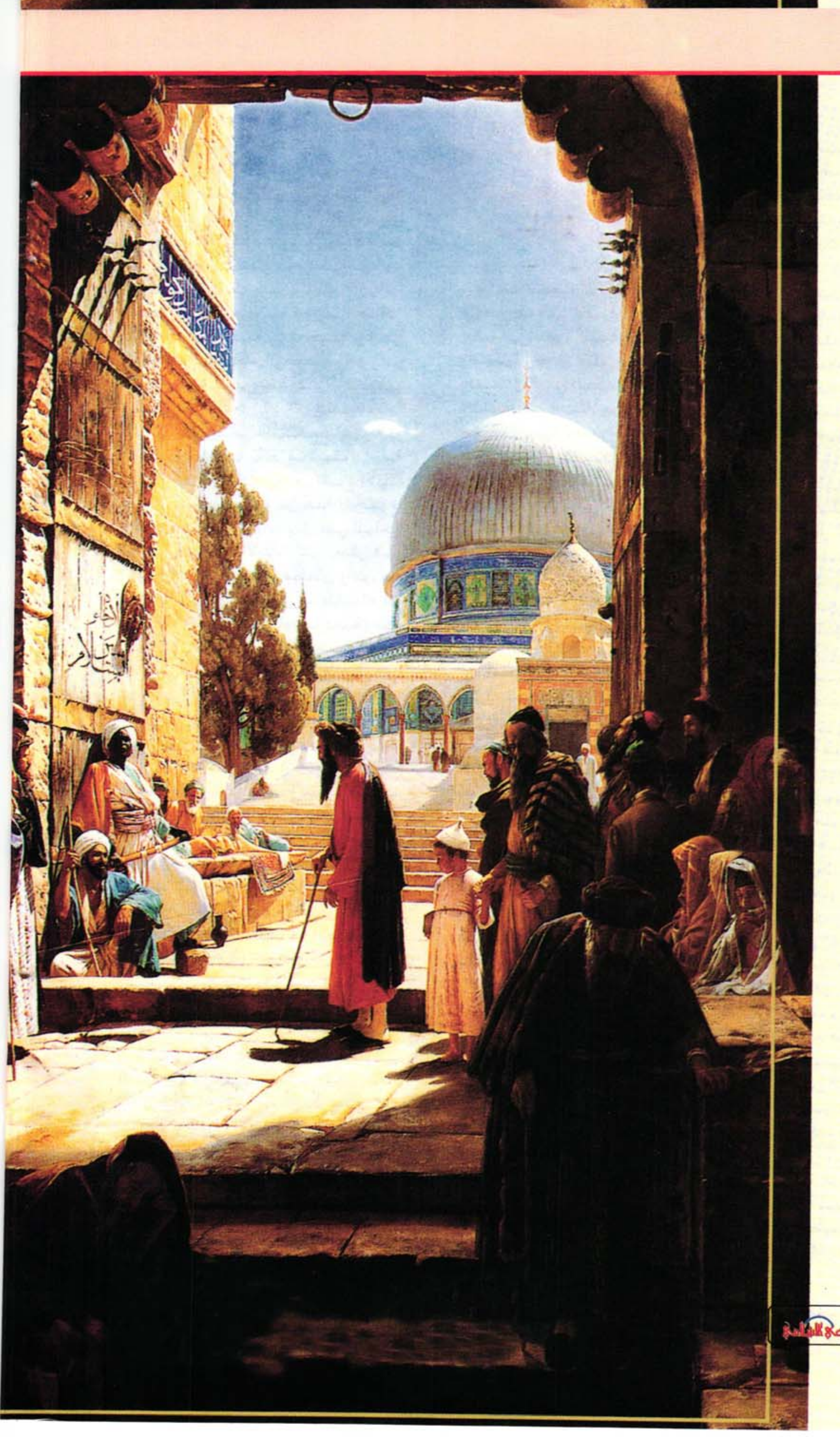
وهناك نوع عجيب من الموسيقا يصدر عن روعة النظم القرآني، فإن روعة التأليف والإعجاز في السبك والنظم وإتقان الصنعة يحدث موسيقا تصدر تآلف الكلمات بعضها مع بعض ومن تناسق التراكيب، وهذه الموسيقا الراقية لها أمثلة كثيرة في القرآن بل إن القرآن الكريم كله شاهد ودليل عليها.

إن قوة النظم وتناسقه وبناءه اللغوي يحدث موسيقا خفية لا يحس بها إلا المتذوقون لهذا البيان المعجز، فنحن نشعر بالنشاز الموسيقي إذا وضعنا كلمة بدل كلمة في القرآن، وغيرنا في ترتيب الألفاظ وتركيبها، كأن نقدم أو نؤخر، فإننا بذلك نشعر بخلل في النسق القرآني وتصدعاً في البناء الموسيقي.

وتتمثل الموسيقا أيضاً في استخدام التراكيب اللغوية والنحوية مثل الاستفهام بأغراضه البلاغية والنداء والترجي والأمر والنهي وفي استخدام تراكيب التعجب وأفعل التفضيل الذي يأتي بعد التمييز منصوباً، وينبعث من هذه التراكيب نغماً موسيقياً يصور مضمونها ومعانيها، كما أن استخدام الكلمات المنونة بتنوين الرفع أو النصب أو الجر إذا تتالت تعطي نغماً عذباً تستريح له النفس وتأنس إليه الأذن وتبعث في القلب خشوعاً مثل قوله تعالى في سورة الواقعة: (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً. إلا قيلاً سلاماً سلاماً) الأيتان: ٢٥ ـ ٢٦.

ومما لا شك فيه أن قارئ القرآن يجد كثيراً من الجمل الخبرية والإنشائية ويحس بأثر الموسيقى فيها ظاهراً قوياً. ويجد أن بعض الأصوات الصادرة عن الحروف ترسم مشهداً كاملاً، وتصور حركة نفسية تامة، والمثال الذي نضربه هنا مشهد الفتاتين اللتين استسقى لهما سيدنا موسى عليه السلام وبعد ذلك جاءتا إليه ومشت إليه إحداهما على استحياء، فإننا نجد مقاطع الجمل وبعض لحروف الصادرة عن بعض الكلمات تمثل وتصور حركة الحياء النفسية وما يتبعه من تردد وتقدم وإحجام ومشي بطيء وتفكير عظيم (فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) القصص:٢٥. فلقد بُنيت الآية على جمل قصيرة ومتقطعة وكأنها تصور مشاعر الحياء لدى الفتاة وينبعث عن هذا التقطيع تقطيع آخر وموسيقا ساعدت في رسم المشهد وتصويره تصويراً رائعاً، ونستطيع أن نقول إن الموسيقا كانت عنصراً فاعلاً في رسم العامل النفسي الذي عاشت فيه الفتاة في تلك اللحظة.

مما تقدم نستطيع أن نقول: إن الموسيقا في القرآن عنصر مهم في تصوير المواقف والمشاهد ورسم معالم الحياة وهو يتآزر من العناصر الفنية الأخرى في نشر الجمال الفني ويقدم دليلاً آخر على إعجاز القرآن، فكما أن إعجازه ماثل في الحرف والكلمة والتعبير والصورة والمضمون أيضاً ينجلي إعجازه في الموسيقا المنتشرة في كل كلمة من كلماته وفي كل جملة من جمله، وفي كل تركيب من تراكيبه اللغوية ومستواه الصرفي والفني، ففي القرآن إذاً هذه الظاهرة الصوتية وهذه العناصر الموسيقية التي تنبعث من السجع تارة، ومن الموسيقا الداخلية التي تصدر عن الحروف والألفاظ والتراكيب، وتصدر أيضاً هذه الجمل الخبرية والإنشائية ومن الصور الفنية تلذّ لها الأذن، وتأنس لها النفس، وتشعر بالخضوع والخشوع لله سبحانه وتعالى، منشئ هذا القرآن العظيم الذي أعجز البشر في كل زمان ومكان ■



عناصر النهضة الدينية عند «ابن باديس»

النهضة في نظر ابن باديس تقوم على الفرد والجماعة على حد سواء

بقلم: مرزوق العمري

أستاذ مساعد. جامعة باتنة. الجزائر



العمل الإصلاحي من منظور إسلامي هو جهد يسعى من خلاله المصلحون إلى «توريث» النبوة في المجتمع المسلم، بأن تحكمه تعاليم الوحي، وتسوده أخلاق النبوة، وحتى تكون نهضته على أساس من الدين. وقد كان هذا مبتغى مختلف الحركات الإصلاحية الإسلامية التي عرفها المجتمع الإسلامي من خلال ما بينه زعماء هذه الحركات ومنهم شيخ النهضة الدينية في الجزائر الإمام الأستاذ «عبدالحميد بن باديس»، الذي كان يؤسس لرؤية نهضوية شاملة، ورد في إحدى محاضراته وهو يعرف بحركته «جمعية العلماء المسلمين».

«إن هذه الجمعية يجب ألا تكون إلا جمعية هداية وإرشاد لترقية الشعب من وهدة الجهل والسقوط الأخلاقي إلى أوج العلم ومكارم الأخلاق في نطاق دينها الذهبي، وبهداية نبيها الأمين الذي بُعث ليتمم مكارم الأخلاق عليه وآله الصلاة والسلام»(١).

من خلال هذا تتجلي الرؤية «الباديسية» في العمل الإصلاحي، فهي إسلامية المنطق والهدف ولما كانت كذلك فقد حدد لنا «ابن باديس» الأداة في عملية النهضة الدينية وهي القرآن الكريم، لأنه المرجعية الكبرى التي ينطلق منها المسلم في مختلف أعماله.

ويستدل «ابن باديس» على ذلك من ناحيتين: ناحية علمية وأخرى عملية.

١ ـ الفكر: وهو الملكة العليا المودعة في كيان الإنسان، وبها تمكن من التفوق على سائر المخلوقات، وبها استحق التفضيل الرباني، وبه صار أهلاً لأداء الواجبات، وقد حدد الفكر أكاديمياً بأنه: «اسم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان سواء كان قلباً أو روحاً، أو ذهناً بالنظر والتدبير لطلب المعاني المجهولة من الأمور المعلومة، أو الوصول إلى الأحكام والنسب بين الأشياء»(٢).

من خلال هذا التعريف ندرك أهمية الفكر لذاته، أو لدوره في عملية النهضة وقد أدرك «ابن باديس» هذا الدور، فكان يرى أن نهضة الإنسان تبدأ بإطلاقه للنظر في جميع المحسوسات وكذلك المعقولات، ومحاولة الوقوف على طبيعة العلاقة بين هذه وتلك بغرض تحصيل المجهول من المعلوم.

مما يدل على ضرورة التفكر والتدبر، وإعمال العقل في الوجود، وهو أمر له سند عن المسلمين الأوائل، فمنهم من استنبط أول واجب على المكلف هو النظر والتفكر، ومنهم من قال بوجوب التفكير شرعاً على النحو الذي قرره الإمام «الجويني» في كتابه «الإرشاد» إذ قال: «النظر الموصل إلى المعارف واجب، ومدرك وجوبه، وله سند أيضاً عند المتأخرين مثل العقاد، وذلك ما يستوحى من عنوان كتابه «التفكير فريضة إسلامية»، والذي تحدث فيه عن ممارسة التفكير، واعتبر من ميزات القرآن الكريم الدعوة إلى ذلك، كما أنه من مزاياه التنويه بالعقل والتعويل عليه في أمور العقيدة، وفي أمور التبعات والتكاليف.

ويستدل «ابن باديس» على أهمية الفكر في عملية النهضة الدينية بقوله تعالى: (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا) سبأ:٤٦.

من خلال تفسيره لهذه الآية الكريمة يقف عند قوله تعالى: (تقوموا) فيبين أن القيام هنا لا يفيد كيفية معينة، أو الكيفية المعهودة وهي القيام على الأرجل، بل ما يستفاد من القيام الوارد في الآية هو النهوض من جميع وجوهه.(٣)

والذي يؤكد ذلك حسب «ابن باديس». أي أن القيام بوجوهه المختلفة وليس القيام على الأرجل. فهم المسلمين الأوائل له على هذا النحو، وقد مكنهم فهمهم هذا من سيادة العالم بعد أن أسسوا نهضة شاملة مما يدل على أنه فهم موفق.

ثم يقف عند قوله تعالى: «لله» مبيناً جانباً آخر لا يمكن أن يغفل في أي عمل إسلامي وهو الإخلاص، والنهضة عمل إسلامي يجب أن يخلص فيه المسلمون لله، وإن لم تكن كذلك فإنها لا تخل من ضرر يلحق بالإنسان.

ويستدل هنا أيضاً بتاريخ المسلمين الأوائل وكيف كانوا يؤسسون أعمالهم على إخلاص مجسدين بذلك خاصية الربانية كخاصية إسلامية عظيمة، لما لها من بعد أخروي، كما أنها ذات أثر دنيوي مهم يتجلى في إتقان الأعمال والتفاني في إنجاحها، إلى أن يقف عند قوله تعالى: «تتفكروا» مبيناً كيف أن هذه الكلمة تدل على أن أساس النهضة الدينية التفكير المتجدد.

وهذه النهضة في نظر «ابن باديس» تقوم على الفرد والجماعة على حد سواء، فنهضة الجماعة أساسها نهضة الفرد، وفي الوقت ذاته هي المعين على نهضة الفرد، ولذلك فالقيام الوارد في الآية الكريمة منوط بالفرد والجماعة، وما يدل على ذلك قوله تعالى: «مثنى وفرادى».

وهذا التفكير في نظر «ابن باديس» هو الذي يصل به الإنسان إلى استنباط حقائق وإدراك آيات الله في الكون، هذه الآيات هي التي تبعث التفكير من جديد في شؤون الدنيا والآخرة لقوله تعالى: (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون. في الدنيا والآخرة) البقرة: ٢١٩ ـ ٢٢٠، وهي من الآيات التي تحض على التفكير في الدنيا من أجل بناء نهضة دينية، لأنه لا يستقيم أمر الآخرة إلا باستقامة أمر الدنيا.

يقول «ابن باديس»: «جعل التفكير فهما، وقدم الدنيا على الآخرة لأنها الطريق إليها، وأبطلت الآية زعم كل مهوّن لأمر الدنيا، وصارف للعقول عنها، والله إنه لا كمال للإنسان إلا بالدنيا والآخرة».(٤)

٢ ـ الغرائز: تحديد الغرائز كعنصر نهضوي ينطلق فيه «ابن باديس» من تقريره لطبيعة الإنسان وإثبات بشريته، وما دامت النهضة يقوم بها هذا للإنسان صاحب هذه الطبيعة التي احتوت الخير والشر، فإن هذا الخير وذاك الشر لا محالة سيكون لهما الأثر الجلي في العمل النهضوي.

فالإنسان ليس عقلاً مجرداً مهمته الوحيدة إنتاج الفكر، أو أنه كائن مجرد من الغرائز فيصبح كالملائكة، كما أنه ليس غريزة بحتة يهبط بها إلى الحيوانية، بل الكيان الإنساني فيه بعد روحي يؤكد تميز الإنسان، وتفوقه النوعي، وفيه بعد طيني غريزي يؤكد بشرية هذا الإنسان، وهذا ما يؤكده القرآن الكريم في قوله تعالى: (فألهمها فجورها وتقواها) الشمس:٨.

وبذلك فالإنسان يتوافر على الخير والشر معاً وإنه بجزئه الروحي النوراني خير محض ولكن باتصال ذلك الجزء بهذا الجزء الترابي تكونت غرائزه فكانت منها أصول خير وأصول

شر. ومادامت النهضة الدينية منوطة بالفرد والجماعة معاً، فإنها لن تتحقق على هذا المستوى الفردي، أو ذلك المستوى الجماعي إلا من خلال مقاومة عناصر الشر وإنماء عناصر الخير في الكيان الإنساني.

وهذا لا يكون إلا بعملية التربية التي بها تقوّم عناصر الشر، وتزكى عناصر الخير بمختلف أدوات التزكية والإنماء التي تجعلها أكثر حضوراً في عمل المسلم، ومنه في نهضة المسلمين حتى إذا ما تحققت تلك النهضة عم بها خير الدين والدنيا، ويثبت أن الطبيعة البشرية عنصر مهم لا يمكن أن يغفل في عملية النهضة ولذلك حينما صاغ الأستاذ «مالك بن نبي» معادلة الحضارة جعل الإنسان طرفها الرئيس حينما قال: الحضارة = إنسان + زمن + تراب.

وطبيعي أن لا عبرة بالزمن ولا بالأرض في غياب الإنسان الذي يملأ الزمن أحداثاً والأرض عمراناً. كما لا عبرة بعنصر الإنسان إذا كان هذا الإنسان هابط الهمة انطفأت فيه غريزة حب البقاء التي تستنهضه فينهض. ولذلك كان اهتمام «ابن باديس» في مشروعه النهضوي بالعمل التربوي اهتماماً واسعاً حتى يحقق هذا التوازن الطبيعي المهم على مستوى أهم عنصر نهضوي وهو الإنسان.

٣ ـ العقائد: العقيدة هي جوهر الدين وركيزته الأساسية، وبصفائها يستقيم دين المسلم ويتأسس تصوره للحياة، ويتمكن من فهم قضاياها فهماً صحيحاً، ولذلك كانت بدايات الوحي تهتم بأمور العقيدة وأصول الدين، فمعظم سور القرآن المكي تناولت قضايا العقيدة كالتوحيد، النبوة، الآخرة... مثل سورة «الليل» تبين للإنسان جزاء الأفعال ومصير فاعلها: (فأما من أعطى واتقى. وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى. وأما من بخل واستغنى. وكذب بالحسنى. فسنيسره للعسرى) الليل ٥ ـ١٠، من خلال هذه الأهمية التي تمتاز بها العقائد في البنية الإسلامية، يستنبط «ابن باديس» ضرورة العقيدة في أمر الدين والدنيا، حتى يكون المسلم صاحب تصور واضح وصحيح لمختلف القضايا المتعلقة بالدين والحياة، ولذلك نجده يحذر من التقليد في العقائد لما يترتب على ذلك من باطل وفساد، وتضليل في الدين، وهو مكمن الخطر في دين المسلم.

وهذا الفهم يعتمد فيه «ابن باديس» مرجعية قرآنية، فالقرآن يدعو وفي مواضع كثيرة إلى العقيدة الحق المبنية على العلم واليقين. التي تتعامل مع القضايا حسب طبيعتها، والتي توظف عنصر الحس في باب المحسوسات. وتوظف عنصر العقل في باب المعقولات، وما يؤكد ذلك قوله تعالى: (ولا تقف ما ليس لك به علم) الإسراء:٣٦، وهو قوله تعالى: (وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً) النجم:٢٨.



ابن باديس

وبهذا نجد «ابن باديس» يحض على العلم وطلب اليقين، والتأكد في المسائل، وخصوصاً إذا كانت في باب العقائد مبيناً كيف أن القرآن ينهى عن الاكتفاء بالظن إلا حيث لا سبيل إلى غيره.

٤ ـ الأعمال: وهي رابع عنصر من عناصر النهضة الدينية عند «ابن باديس»، وتبنى على ما سبقها من فكر وغريزة ومعتقد، وما دامت كذلك فطبيعتها تكون من طبيعة مقدماتها استقامة أو انحرافاً، وقوة أو ضعفاً.

والأعمال هي الممارسة الميدانية التي تؤكد أو تنفي نقاء المعتقد، وتثبت أو تلغي نجاعة الفكر وقوة الغريزة أو ضعفها، ومدى دفعها بصاحبها إلى المزاحمة في مجال الحياة من أجل النهوض، وإثبات الوجود.

ولأهمية الأعمال أيضاً بيَّن لنا «ابن باديس» كيف اعتنى بها الإسلام عناية كبيرة من خلال مجال التشريع والأحكام، إذ وضع لها قواعد وضوابط، وبيَّن سبل إنجاحها، وجعلها شرعية مثمرة، ولذلك فالنهضة الدينية إنما هي ثمرة الأعمال التي يبذلها المسلمون، فيتأكد الدور النهضوي للأعمال دينياً.

أما الناحية العملية وهي الناحية الثانية التي يؤكد منها «ابن باديس» أن القرآن الكريم هو المنطلق في عملية النهضة الدينية، في هذه الناحية يعود بنا إلى تاريخ العرب قبيل مجيء الإسلام، وكيف أنهم كانوا أمة متخلفة في تفكيرها فلا تعلم عن الكون شيئاً، منحطة في غرائزها فكانت منقادة لها، منحطة في أعمالها، لأن هذه الأعمال تترتب عن ذلك الفكر الهابط، وذلك المعتقد الفاسد، وتلك الغرائز غير المنضبطة بضابط من الشرع.

ثم أخرجت هذه الأمة من هذا الوضع بفضل القرآن الكريم الذي جعلها تعيش نهضة دينية ما عرفتها من قبل فصدق فيها قوله تعالى: (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) إبراهيم:١.

يقول «ابن باديس» في تفسيره لهذه الآية الكريمة: «أخرجها من ظلمة الجمود إلى نور التفكير ومن ظلمة الوحشية إلى نور المدنية الراقية، ومن ظلمة الشرك إلى نور التوحيد، ومن ظلمة الفوضى إلى نور القانون والنظام»(٥).

هذه حقائق من التاريخ تشكل دليلاً واقعياً، على أن الأمة لا يمكنها تحقيق نهضة دينية إلا بالقرآن وهنا يعلق «ابن باديس» راداً على الذين يقولون إن المسلمين يحفظون القرآن، وفيهم من يحسن فهمه، ولكنهم لا يعيشون نهضة دينية.

يرد الشيخ على ذلك ويحدد بدقة أن العيب دائماً في المسلم الذي يحفظ من دون فهم أو يفهم من دون أن يعرف منزلته الحقيقية التي ينبغي أن يفهم عليها.

ويعترف «ابن باديس» بأنه في بداية حفظه القرآن لم يكن يملك هذا الفهم، ولم يدرك منزلة القرآن هذه في نهضة المسلمين فيقول: «أخذت شهادتي من جامع الزيتونة في العشرين من عمري، وأنا لا أعرف القرآن أنه كتاب حياة وكتاب نهضة، وكتاب مدنية وعمران، وكتاب هداية للسعادتين لأنني ما سمعت ذلك من شيوخي عليهم الرحمة ولهم الكرامة، وإنما بدأت أسمع هذا يوم جلست إلى العلامة الأستاذ «محمد النخلي»(٦)

وتبقى هذه النهضة الدينية واجب أهل العلم في أمتهم لأنهم وحدهم المؤهلون للقيام بها، فهم أهل الفضل وعليهم تبعة القيام بها، ويجعل منهم أمل الأمة وأنهم أصحاب الثقة والرجاء ■

•• الهوامش ••

١ ـ آثار ابن باديس، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية في الجزائر، ط١، ١٩٨٥م، دار البعث، قسنطينة، ج٤، ص٥٥.

٢ ـ طه جابر العلواني: الأزمة الفكرية المعاصرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٨٩، ص١٥.

٣ ـ آثار ابن باديس، ج٤، ص٤٧.

٤ ـ المرجع نفسه، ص٤٨.

٥ ـ المرجع نفسه، ص٥٠.

٦ ـ المرجع نفسه، ص٤٦.

أرسل الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة العامة الخالدة ففضله بذلك على من سلفه من الأنبياء والمرسلين، إذ كانوا من قبل يبعثون إلى جيل خاص من البشر، أما الرسول صلى الله عليه وسلم فاختير للرسالة العامة وعلى هذا يستشهد المسلمون عندما يقرأون قوله تعالى: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) سبأ:٢٨، ومثل قوله تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء:١٠٧، و«العالمين» لغة: «أجناس الخلق»(١).

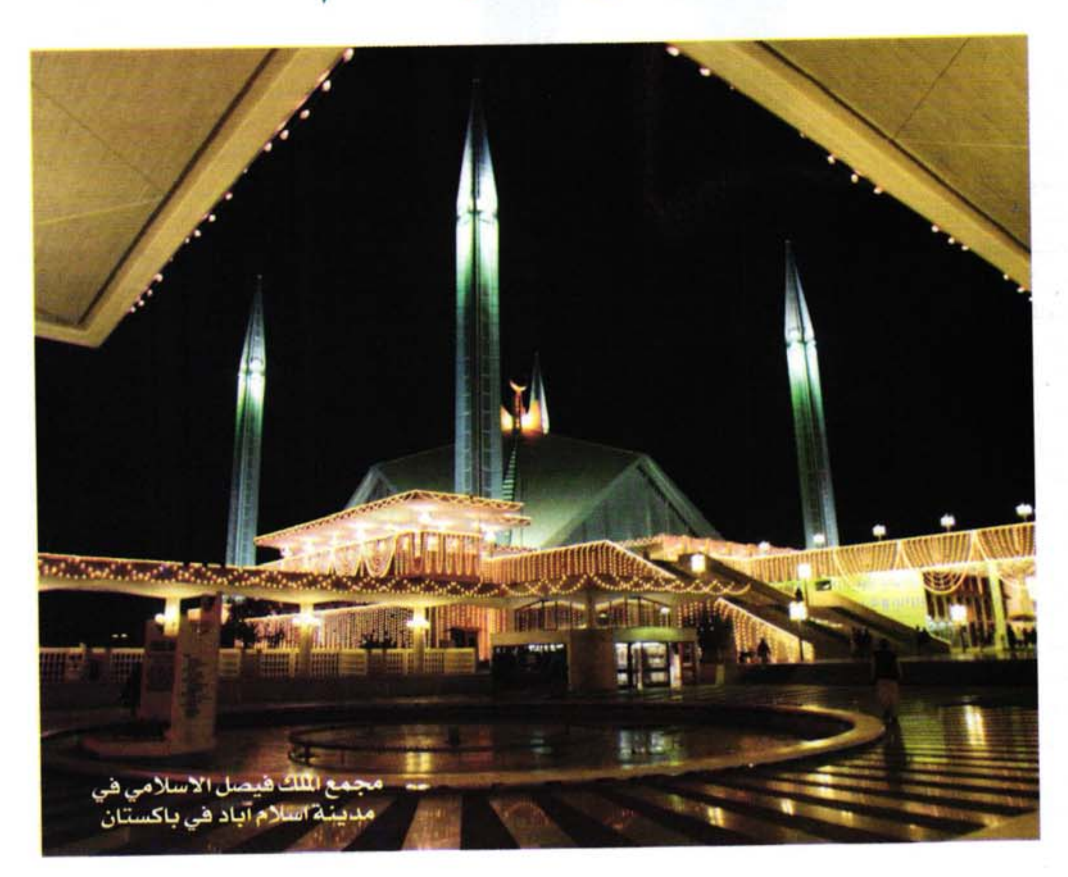
وكما أن المفهوم يتكرر في الكثير من آيات القرآن الكريم، كذلك نجد في تاريخ الدعوة النبوية شواهد أخرى لعل أكثرها دلالة السابقون من الأمم: بلال بن رباح رضي الله عنه سابق الحبشة، وصهيب بن سنان رضي الله عنه سابق الروم، وسلمان الفارسي رضي الله عنه سابق الفرس.

هل يتبلور مفهوم جديد لـ «عالمية الإسلام»؟

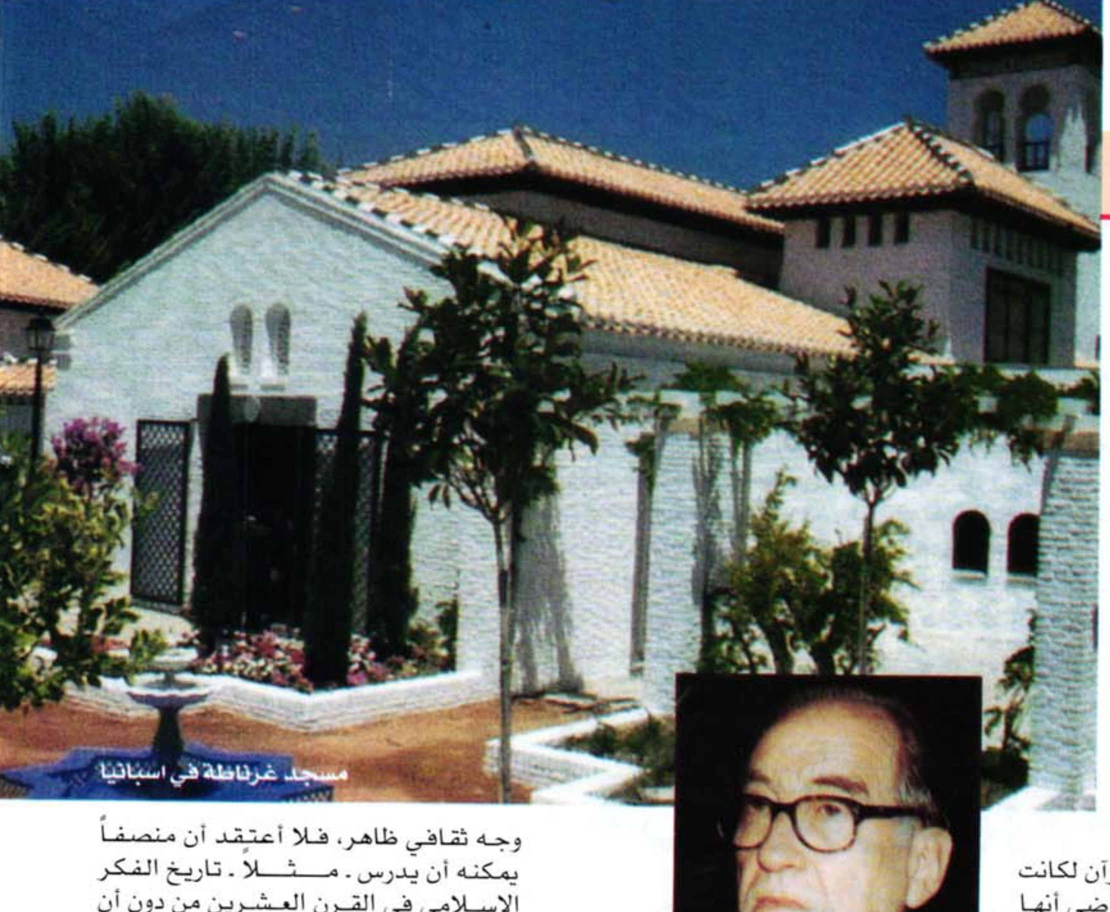
> في إطار عالمية الإسلام يحظى تاريخ الإسلام بأدوار كبيرة قام بها غير العرب في الميدان الثقافي

بقلم: ممدوح الشيخ

كاتب ومفكر إسلامي . مصر



مجمع الملك فيصل الاسلامي في مدينة اسلام آباد في باكستان



مسجد غرناطة في اسبانيا

وهي ألقاب تحمل بشارة أن الأمم التي ولدوا فيها سيكون لها من الإسلام نصيب.

العالمية بين المكان واللسان

وكما أن الله سبحانه وتعالى اختار العرب لحمل الرسالة الخاتمة اختار العربية لتكون لغة الكتاب المقدس للدين الخاتم، ويرى الشيخ الدكتور «صبحي الصالح» - يرحمه الله رحمة واسعة - أن الإسلام بذلك مهد لعالمية اللغة العربية أداة علم وحضارة، فانتشرت هذه اللغة بفضل المد الحضاري الإسلامي، واتسعت رقعة حدودها باتساع نفوذ القرآن إلى الحد الذي يسعنا معه أن نقول: لولا القرآن لكانت العربية مجرد لهجة. ويؤكد الماضي أنها محت لغات كثيرة في الدول التي دخل أهلها الإسلام في العراق ومصر وشمال أفريقيا.(٢)

وفي إطار عالمية الإسلام يحفل تاريخ الإسلام بأدوار كبيرة قام بها غير العرب في الميدان الثقافي وبخاصة الثقافة الدينة على نحو يقطع بأن عالمية الإسلام تجاوزت الأمة التي حملت لواء الدعوة في العهد الأول، بل إن المؤرخين ينسبون «المدرسة» كمؤسسة تعليمية في أول ظهور لها إلى مدينة «نيسابور» ذلك أن: المدرسة بمدلولها العام نيسابورية الأصل، فأول مدرسة بنيت للغرض الذي بُنيت له في الإسلام تلك التي بنيت في نيسابور لـ«أبي إسحاق الإسفراييني» (المتوفى سنة ٩٠٦هـ)(٣)، وفي تاريخ الأمة الإسلامية لمعت أسماء «حواضر وعواصم للثقافة الإسلامية خارج العالم العربي منها في المشرق وحده: «بخارى، وخوارزم، ونيسابور، وبلخ، وسجستان، وجرجان، وشهرستان، ومراغة، وكابل، وأصفهان، وسيراف، واصطخر،..... وغيرها كثير.(٤)

وقد يكون صحيحاً أن امتداد الوجود الإسلامي شرقاً كان يتم على حساب حضارات لم تدع لنفسها العالمية ولم تسع للتبشير بنموذجها الحضاري، كما هو الحال بالنسبة للغرب، فمنذ سعى «الاسكندر الأكبر» لفتح كل العالم القديم والمساعي الغربية - وبالتحديد الأوروبية - لم تتوقف للسيطرة على عالم الجنوب - الشرق، وهو ما خلق ثارات تاريخية لم تهدأ حتى الآن، وعلى الطريق علامات لا يمكن إغفالها في مقدمها الحروب الصليبية واقتلاع الوجود الإسلامي من الأندلس وضمنها من دون شك مأساة المسلمين في البلقان.

مراد هوفمان

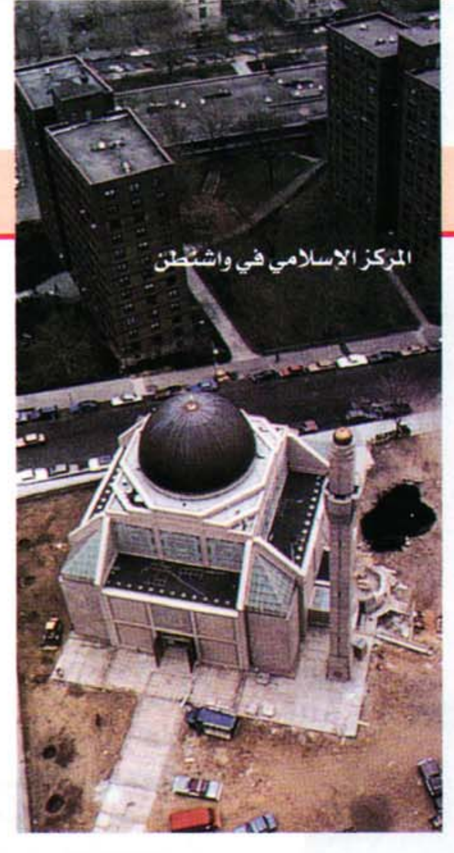
غير أن الاختلاف بين طبيعة التشكيلات الحضارية المشرقية: الفارسية - التركية - الهندية - المغولية... في تفاعلها مع الإسلام وطبيعة التشكيلات الحضارية الغربية بدأ يأخذ منحى جديداً لابد من الوقوف عنده.

فمع النجاحات التي حققتها الدعوة الإسلامية بين الغربيين أنفسهم مترافقة مع تجذر الجاليات ذات الأصول غير الأوروبية «الباكستانيون في بريطانيا - المغاربيون في فرنسا - الأتراك في ألمانيا...» أصبح هناك بكل معنى الكلمة «إسلام غربي»، وهو ذو وجه ثقافي ظاهر، فلا أعتقد أن منصفاً يمكنه أن يدرس - مثلاً - تاريخ الفكر الإسلامي في القرن العشرين من دون أن يقرأ أعمال كتاب مثل: «محمد أسد، أو علي عزت بيغوفيتش، أو موريس بوكاي، أو الدكتور مراد هوفمان».

من معالم العالمية الجديدة

انطلاقاً من الارتباط بين الإسلام والعربية يطرح المفكر الإسلامي الألماني الدكتور «مراد هوفمان» في كتابه: «الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود» فكرة تستحق التوقف عندها لأهميتها في الحوار الدائر الآن حول علاقة المسلمين بالعالم وهي أن اللغة الإنجليزية تؤدي دوراً جديداً، حتى في الحوار الإسلامي، مؤكداً أن للإسلام الآن لغتين رئيستين: العربية والإنجليزية(٥) ويتخطى هوفمان حدود «اللغة» إلى «الثقافة» فينقل عن المفكر الإسلامي المعروف محمد أسد قوله: «إنه لم يكن ليصبح مسلماً أبداً ما لم يكن متأثراً في قدرات فهمه بالمدارس الأوروبية(٦)، وهو ترجيح يأتي في إطار انتقاد أسد للواقع الذي تعيشه البلاد الإسلامية وما يشكله من عبء على صورة الإسلام.

ويبدو جلياً في طرح الدكتور «مراد هوفمان» صدى التساؤل العريض المطروح في الغرب عن الإسلام: هل هو إسلام أوروبي أم إسلام في أوروبا؟ ويتفرع عن السؤال أسئلة فرعية عن: «الإسلام



الفرنسي» و«الإسلام البلجيكي» و«الإسلام الألماني»... وهكذا، من ناحية أخرى يرى «هوفمان» أن محتوى الخطاب الإسلامي المعاصر يفتقر إلى إدراك عالمية الإسلام، فالإنجاز الفكري والفقهي الإسلامي كان وما زال ضعيفاً فيما يخص الدائرة الإنسانية والعالمية وهذا هو التوجه المثالي والمفترض، فالإسلام دين للعالمين ولابد أن يكون هناك خطاب عالمي إنساني.

وما يشير إليه «هوفمان» لا يشغل بال مسلمي الغرب وحدهم فهناك اهتمام غربي ملحوظ بارتفاع حاد في تأليف الكتب عن الإسلام بالإنجليزية، فقد أظهرت «بيبليوجرافيا» للمؤلفات التي تناولت الإسلام والمكتوبة باللغة الإنجليزية أصدرها قسم الفلسفة في «كلية سانت بربارا»، ارتفاع مستوى التأليف بشكل كبير منذ حرب الخليج الثانية العام ١٩٩٠م، وبلغ عدد الكتب المؤلفة باللغة الإنجليزية خلال الثلاثة عشر عاماً الماضية ١٢٣٥ كتاباً وزعت على جميع مناحي الحياة الإسلامية في ١١ موضوعاً شمل دراسات عن الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم، والمذاهب الإسلامية والصوفية والفقه والفلسفة، والتشريع والفن والتاريخ والمناطق الجغرافية والدول والثقافة والاقتصاد والسياسة. وكان واضحاً أن ارتفاعاً كبيراً حدث في مستوى التأليف منذ العام ١٩٨٩م قبل الغزو العراقي للكويت الذي ألف فيه ٢٩ كتاباً في حين بدأ هذا الرقم يتصاعد بشكل ملحوظ حتى وصل إلى ١٣٩ كتاباً العام ٢٠٠٠م.

وبالرغم من زيادة عدد معتنقي الإسلام منذ حرب الخليج الثانية حيث قدر الكتاب السنوي الصادر عن وكالة الأنباء الإسلامية نسبة انتشار الإسلام إلى ٢٣٥٪ منذ العام ١٩٩٠م إلا أن الملاحظ انخفاض مستوى التأليف بعد أحداث ١١ سبتمبر العام ٢٠٠١م، فقد بلغت الكتب الصادرة في ذلك العام ١١٦ كتاباً، في حين كانت في العام السابق عليه ١٣٩ كتاباً ليعود الارتفاع في العام ٢٠٠٢م إلى ١٣٧ كتاباً، ثم ينخفض العدد إلى ٧١ كتاباً في هذا العام أي عام صدور التقرير (٢٠٠٣م).

محتوى الخطاب الإسلامي المعاصر يفتقر إلى إدراك عالمية الإسلام

ومع أن الكتب غطت جميع جوانب الإسلام، إلا أن الملاحظ أن اهتماماً أكثر بالإسلام السياسي بدأ يظهر منذ العام ٢٠٠١م فمن بين ١٢٧ كتاباً صدرت العام ٢٠٠٢م هناك ما يزيد على ١٠٠ منها تناول الظاهرة السياسية من منظور إسلامي، بينما كان الاهتمام واضحاً بشكل أكثر في المذاهب الإسلامية قبل الغزو العراقي للكويت العام ١٩٩٠م، ومن المؤكد حسب ما جدولته «البيبلوجرافيا» من من كتب أن التأليف فيما سمي «الإسلام السياسي» سيكون الشغل الشاغل للمفكرين الغربيين بعد حرب العراق وقد لوحظ أنه لم يصدر أي كتاب في العام ٢٠٠٣م عن الدراسات القرآنية.(٨)

وفي الختام

إن مكة المكرمة تشكل مركزاً للعالم الإسلامي إلى يوم الدين والعربية لغة القرآن الكريم المحفوظ بحفظ الله، وقد تغيرت الطبيعة الجغرافية للعالم الإسلامي فلم تعد هناك الرابطة السياسية «الخلافة» التي تجعل لهم عاصمة سياسية، فتغيرت الدلالات التقليدية لمفهومي: «المركز» و«الأطراف».كما أن المناخ الديموقراطي في الغرب حول الكثير من دوله من «دار حرب» إلى «دار دعوة»، وبفضل ثورة الاتصالات أصبحت مسارات التدفق مختلفة وأحياناً تنطوي على مفارقات، ولنأخذ مثالاً واحداً هو تأسيس أول اتحاد عالمي لعلماء المسلمين في عاصمة أوروبية، إن عالمية الدعوة جزء من عقيدة كل مسلم أياً كان دينه أو جنسه أو لونه، ولا تتميز في المكانة بل تسابق في حمل الأمانة ربما أفضى إلى انتقال مركز الثقل الثقافي في العالم الإسلامي إلى خارج العالم العربي وهي ظاهرة لها سوابق مماثلة في التاريخ الإسلامي، وتلك أهم ملامح عظمة هذا الدين بأفقه الإنساني الرحب ■

•• الهوامش ••

١ ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم ـ إصدار: مجمع اللغة العربية «الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث» ـ مصر ـ ١٩٩٠م ـ الجزء الثاني ـ صفحة ٧٨٣.

٢ ـ الإسلام ومستقبل الحضارة ـ الشيخ الدكتور صبحي الصالح ـ دار الشورى «لبنان» ـ دار قتيبة ـ سوريا ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٩٠م ـ ص٢٩٩ ـ بتصرف يسير.

٣ ـ الثقافة الإسلامية وحواضرها ـ أمين مدني ـ من دون ناشر ـ مصر ـ ١٩٨٠م ـ صفحة ١٠٩.

٤ ـ الثقافة الإسلامية وحواضرها ـ أمين مدني ـ من دون ناشر ـ مصر ـ ١٩٨٠م ـ من صفحة ١٨٧ ـ ١٩٢.

٥ ـ الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود ـ د.مراد هوفمان ـ تعريب: عادل المعلم ويس إبراهيم ـ الناشر: مكتبة الشروق الدولية ـ مصر ـ الطبعة الأولى ـ ٢٠٠١م ـ صفحة ١٥.

٦ ـ الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود ـ د.مراد هوفمان ـ تعريب: عادل المعلم ويس إبراهيم ـ الناشر: مكتبة الشروق الدولية ـ مصر ـ الطبعة الأولى ـ ٢٠٠١م ـ صفحة ٥٠.

٧ ـ د.مراد هوفمان: تجديد الإسلام سيأتي من الغرب ـ حوار مع الدكتور مراد هوفمان ـ أجراه في المنامة حسام تمام ـ منشور على موقع إسلام أون لاين على شبكة الإنترنت ـ ٢٠٠٤/١/١٤م.

٨ ـ ارتفاع حاد في مستوى تأليف الكتب عن الإسلام باللغة الإنجليزية منذ العام ١٩٩٠م ـ تقرير: خالد المحاميد ـ جريدة الوطن السعودية ـ الأحد ١٤٢٤/٤/١هـ.





المجتمعات الغربية تعكس بُنى فسيفسائية مركبة ومعقدة لمستويات وتوجهات وتطلعات ورؤى مختلفة



بقلم: شكر عبدالقادر عبدالمقصود عمر

باحث وكاتب مصري

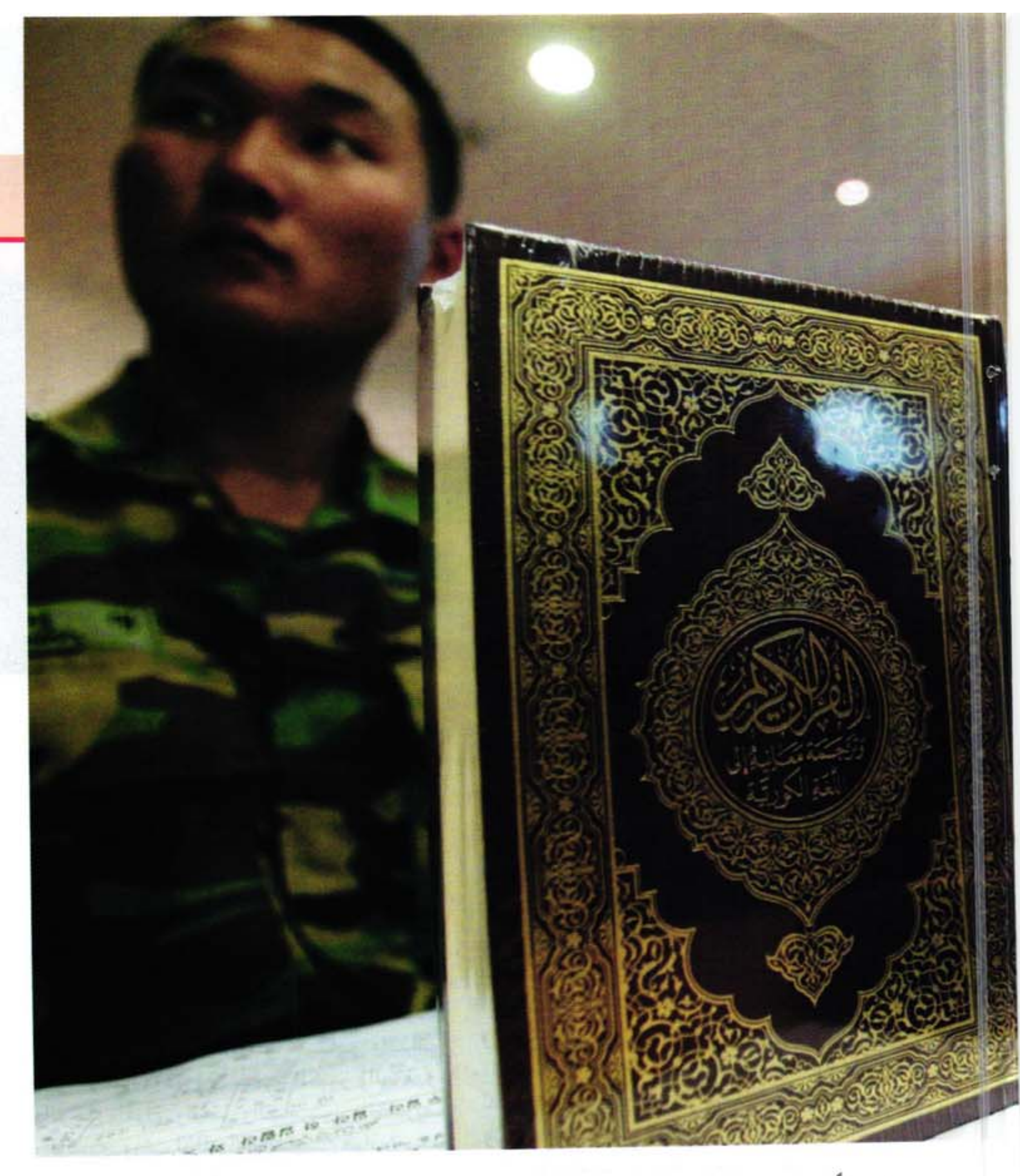
الاستراتيجيات الحركية في عالم متغير

تعتمد الكفاءة الحركية لأي جماعة أو تنظيم «مؤسسي أو دولي» على مدى جدة وأصالة بُناه الفكرية وتوجهاته الاستراتيجية سواء في المدى البعيد أوالمتوسط والتي يفترض أن تحكم خياراته وتوجهاته في المدى القصير والآني العاجل.

وفي إطار الإدراك المتنامي للتحديات التي تواجه العالم الإسلامي بعامة «على ما فيه من تباينات وتوجهات عدة» والتي تمثل الإطار العام للمشكلات الكلية على مستوى الدول والأقاليم الإسلامية فضلاً عن التحديات الخاصة التي تواجه التنظيمات والجماعات الإسلامية والتي تمثل عوائق ومشكلات إضافية لا تقل في جوهرها وعمقها خطورة وأهمية سواء على مستواها الجزئي الخاص أو على المستوى الكلي العام بما تمثله أحياناً من مصدر للاضطراب والتوتر والجدل، في ضوء ذلك تبرز إشكالية الجزئي والكلي بازدواجيتها وتعدد أبعادها، كمعطى أولي وضرورة ملحة للفصل بين مستوييهما بشكل حذر لا يغفل التشابك والتداخل بين مشكلات المستويين وكون مثل هذا الفصل شاذ وشائك، بيد أنه حتمي أيضاً.

وتتبع قيمة الإشكالية الخاصة بالجزئي والكلي من القدرة على إدراك الأهمية والأوزان النسبية للمعطيات المختلفة سواء في عمومياتها «كثوابت ومتغيرات» أو في خصوصياتها ببيئة أو موضوع أو حدث وفكرة بعينها. وهنا إلى جانب الجزئي والكلي والعام والخاص والثابت والمتغير يجب إدراك الداخل والخارج والأصيل والوافد... فضلاً عن مستوى الإدراك الخاص بالذاتي والموضوعي الذي بات ضرورة في ظل ميراث سلبي ممتد يجعل من الشعور الداخلي بالاستهداف والمطاردة نوع من العوائق الذاتية التي قد تغيب الفرصة السانحة بالفعل لحركية إسلامية فاعلة. على الرغم من جميع المؤشرات والشواهد العكسية وغير المواتية في ظل الظروف والمتغيرات الدولية والتكنولوجية الراهنة.

وفي ضوء ذلك، وعلى هدى منه تبرز قيمة وأهمية الفكر الاستراتيجي على المستويات السابقة كافة



فضلاً عن دوره التوجيهي كنموذج إرشادي بهدف الخروج من المأزق الحضاري الحالي «بكل إشكالياته ومستوياته» بشكل لا نشعر فيه باستلاب المستقبل أو انزواء العناصر الإيجابية والفاعلة في الماضي التي يتحتم علينا أن نستحثها لنستبقيها فاعلة ومؤثرة غير أن السؤال الواجب والملح الآن، في واقع مهدد ومضطرب، كيف يمكننا إنقاذ الحاضر والذود عن أنفسنا دون أن نفقد ثقتنا وقدرتنا على التطلع نحو المستقبل أيضاً؟! وهل ثمة من سبيل يمكن من خلالها العبور بشكل آمن أو على الأقل بأقل قدر ممكن من التضحيات المفروضة أو الخسائر إن لزم الأمر؟!!

إن السبيل قائمة دائماً، وأينما وجدت المشكلات وجدت الحلول المكافئة لها، غير أنه وكما أن الحركة لا تكون إلا في زمان فإن التغيير لا يكون إلا بتضحية، وفي جميع الأحوال لابد من دفع الثمن، وثمن النجاح هو الكفاح الجاد والعمل الذي يرفع أثقالاً

الاتجاهات الفكرية المتنامية لفهم الإسلام يمكن استثمارها بشكل مضاد شرط إدراك عدد من المحددات والمعايير

وتراكمات من الإخفاقات المتتابعة الناتجة من الصمت والتكاسل الذهني والاستبداد والفساد السياسي والخلقي وحيث يوجد، كما يوجد دائماً من لا يودون أبداً مقارعتهم بالحقيقة ومن يرون أنه ليس في الإمكان أبدع مما كان، فثمة الكارثة!!.

وأعتقد أن مستويين حركيين ممكنان للتوجه والفعل يجب العمل عليهما معاً:

أولاً: المستوى الخارجي: على الرغم من جميع التحديات والعوائق التي فرضتها أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي قدمت الذريعة والفرصة المواتية لاتجاهات بدأت ببداية النظام العالمي الجديد، ومنذ بداية تسعينيات القرن الماضي وبشكل متنام أكدته وعززته توجهات فكرية وضعت الإسلام في البؤرة منذ البداية «كعدو بديل» وفي الممارسة من خلال أحداث البلقان والسودان وليبيا وأفغانستان والعراق وكشمير والشيشان، فضلاً عن الأحداث الفلسطينية... فإن الاتجاهات الفكرية لفهم الإسلام والتي أخذت تتنامى وتتضاعف. برغم كل الظروف. يمكن استثمارها بشكل مضاد بشرط إدراك المحددات والمعايير التالية:

١ ـ إن المجتمعات الغربية كأي مجتمعات أخرى تعكس بنى فسيفسائية مركبة ومعقدة لمستويات وتوجهات وتطلعات ورؤى مختلفة في كل شيء وبفعل بناها المجتمعية وأيديولوجياتها الفكرية، فبطبيعة لحال هناك الراضون والساخطون والكاسبون والخاسرون والمنعمون والمهمشون والأغنياء والفقراء ولا يمكن أن توجد مستويات ومنطلقات الخطاب للجميع كما لا يمكن أن يكون فرضاً أو حركاً على أحد بعينه، ولكن كما نريد أن نصل للجميع فعلينا أن نحاول بأساليب وطرق شتى ومتباينة.

٢ ـ من الخطأ الاستراتيجي والمنهجي معاً محاولة السعي للفاعلين أو القادرين فقط لأنهم من جهة أقل ميلاً للتغير وأصعب في الوصول إليهم والتواصل معهم لأنهم جزء من توجهات وبنى ترى من صالحها تكريس الوضع القائم والدفع به لأقصى مدى لتحقيق أقصى نفع ولنتذكر الدرس الكامن في سورة عبس.

٣ ـ كما أن الإنسان هو الإنسان فإن التطلعات والأحلام هي ذاتها أيضاً والاختلاف لا يكون إلا في كيفيات الوصول إليها، وإلا لماذا أرسل الله كتاباً واحداً لكل هؤلاء البشر؟ فمن منا ليس في حاجة إلى الانتماء والحنان والحب والبساطة والسلام النفسي ومن لا ينشد الحرية وتحقيق الذات والاستقلال. فإذا كان الإنسان الغربي يرى أن أهم مكاسبه الحضارية هي الحرية الفردية والاستقلالية والرأسمالية التي تجعل للإنسان الحق في التمتع بنتاج كده وعمله والإثراء دون قيود وبشكل مشروع واحترام حقوق الإنسان وحقوق المرأة والطفل، بل حق الحيوان إلخ... فأين نجد الصعوبات في إيجاد مداخل للحوار بالضبط؟

٤ ـ يحمل الفكر والبنى المجتمعية والنظم



إن الوصول للشيء وتحقيقه يختلف بالضرورة عن الحديث عنه أو الرغبة فيه

والمؤسسات الغربية بحكم التوجه والأيديولوجيا الغربية ذاتها الكثير من المثالب والأخطاء البنائية والهيكلية التي لن يكون أمامه سوى التعايش معها وغض الطرف عنها والسعي دائماً لاختزالها وإبعاد الأضواء عنها وهي في ذات الوقت منطلقات حركية مضادة وفقاً لاستراتيجية تهدف لجعل الاهتمام الغربي نحو الداخل فالحل الحقيقي هو جعل الغرب يهتم بالغرب، وهو ما يعني أن تتعالى أصوات مضادة من داخل الهيكل والبناء الغربي لأن كل الأصوات الخارجية سوف تؤدي لاتجاهات مضادة غير مرغوبة فضلاً عن كونها غير مؤثرة.

٥ ـ فعلى سبيل المثال هناك الاتجاهات التمييزية والعنصرية والأقليات والطبقات وتفاوت توزيع المكاسب والفرص ثم إن الاتجاه المضاد للوجود والحريات الإسلامية ذاته يمثل متناقضات أساسية للفكر الغربي ذاته ضد الحرية وحقوق الإنسان والفردية... وهذه النماذج وغيرها معروفة بالطبع ثم إن حجم التجاوزات الشرقية لهذه الحقوق قد يكون أكبر كثيراً ولكن هذا لا يمنع أن مثل هذه التجاوزات والتناقضات أمور معروفة والمهم هنا هو إخراجها من دور البداهة لمستوى التساؤل والتأمل، الشعور بالحياة وسط صخب التناقضات الموجودة في أي مكان يدعم المنظور النسبي في فكر المواطن الغربي ويفقده الثقة العالية بمركزية فكرية وحضارية في حاجة إلى التأكيد على مسالبها وتناقضاتها سواء الداخلية أو الخارجية نتيجة لطبيعتها الذاتية، فإن الفكر الغربي دائماً فكر حدي يتأرجح بين الإفراط والتفريط فمن حالة استكانة وخضوع مطلق إلى حالة حركة وتمرد تام، ومن اشتراكية عامة إلى فردية تامة أو حتى إذا وجد بعض الاتزان لدى بعض الأفراد في بعض الجوانب أو الأمور فإن ملامح التطرف الفكري والنفسي والسلوكي سوف تتبدى لديهم في جوانب أخرى لن تجد هناك حداً وسطاً ومن الخطأ تقديم الإسلام على أنه دين وسطي إذ إن هذا من المتطور الغربي يعني أنه دين متناقض، وإلا فكيف يجمع بين التناقضات؟؟؟ ولنحاول أن نضع أنفسنا موضع المتلقي الغربي لجملة افتتاحية من قبيل، لقد جمع الإسلام في اتزان ووسطية مدهشة بين الفردي والجماعي والعام والخاص والذاتي والموضوعي، ووفق بين حقوق الكبير والصغير، والرجل والمرأة، والغني والفقير، والشريف والوضيع، ورتب لذلك أوليات وسن قوانين وحد حدوداً وتشريعات إلخ...

وبالنسبة للمتلقي الغربي فإن هذه العبارة مبهمة وتحمل من التناقض الذي يدفعه لعدم الاهتمام أكثر مما يدفعه للتساؤل والاستمرار والبحث عن كيف يكون ذلك وفي عالم لاهث لا معنى لإلقاء عبارات تقريرية، وتبريرات وجمل دفاعية ولكن مرة أخرى نعود لمغزى أن يكون للعالمين كتاب واحد من رب واحد.

إن التذكير بالقرآن والخطاب بالقرآن والمحاجة والمجادلة بالقرآن لا تعني أبداً اجترار الآيات وتلاوتها هنا وهناك ولكن كذلك بروح القرآن، وبمنهج القرآن وبفلسفة القرآن ودفوعه بحثه على البحث والتأمل وإثارته للفكر ودفعه للبحث عن المعنى.

إن البشر متباينون وكذلك منطلقات وأساليب الخطاب الدعوي في النظم القرآني، وأعتقد ـ والله أعلم ـ أن هذا جوهر الخطاب الدعوي في النظم القرآني وأعتقد أن هذا جوهر الحث على المجادلة والمناقشة بالقرآن وليس الآيات ذاتها فحسب.

٦ ـ لابد للغايات من وسائل، وفي عالم يتسم بالعلمية، ويتوقف قصب السبق والريادة والتقدم والرفاهية فيه على التقنية فلابد ليس من دراسة الأيات والأنماط والأساليب الخطابية فحسب، ولكن ذلك يفرض أيضاً دراسة الأهمية النسبية للأدوات والوسائل والنظم الاتصالية ومدى تأثيرها وفاعليتها في مجتمع وبيئة ما مقارنة بأخرى، فقد يكون التلفاز هو وسيلة الاتصال الأكثر فاعلية في العالم العربي بينما قد يمثل الإنترنت الوسيلة الأهم في بلد مثل أميركا مثلاً وهو ما يفرض دراسة جمهور التلقي بحسب كل وسيلة على حدة وأساليب الوصول إليه والتعايش معه من منطلقاته الفكرية ذاتها، وهو ما يفرض بشكل أعمق وجود مستوى من الدراسات عن البنية الفكرية والسياسية والمجتمعية الغربية المتعمقة وتخصيص مقاعد أكاديمية لدراسة الغرب «الاستغراب» كما هناك مقاعد استشراقية لدراستنا لديهم وهو أمر يفرضه واقع حضاري وتاريخي وسياسي وديني معقد وملح أيضاً.

٧ ـ بأي تصور لصيغة عملية يمكننا ذلك أننا بلا شك في حاجة إلى إمكانات وجهود مادية ونفسية وفكرية فوق الحصر، وفي الحاجة إلى استبقاء الزمن الذي لا شك في غير صالح التردد والخضوع ولنا في تاريخنا عظة وعبرة وفن البحث عن البدائل في جوهره فن للبحث عن الممكن والمتاح ومن الفطنة هنا «مرة أخرى» أن نمد أيدينا ونفتح قلوبنا وعقولنا للأقليات الإسلامية في الغرب بإنشاء كليات متخصصة في الجامعات الإسلامية وتقديم منح دراسية تحق فائدة مزدوجة للجميع وتمثل قاطرة فكرية وروحية متقدمة في العالم الغربي خاصة وغير الإسلامي عامة، لأننا في النهاية سوف نبقى في خطاباتنا ورؤانا ضيوف أو دارسون من الخارج يلزمنا الكثير والكثير حتى نعرف فضلاً عن أن نشعر بالمواطن الغربي ومشكلاته وأولياته، فالمهم هو المعايشة والتواصل الحقيقي على مستويين، والأقليات بحكم الانتمائين أهل لذلك ويمكن محاولة توظيف مضاد للإرث الاستعماري وعلى سبيل





الإسلام جمع في اتزان ووسطية مدهشة بين الفردي والجماعي والعام والخاص

تنظيم الجهود أن تضطلع الجامعات الإسلامية في المغرب بالناطقين بالفرنسية وفي مصر والسعودية بالناطقين بالإنجليزية وفي الباكستان الجمهوريات السوفييتية المستقلة وسط آسيا وهكذا «وهذا لا يعني التحديد وقفل المنافذ على الآخرين» وهذا طبعاً إلى جانب الجهود الأخرى وإن كانت محدودة أو ضعيفة الأثر مع الأسف إلا أن هذا لا يعني توقفها بل يفرض تنميتها وإعادة توجيهها.

ثانياً: على المستوى الداخلي: إن الوصول للشيء وتحقيقه شيء يختلف بالضرورة عن الحديث عنه أو الرغبة فيه، وأعتقد إن تجربتنا في الحديث عن الوحدة في عالمنا العربي وعن الأخوة والسلام والمشترك العربي أثر تكذبه العين، كما أن الواقع الأوروبي عين يكذبه الأثر، وهي مفارقة دالة وفارقة بين من يقولون ومن يعملون ومن دون منمقات وسرديات، فإن الإصلاح أياً من يكون المنادي به، بات فرض ضرورة وحتمية بقاء والإصلاح المقصود إصلاح جذري حقيقي لا عمليات «ترقيع» واهية مع البقاء على جوهر الأشياء ذاتها كما هي، والشيء الواجب التأكيد عليه هنا أن بدهيات الإصلاح وأبجدياته وضروراته - معاً - أن يأخذ مجرى النهر أن يطوع لرغبات الناس لا أن يطوع الناس أنفسهم لرؤية النظم وفلسفاتها وتوجهاتها، فهذا أمر شاذ؟؟ وفي كل الرؤى الإصلاحية الرشيدة سنجد أن تفسير التراجع الحضاري للأمة راجع إلى تراجعها وتخليها عن منهج الله الذي أراده لها سبحانه وأن النهضة والإصلاح لا تكون إلا بالعودة إلى هذا المنهج ذاته، وإن تباينت الرؤى حول الكيفيات والأوليات، بيد أن هذا هو الجوهر العام لكل الرؤى الإصلاحية ومن دون ذلك سيبقى الواقع دائماً شاهداً علينا ومكذباً كل ما ندعيه عن ديننا وحضارتنا وقيمنا وأخلاقنا لأننا سوف نبقى دائماً في حاجة إلى كلمة لكن...

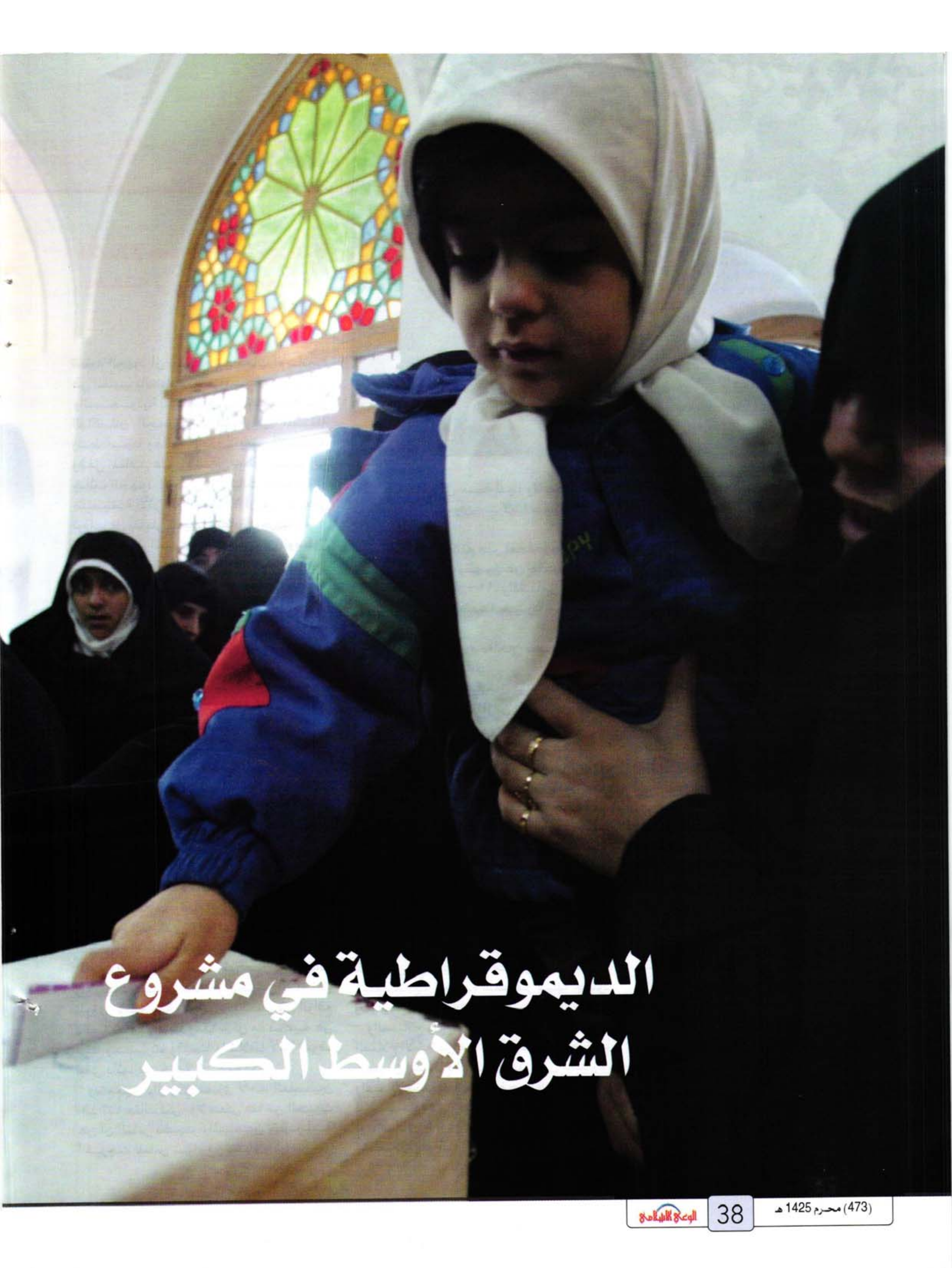
وبتعبير دال وذي مغزى لأحد العلمانيين «فدائماً هناك لكن» ولا معنى هنا من الحديث عن أن الناس بخير والمسلمون خير أمة أخرجت للناس شاء من شاء وأبى من أبى وأنهم يتجاهلون كل حسنة لدينا ولا يظهرون إلا مساوئنا وأن..... وأن..... لأننا حقيقة لسنا كذلك «لماذا»؟!

يقول سبحانه: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران: ١١٠، والمتأمل في هذه الخيرية سوف يجدها خيرية مشروطة بشرطين:

أحدهما: أن نكون مصلحين نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر.

والآخر: أن نكون صالحين نؤمن بالله تعالى وهو ما يعني أن يكون المؤمن الحقيقي صالح في ذاته ومصلح لغيره، وهذا شرط الخيرية وعلتها كما بينتها الآية الكريمة، فلا يكفي لتكون خيراً من المنظور الإسلامي أن تكون صالحاً في نفسك فقط، أو أن تحض على الفضيلة والخير وتكون مصلحاً لغيرك فقط، ولكن لابد من شرطين متلازمين حتى تصبح أهلاً لهذا الوصف، بأنك خيّر «الصلاح والإصلاح»، وهما شرطان مركبان بنائيان وجدليان بمعنى أن صلاحك يدعم صلاح غيرك ويتدعم به، فالبيئة الصالحة تدعم وجود الإنسان الصالح وتحد من وجود النماذج الفاسدة وصلاح البيئة ذاتها مسؤولية فردية كما هي في ذات الوقت مسؤولية مشتركة ومجتمعية معقدة تتضافر فيها جهود وسياسات وتشريعات إلخ...

والصلاح والإصلاح نسبيان بمعنى أن الصلاح الأخلاقي في جوانب قد يكون مرتفعاً غير أن الصلاح السلوكي قد يكون متدنياً، والأثر الاجتماعي لهذه الفجوة التي قد تمثل تناقضاً حاداً في أحيان كثيرة قد يكون فاسداً أو «إفسادياً»، أما كونهما معقدين، فلأنهما يشملان جوانب الصلاح الفكري والنفسي والسلوكي على المستوى الفردي والإصلاح السياسي والاقتصادي والتشريعي والاجتماعي... على المستوى المجتمعي والبنائية في جوهرها مفهوم تراكبي معقد، بيد أنه يحمل أيضاً دلالة نسبية، فيمكن القول بوجود نقط أو محاور على منحنى الإصلاح تصبح بؤراً ونقط تجميع لمستويات تمثل حدوداً دنيا لا يمكن التراجع عنها «بالنسبة للأفراد أو المجتمعات» ونقاط ثبات حالية ونقاطاً مستهدفة يمكن العمل على رفع الكفاءة الفعلية إليها، وهو ما يعني أن الحراكية الفعلية الفاعلة المؤثرة يجب أن تتم في هدوء وعمق في مستويات ثلاثة على المستوى الفردي «الفكر - العلم» و«النفسي أو الشعوري أو الأخلاقية والقيمية والمرجعية» و«السلوك أو المعاملة» ويجب العمل على تحسين النقص في أي من هذه المستويات للوصول إلى نقطة اتزان تمثل بؤرة وقمة موقتة يتم الحركة والترقي من خلالها من خلال العلم والأخلاق ثم السلوك ونادراً ما يكون العكس وكذلك يمكن أن يقال على الإصلاح الاجتماعي فلا معنى لإصلاح اقتصادي في وجود خلل سياسي أو تشريعي يقوض من ثمرات هذا الإصلاح أو يجثم دائماً عليه أو يكون موضوع شك وريبة وتوتر وقلق لا يمكن التعايش معه إلا في بيئة من الخديعة والفساد والنفاق ودون العمل على هذا الجدل الحركي الإصلاحي الداخلي الفردي والمجتمعي سيبقى الواقع دائماً شاهداً علينا ويكذب ما يمكن أن ندعيه عن حضارتنا وقيمنا وديننا ولا شك أنه أمر في حاجة إلى مصارحة ومكاشفة وتحليلات أوضح وأعمق في الخطاب لا أزعم أنني قادر عليها أو أهل لها ولكن قدمت عذري وهذا جهدي والسؤال لك: ماذا عنك؟؟ ■



الديموقراطية في مشروع الشرق الأوسط الكبير

طرحت الولايات المتحدة الأميركية على مجموعة الدول الصناعية الثماني مشروعاً لمناقشته في اجتماعهم الذي جرى في حزيران ٢٠٠٤م تحت اسم «مشروع الشرق الأوسط الكبير»، وقد حدد المشروع منطقة الشرق الأوسط الكبير بأنه يشمل الدول العربية مضافاً إليها: تركيا وإيران وأفغانستان وباكستان، وقد شخّص المشروع نواقص المنطقة بأنها الحرية، وتدنّي مستوى المعرفة، وتمكين المرأة في الحياة السياسية، لذلك اقترح المشروع أوّليات للإصلاح تعالج النواقص التي حددها تقرير الأمم المتحدة حول التنمية الإنسانية العربية عبر: تشجيع الديموقراطية والحكم الصالح، وبناء مجتمع معرفي، وتوسيع الفرص الاقتصادية. ثم تحدّث عن مساعدات يمكن أن تقدّمها مجموعة الثماني لترسيخ الحرية والديموقراطية وبناء المجتمع المعرفي وتحقيق التنمية الاقتصادية.

لاشك بأن أول الأهداف التي رسمها المشروع هو تحقيق الديموقراطية في المنطقة، وهو الهدف الذي جاءت به أوروبا، ونادى به المصلحون العرب منذ القرن التاسع عشر، وشرعت أقطار متعددة في تطبيقها منذ القرن التاسع عشر كالسلطة العثمانية وتونس في عهد «خير الدين التونسي» ومصر في عهد الخديوي «إسماعيل»، ثم جاء التطبيق الأوسع بعد الحرب العالمية الأولى إذ شمل مصر والعراق وسورية والأردن والمغرب ولبنان إلخ...، وقامت تجارب غنية وواسعة لكنها تعثرت ولم يكتب لها الاستمرار والنجاح.

وإذا أردنا أن ينجح أي تطبيق جديد للديموقراطية علينا أن نعرف السبب في فشل الديموقراطية في السابق لكي نتجنبه في المرحلة المقبلة، ولكي نعرف السبب في فشل تطبيق الديموقراطية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين علينا أن نحلل الديموقراطية، ونرى العناصر التي تكوّن محتواها، فنجد أنها تنقسم إلى فلسفة وآليات، الفلسفة: تعتبر الحقيقة نسبية، وتؤكد أنه ليس هناك حقيقة مطلقة، وهذه المقولة جاءت نتيجة ظروف تاريخية خاصة بالغرب، وتطور معين لحياته الاجتماعية والسياسية والعلمية إلخ...، وآليات: مثل وجود دستور، وإقرار مبدأ الانتخاب، والمحاسبة للمسؤولين، ومبدأ الانتخاب، والمحاسبة للمسؤولين، ومبدأ تداول

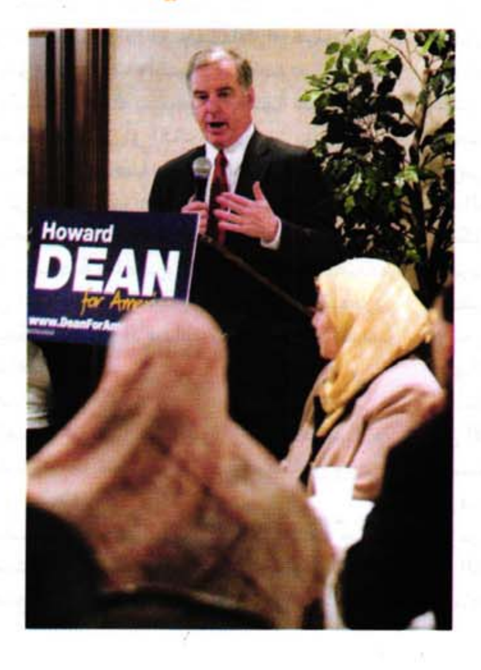


بقلم:
غازي التوبة

altawbah939@hotmail.com

السلطة، واحترام رأي الأقلية، ووجود أحزاب، وإقرار مبدأ حرية الصحافة إلخ... لا شك أن فلسفة الديموقراطية التي تعتبر الحقيقة نسبية تصطدم مع كثير من ثوابت الدين الإسلامي وحقائقه، لكن الآليات تعتبر مقبولة ولا تصطدم مع شيء من حقائقه ومبادئه، لذلك لم أجد فيما اطلعت عالماً أو تكتلاً أو حزباً رفض الديموقراطية بهذا المعنى بدءاً من شيخ الإسلام في الآستانة الذي أقر خطي «كلخانة والهميوني الشريف» عامي ١٨٣٩م و ١٨٦٧م، واللذان أقرّا بحقوق الإنسان وإيجاد دستور للبلاد ومبدأ الانتخاب وإيجاد مجلس

فلسفة الديموقراطية الحقيقة تصطدم مع كثير من ثوابت الدين الإسلامي وحقائقه

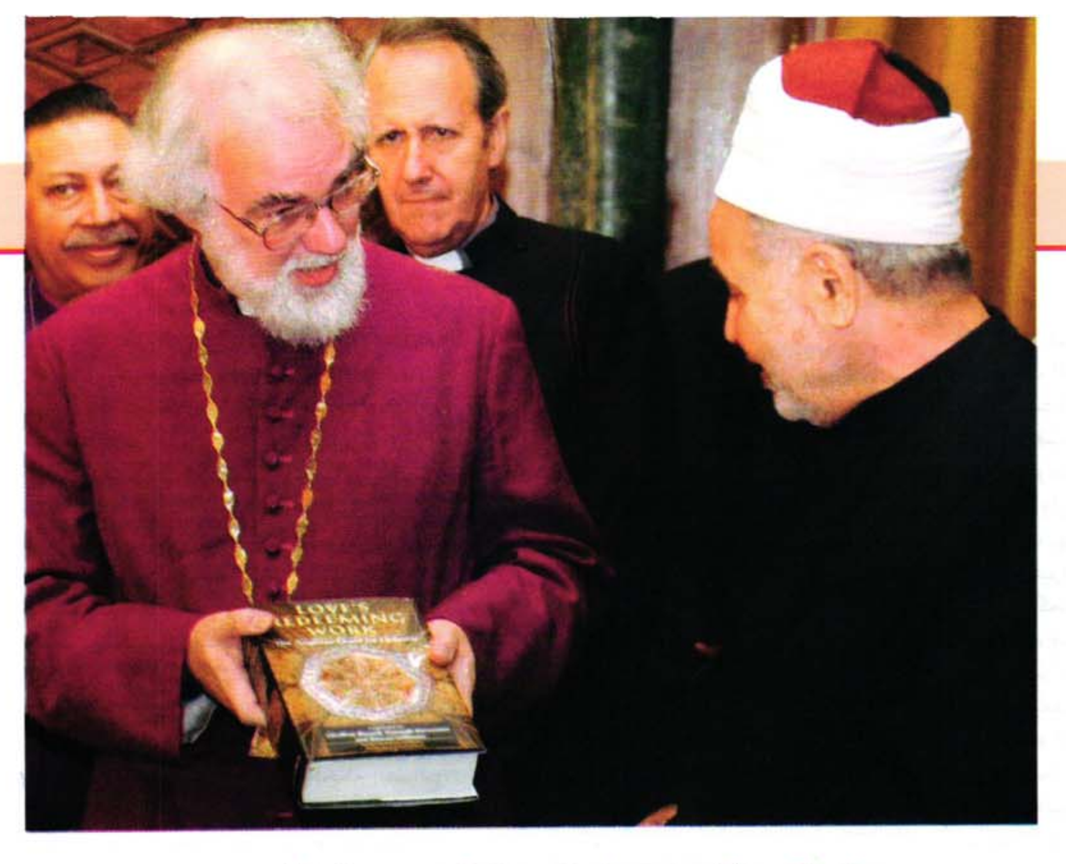


المبعوثان، مروراً بـ«محمد رشيد رضا»، وانتهاء بالقيادات السياسية المعاصرة، إن عدم التمييز بين الفلسفة والآليات هو العامل الرئيس الذي أدى إلى فشل تطبيق الديموقراطية عندنا في السابق، ومما يؤكد ذلك أن نجاح التطبيق في بعض الدول مثل إسرائيل واليابان جاء بعد الاعتراف بهذا الفصل بين الفلسفة والآليات.

أما إسرائيل فنجد أن لديها ديموقراطية مستقرة كما أشار المشروع إلى ذلك في إحدى فقراته، وسبب ذلك أنها كيفت نظامها الديموقراطي لكي يتماشى مع موروثاتها الدينية وعقائدها التوراتية، فقد اعترف عدد من زعماء الصهيونية بدءاً من «تيودور هرتزل» وانتهاء بـ«دافيد بن غوريون»، مروراً بـ«حاييم وايزمان» بتزاوج الصهيونية واليهودية، فأعلن «هرتزل» في المؤتمر الصهيوني الأول العام ١٨٩٧م في «بازل»، فقال: «إن العودة إلى صهيون يجب أن تتبعها عودتنا إلى اليهودية»، واعترف «حاييم وايزمن» أول رئيس لدولة إسرائيل بتلازم الصهيونية واليهودية فقال: «إن يهوديتنا وصهيونيتنا متلازمتان ولا يمكن تدمير الصهيونية دون تدمير اليهودية»، ووضح «دافيد بن غوريون» أول رئيس للوزارة الإسرائيلية أهمية التوراة للصهيونية فقال: «إن الصهيونية تستمد وجودها وقوتها من مصدرين: الأول: التوراة، الثاني: الثورات التي اجتاحت أوروبا».

أما اليابان فنجد أن قياداتها لم تتنكّر للدين والموروثات التاريخية في كل مراحل نهضتها، بل أعطت الاعتبار الكامل للديانتين السائدتين وهما: «الشنتو والبوذية»، كما أعطت الاعتبار الكامل للأمبراطور الذي هو من سلالة الآلهة في رأيهم، واعتبرته رمزاً للأمة اليابانية.

أما القيادات الفكرية العربية التي جاءت في مطلع القرن العشرين سواء في مصر أو بلاد الشام، فإنها لم تعتبر الدين عاملاً في تكوين الأمة، بل اعتبرت اللغة والتاريخ هما عاملا التكوين حسب المدرسة الألمانية، واعتبرت العامل الجغرافي هو عامل التكوين حسب المدرسة الفرنسية، لذلك عندما طبقت الديموقراطية لم تميز بين الفلسفة والآليات وساوت بينهما في بعض الأحيان، بل قسّمت الفلسفة على الآليات في أحيان أخرى، والسؤال - الآن - في زحمة المشاريع لإحياء التطبيق الديموقراطي: هل نستفيد من أخطائنا وتجاربنا السابقة؟ ■





تقتضي التحولات والتحديات التي يشهدها عالمنا أن يتبنى المسلمون خطاباً موجهاً إلى الغرب، يحمل دعوة صريحة للحوار الحضاري القائم على التفاهم والندية والمساواة، بهدف تجاوز مختلف التحديات التي بدأت تستعصي على الحلول بمعزل عن مشاركة فاعلة من مختلف الحضارات الإنسانية ومن بينها الحضارة الإسلامية، وفي هذه الحلقة نستكمل ما نشر في العدد السابق.






بقلم: د.رفيق حسن الحليمي

كاتب وأكاديمي فلسطيني

الخطاب الإسلامي للغرب

أهداف الخطاب الإسلامي

يفترض أن يكون للخطاب الإسلامي أهداف واضحة وغايات محددة يضعها القائمون عليه نصب أعينهم وضمن خطابهم، ومن البداهة أن وضوح الهدف يعمل على وضوح الرؤية ورسم ملامح الخطاب، وتحديد موضوعاته، وأولياته وآلياته، وتعيين الجهات الرسمية وغير الرسمية التي يتوقع أن تتلقى الخطاب، كما يضمن قوة التأثير في متلقيه سواء أكانوا أفراداً أم جماعات أم هيئات.

ونظراً لتنوع الخطاب واتساع موضوعاته تتنوع الأهداف وتتسع، بحيث يصعب تحققها جميعاً في خطاب واحد أو اثنين أو أكثر، لكن من غير شك فإن لكل خطاب هدفاً، وهنا لابد من مراعاة الأوليات في الأهداف، بحيث تخضع إلى عملية برمجة وتصنيف، فيقدم الأهم على المهم وفقاً للظروف والحاجة والضرورة التي تفرض تقديم هدف على آخر، وغاية على غاية، وفي تقديري المتواضع يمكن تقسيم الأهداف إلى نوعين: أهداف آجلة، وأهداف عاجلة:

فمن الأهداف الآجلة:

- إقناع الغرب المسيحي بوجود رسالة للإسلام، وبجوهر عقيدته بما تتضمنه من قيم وأخلاق ودعوة إلى المحبة والسلام.

- طيّ صفحات الماضي - ولو إعلامياً - بما حمله من صراعات وحروب وجعله ضمن حدود التاريخ القديم، وفتح صفحات جديدة تتعايش فيها الأديان والشعوب جنباً إلى جنب، تحت كلمة سواء، وندية متساوية لتحقيق المصالح المشتركة لها جميعاً.

- وقف حملات التشويه المعادية والتصدي لها من خلال تقديم صورة مشرقة للمعطيات الإنسانية والحضارية للإسلام، وتبيان المغالطات والدسائس التي تروّج لها جهات معادية.

- محاولة تغيير الصورة النمطية التقليدية في نظرة الغرب، وفي وعيهم الجماعي إلى الإسلام، ورموزه ودوره الحضاري.

- ترجمة قناعات الغرب - تدريجياً - إلى واقع عملي ملموس على مستوى وسائل الإعلام والمدارس والجامعات والسياسات العامة.

ومن الأهداف العاجلة:

- العمل على تأكيد براءة الإسلام من مختلف أشكال الإرهاب، والعدوانية وترويع الآمنين وقتل الأبرياء، من خلال توضيح العقوبات الرادعة لها في العقيدة الإسلامية، وتفصيلها وتبيان الغاية منها ضمن مفهوم الآية الكريمة: (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب) البقرة:١٧٩، وبيان موقف الإسلام من المعتدين وتحديد عقوبات لهم كما ورد في الآية: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً) المائدة:٣٣، وهو ما يعرف بـ«حد الحرابة، على اعتبار أنهم بحربهم على الناس يحاربون الله ورسوله».

- التركيز على بعض المفاهيم الدينية «العدالة - المساواة - الأخلاق - الحقوق - الواجبات».

- إبراز الوجه الحقيقي للإسلام في أيام السلم أولاً، وحسن معاملته للأقليات غير المسلمة، ومنحهم مساحة واسعة من حرية الاعتقاد، والعبادة، والعيش الكريم، وعند الحديث عن الحروب يتم التركيز على وصايا ولاة الأمر منذ العهد النبوي، وتحذيراتهم للقادة الفاتحين بعدم قتل الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال، وعدم الإضرار بالحرث والنسل، والشجر والحجر، والاستشهاد على ذلك من حوادث التاريخ، وشهادة بعض المستشرقين المنصفين.

- شرح حقوق الإنسان من منظور إسلامي، وتبيان حقوق المرأة ومكانتها في الإسلام، وحقوق الطفل، ومفهوم التربية، مع شروح موجزة لقوانين الميراث.

- توضيح معنى الحرية في الإسلام، ومدى تقنينها وتقييدها بقيود الدين، حتى لا تتحول الحياة إلى فوضى، وخراب وتخريب، واعتداء على حقوق الآخرين في حرياتهم وممتلكاتهم.

- شرح مفهوم التعددية، التي تقتصر على تعددية المذاهب الدينية، ضمن حدود الاجتهاد والفقه، وليس في تعددية الأحزاب السياسية.

- شرح نظرية الربا وموقف الإسلام منها، وبيان أثر الزكاة في الحياة العامة على مستوى الفرد والأمة، وما تحققه من تكافل اجتماعي، وإبراز دور الوقف ونظام الحسبة في الإسلام، وأثرهما في إقامة المرافق العامة ونهضة المجتمعات الإسلامية ماضياً وحاضراً.

أوليات الخطاب الإسلامي

برمجة الخطاب الإسلامي، أو وضع الأوليات في الحسبان تعد من الذكاء والفطنة، والعمل الناجع الذي يحقق الأهداف المرجوة منه، ومن دون الاهتمام بهذا الجانب التنظيمي في اختيار الموضوعات ذات الأوليات يفقد الخطاب كثيراً من تأثيره وفاعليته، وربما تأتي الأمور بطريقة عكسية تضر بالخطاب وتفرغه من محتواه ومضمونه وتجعله خارج نطاق الاهتمام الواسع، والأمر في برمجة الخطاب لا يبعد كثيراً عن القاعدة الدينية التي تقول: «درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة» وعن قاعدة أخرى: «تأخير البيان إلى وقت الحاجة»، وفي تقديري أن الذي يتحكم في تحديد الأوليات، ويجعلنا نفضل بعضها على بعض أمران أساسيان، يتداخلان معاً، ويتعذر الفصل بينهما:

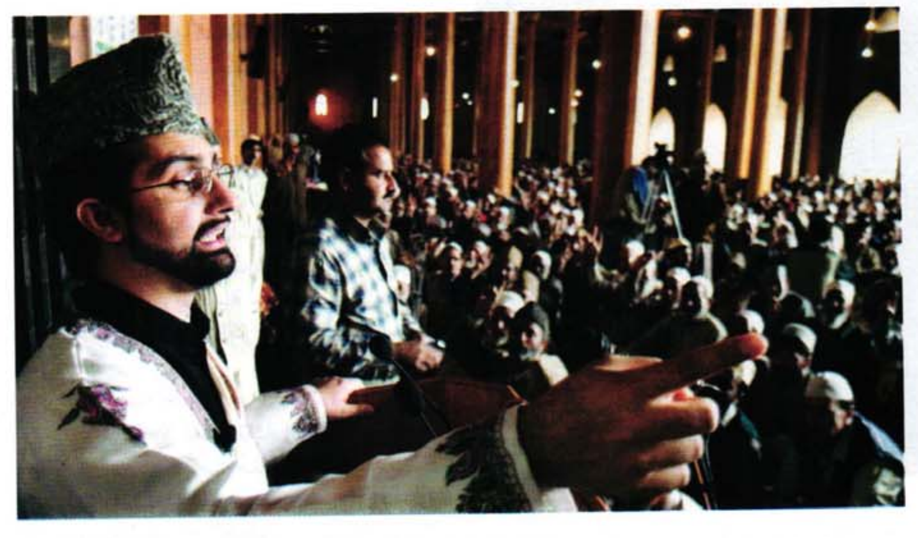
١ - الظروف الراهنة التي يعيشها المجتمع الدولي ساعة بساعة وتشكل بالنسبة إليه تحدياً صعباً، وعلى سبيل المثال يقدم موضوع «الإرهاب» الذي بدأ يشغل العالم بأسره على غيره من موضوعات، لما يحتله من حيّز في الفكر العالمي يصل درجة الهواجس اليومية المقلقة، كما يقدم موضوع: موقف الإسلام الرافض لقتل الأبرياء والآمنين والمستأمنين، وما شرعه في حقهم من عقوبات «حد الحرابة» على موضوعات كثيرة مثل: حقوق المرأة في الإسلام - التعددية - الإصلاح وغيرها، على ما لهذه الموضوعات من أهمية.

وهنا تبرز براعة صاحب الخطاب في فهم المعادلات الدولية، وفي اختيار ما يناسبها ويؤثر فيها من ألوان الخطاب التي تعلي من مكانة الإسلام، وتقدمه كشريك أساسي، وطرف مهم، لا غنى عنه في تلك المعادلة، ولا يعقل إزاء الأوضاع الراهنة أن أوجه خطاباً للرجل الغربي يتناول - مثلاً - موضوع البنوك ومسألة الفائدة الربوية، وهو غارق فيها قبل أن يحظى بالكثير من الخطابات المتراكمة التي تمهد لنظرية الربا في الإسلام.

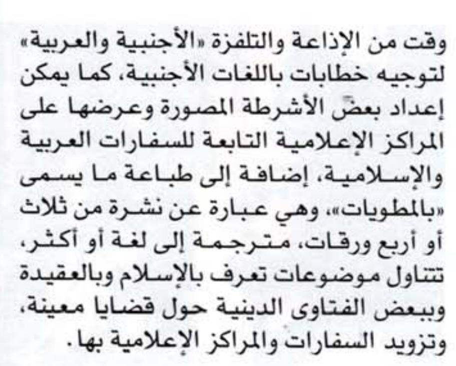
٢ - طبيعة المشكلة أو الموضوع المطروح على الساحة الدولية، كموضوع الرموز الدينية، ومنها الحجاب الإسلامي الذي طرح منذ بضعة أشهر في فرنسا وكان مثار جدل واسع تباينت حوله الآراء، أو موضوع قتل الأبرياء من المدنيين في حال مساعدتهم الجيوش المحاربة، وموضوع العمليات الاستشهادية وغيرها، فهذه الموضوعات وغيرها تفرض نفسها على الساحة وتحتاج إلى فتاوى شرعية واجتهادات دينية، فتقدم على غيرها لأنها تمثل موضوعات الساعة، وينتظر الغرب والعالم بأسره من الخطاب الإسلامي أن يحدد موقفه منها.

آليات الخطاب الإسلامي

هناك مجالات رحبة تنتظر الخطاب الإسلامي، وهي جميعها تتوقف على الشعور بالمسؤولية تجاه جدوى الخطاب، والمردود الإيجابي الذي يُنْتَظر منه، لم يعد الخطاب مقتصراً، في زمن الفضائيات ووسائل الاتصال، على الكلمة المكتوبة وحدها، ففي الحديث عن آليات الخطاب تتفتح أمامه آفاق واسعة، يمكن أن يشغلها ويفيد منها، فبالإضافة إلى المقالات والكتب العلمية والرسائل الجامعية التي تقدم في الغرب، تأتي المشاركة في بعض المؤتمرات والندوات بتقديم أوراق بحثية وعرضها ومناقشتها مع المؤتمرين في الغرب، كما يمكن تخصيص



هناك مجالات رحبة تنتظر الخطاب الإسلامي وجميعها تتوقف على الشعور بالمسؤولية تجاه جدوى الخطاب



الاسلام يخدم اتباع الديانات الأخرى

وقت من الإذاعة والتلفزة «الأجنبية والعربية» لتوجيه خطابات باللغات الأجنبية، كما يمكن إعداد بعض الأشرطة المصورة وعرضها على المراكز الإعلامية التابعة للسفارات العربية والإسلامية، إضافة إلى طباعة ما يسمى «بالمطويات»، وهي عبارة عن نشرة من ثلاث أو أربع ورقات، مترجمة إلى لغة أو أكثر، تتناول موضوعات تعرف بالإسلام وبالعقيدة وببعض الفتاوى الدينية حول قضايا معينة، وتزويد السفارات والمراكز الإعلامية بها.

نعم لتوحيد الخطاب.. لا لتفريده

وجود لغة «لا نعني لغة الكلام، أو اللغة المحكية» تنضوي تحت منطق واحد، وذهنية واحدة، وفتوى موحدة يعدّ من الأمور الضرورية لنجاح الخطاب الإسلامي، ولا يعقل أن يتلقى الرجل الغربي أو حتى الرجل العربي خطاباً بلغات عدة مختلفة، ذات منطق متباين غير منسجم، وفتاوى شرعية متعارضة، يناقض بعضها بعضاً، وهذا يؤكد ضرورة التنسيق الجيد بين مختلف الجهات المعنية بالخطاب الإسلامي، وقد أظهرت بعض الفتاوى التي صدرت - أخيراً - عن شخصيات علمية بارزة في الوسط الإسلامي حول بعض المسائل الحساسة خلافات اجتهادية وصلت درجة التناقض والتعارض، أدت ببعض العلماء إلى التراجع عن فتاواهم والاعتذار عنها وأدت ببعضهم إلى التشبث بها والإصرار عليها، رغم ظهور ضعفها ومخالفتها لإجماع أكثرية العلماء، وقد تكون هذه الحالة في بلد إسلامي واحد، وهو أولى ألا يقع في هذا التناقض الفقهي، مما جعل الخطاب الإسلامي في مستوى أقل من الطموح الذي ننشده ونتمناه في تأطيره ضمن لغة واحدة، وبيان موحد مشترك على مستوى العالم الإسلامي.

توحيد الخطاب الإسلامي ضروري للوقوف به أمام ظاهرة «تفريد» الخطاب «لكل عالم أو فرد خطاب خاص به»، وأمام النزعات المتسرعة التي تحكمها العاطفة الدينية الجياشة، غير أن توحيد الخطاب في عالمنا الإسلامي الممتد ذي السياسات العامة المختلفة، والموروث الفقهي الديني المتباين عبر العصور يظل في إطار الأماني والطموحات، ويصعب تحقيقه بصورة التوحيد المطلق، «المثالي»، وأمام هذه الإشكالية يمكن التطلع إلى مستوى الحد الأدنى من توحيد الخطاب في الخطاب «الواقعي»، لا المثالي، باعتباره أمراً ضرورياً، ويمكن أن يتبنى هذا المبدأ عدد من المراكز العلمية ومجامع البحوث، ووزارات الأوقاف، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، لإيجاد صيغة مشتركة توحد الخطاب في مستواه الواقعي طالما تعذر الخطاب المثالي.

تسييس الخطاب الإسلامي

السياسات العامة وأنظمة الحكم تختلف من دولة إلى دولة لأسباب متعددة ليس هنا مجال طرحها، وتحرص هذه الدولة أو تلك بأن يكون الاجتهاد الديني «الفتيا» فيها منسجماً مع سياساتها العامة، وفي خدمة قضاياها الوطنية، ولا ينتظر من هذه الدولة أو تلك - عقلاً ومنطقاً - أن تقبل ببعض الفتاوى التي تضر بمصلحتها العامة، أو تؤلب الرأي العام في الداخل والخارج عليها، وهنا يقف رجل الدين حائراً بين الفتوى التي يعتقد أنها صادقة من الوجهة الدينية المحض، ووجهة نظر الفقهاء القدامى فيها، وبين ما تفرضه عليه السياسة وضروراتها، هل يصدر فتواه بعيداً عن مطالب السياسة، أم يسكت على ضيم، أو يوائم - إن كان هناك مجال للمواءمة - بين مقتضيات الدين من ناحية، ومطالب السياسة من ناحية أخرى؟

لقد وقف الخطاب الإسلامي على محك السياسة منذ قرون مضت، وامتحن الفقهاء ببلاء السياسة، وظهر ما سُمِّي بفقه السلاطين، وفقدت المرجعيات الدينية هيبتها واحترامها بسبب ذلك، واهتزت صورة بعض الفقهاء، وسقطت فتاواهم من منظومة الفقه الإسلامي الصحيح، الذي يقدم الشرع على السياسة ويقدم المصالح العامة على مصالح السلاطين الخاصة، ويبقى السؤال قائماً، محيراً وملحاً في زمننا الذي تعقدت فيه الأمور أكثر من أي زمن مضى.

هل ينحاز الفقه إلى الشرع أم ينحاز إلى السياسة؟

في تقديري المتواضع أن «الوسطية» أمر في غاية الأهمية، والفقيه الذكي يجد مندوحة ومصرفاً عن الاصطدام بالسياسة ما لم يكن الأمر شركاً ومعصية ومروقاً في الدين وخروجاً عليه، فيمكن العمل ببعض القواعد التي أقرها الفقهاء، والتي تكفل استمرار الفقه بعدم التصادم مع السياسة، مثل العمل بقاعدة: «درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة»، وقاعدة: «تأخير البيان إلى وقت الحاجة»، و«سد الذرائع»، و«ما لا يدرك كله لا يترك كله»، وغيرها من قواعد تفيض بها كتب الفقه، وعلى الفقيه أن يدرك أن ليس كل ما يعرف يُقال، ولابد من برمجة قضايا الفقه، وتقديم ما ينفع عامة المسلمين على ما ينفع خاصتهم، إذ لا يمكن عزل السياسة عن الحياة، كما لا يمكن عزل الدين أيضاً عن الحياة بما فيها السياسة، وحتى لا يُضارَّ الدينُ بالسياسة، ولا تضارَّ السياسة بالدين ينبغي وجود فقيه جريء، متزن، على درجة كبيرة من التعمق في العلم والدراية الواسعة في مسائل العقيدة تمكنه من اختيار الأصلح من الفتيا، كما على السياسة ألا تطلب



الشرق الإسلامي في أمس الحاجة إلى خطاب إسلامي يكون أولاً من الشرق إلى الشرق ومن بلد إسلامي إلى آخر

المستحيل من الشرع، فالشرع هو من عند الله، والفقه هو اجتهاد العلماء في الشرع، وتفسيرهم له، وفي التفسير جانب من الشرح، وجانب من التأويل، وكلاهما في خدمة الإنسان.

من يتولى الخطاب الإسلامي

يقتضي الخطاب أن تتسم لغته بالوضوح، فلا تحتمل التأويل، أو الغموض واللبس، وأن تصاغ بدقة فائقة، تعتمد على الإقناع والأدلة العقلية والبراهين المنطقية، وإذا كان الحديث عن قضايا تاريخية، أو أحداث ووقائع فيفضل توثيقها والاستدلال عليها بالمراجع والوثائق والتواريخ الدقيقة، بما يؤكد ثبوتها ويعزز من صدقيتها، فكل تقصير في هذه الجوانب ينعكس سلباً على الخطاب، ويفقده تأثيره المنشود، وفي حال صدوره عن جهات رسمية يستحسن أن يحمل الخطاب توقيعاً «ختماً - شعاراً» يؤكد صدوره عن هذه الجهة أو تلك، أما إذا كان صادراً عن شخص واحد فيكتفي بذكر اسمه وموقعه في آخر المقال، وهذه الأمور - على أهميتها في قيمة الخطاب ومدى تأثيره وقبوله - تعد شكلية، لكن الخطاب لا يستغني عنها، وهناك أمور موضوعية ينبغي توافرها في الخطاب الناجح، منها:

- التركيز على مجمل القضايا المشتركة بين الإسلام والمسيحية، أو التي تجمع وتوحد بينهما في صعيد إيماني واحد، باعتبار الديانتين رسالتين سماويتين منزلتين من عند الله على رسولين كريمين، واستثمار هذا التوحيد في العقيدتين للتصدي لمختلف القضايا التي تهدد الغرب والشرق معاً «الإسلام والمسيحية».

- تحاشي القضايا الخلافية بين العقيدتين، فلا المسيحي يتزحزح عن عقيدته وليس المسلم هو بمتزحزح عن عقيدته أيضاً، وهذه قاعدة عامة لدى الطرفين، وعلى سبيل المثال: يؤمن المسيحي بصلب السيد المسيح عليه السلام، ويشكل ذلك جزءاً مهماً في عقيدته، امتدت آثاره في ثقافة الغرب المسيحي عند مختلف الطوائف المسيحية قديماً وحديثاً، من نساطرة ويعاقبة، وكاثوليك وأرثوذكسي وبروتستانت، وليس وضع قلادة الصليب على الصدر والملابس، وفي كنائسه ومداخل البيوت والاحتفالات إلا تعبيراً واضحاً عن معنى الصلب، ويؤمن المسلمون بأن اليهود صلبوا شخصاً شبيهاً بالمسيح، وأنهم لم يصلبوه يقيناً، وفقاً لآيات قرآنية واضحة في هذا المعنى، ويشكل هذا الاعتقاد لدى المسلمين قناعة دينية راسخة لا يمكن التحول عنها إلا بالكفر والإلحاد، ويؤمن المسيحي بالتثليث «الأب - الابن - روح القدس»، والإسلام يرفض ذلك ويعده من باب الكفر: (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) المائدة:٧٣.

والمسيحية تؤمن بالرهبنة، والإسلام يرفض الرهبنة ولا يقرها «لا رهبانية في الإسلام»، وغيرها من مسائل خلافية، ينبغي عدم إثارتها أو التعرض إليها اللهم إلا إذا دعت الضرورة العلمية لمعرفة نقاط الالتقاء ونقاط الاختلاف بين العقيدتين، وهذا غالباً ما يطرح في موضوع «الأديان المقارنة»، وهو مجال خصب أولاه بعض الغربيين والمسلمين عناية في أبحاثهم، غير أن نتائجه التي توصلوا إليها مازالت ضمن الأوراق والكتب، ولم تترجم إلى واقع عملي، من شأنه أن يزيل نقاط الاختلاف بين العقيدتين، وربما تأتي بنتائج عكسية وعملت على تكريس الخلاف، فلا المسلم قادر على تجاوز الإسلام، ولا المسيحي قادر على تجاوز المسيحية وتعاليمها، ولذلك شدد الإسلام على مجادلة أهل الكتاب ومحاورتهم بالحسنى وبالكلمة الطيبة.

- تحاشي الموضوعات التي حملت صراعاً قديماً، بين المسلمين والنصارى، كالفتوحات الإسلامية التي امتدت إلى العمق الأوروبي «الأندلس غرباً وأسوار فيينا شرقاً»، وكالحروب الصليبية، وحركات الاستعمار التقليدية وغيرها، وتترك هذه الموضوعات للبحوث العلمية وللباحثين يقولون فيها كلمتهم.

- على الخطاب الإسلامي أن يتجاوز موضوع «المؤامرة» على الشرق الإسلامي، منذ القديم وحتى أيامنا هذه، ويدع ذلك جانباً، ومع إيماني العميق بوجود مؤامرة متجددة، تحمل أشكالاً مختلفة من الوسائل والحيل، وتعد لها العدة بين حين وآخر، أرى أن إثارتها ضمن الخطاب الإسلامي لا يجديه نفعاً في الظروف الراهنة، ويكفي أن يضعها الشرق الإسلامي ضمن اهتماماته، ويجد السبل التي تجعله يفلت منها ولا يقع في شراكها.

خاتمة

في أثناء كتابة هذا الموضوع، كنت أشعر بين وقت وآخر بحاجته إلى نقطتين إضافيتين، لا تبدوان خارجتين عنه، وهما:

- الشرق الإسلامي في أمس الحاجة إلى خطاب إسلامي يكون أولاً من الشرق إلى الشرق، ومن بلد إسلامي إلى بلد آخر، ومن أنفسنا إلى أنفسنا، ومن الأخ لأخيه، فنحن في بلادنا على اتساع رقعتها لدينا من الأمور التي تجعلنا نختلف أكثر مما لدينا من الأمور التي تجعلنا نتفق، وهذه المعادلة المعكوسة في حاجة إلى تصحيح عن طريق خطاب يوجه لنا أولاً، نستجيب لدواعيه، ونعمل بمقتضياته، وندرك أهميته وأثره فينا، بعدئذ يكون الخطاب للغرب أكثر جدوى وأكثر قوة وتأثيراً، ويمكن أن يؤتي ثماره المرجوة منه في زمن قياسي.

- في بلادنا الإسلامية أقليات غير مسلمة، هم في حاجة إلى خطاب من نوع معين، يشرح لهم الإسلام ودعوته الحق إلى الأمن والعدل والسلام، وهذا يدعو الجهات المعنية إلى إقامة جسور من الحوار، والمحبة والتعارف مع هذه الأقليات وإلى معاملة حسنة تظهر سلوك المسلم وقيمه السامية، وعدله وتسامحه، فهذه الأقليات من غير شك على اتصال دائم بأوطانهم وبأهليهم، فإذا أحسوا بالأمن والأمان والعدل والمساواة، وهي أمور تعد من جوهر العقيدة الإسلامية، أصبحوا سفراء للإسلام في بلاد الغرب ■

بدءاً يحسن: أن أشير إلى أنه ليس من الكياسة. أن نفهم من الاعتراف بالآخر: التوفيق بين المذاهب، وليس من الكياسة كذلك: أن نفهم من الاعتراف بالآخر. أن يتحول الإنسان إلى مذهب الآخر.

كل ذلك ليس وارداً. إنما المراد: استثمار ما وصلت إليه المذاهب الإسلامية، للوصول إلى انطلاقة الفكر الإسلامي، وبيان سعة أفقه، وقدرة هذا التفكير على التصدي والمواجهة لكل التيارات المناوئة للإسلام والمسلمين.

إذاً فالمطلوب أن يتحد أهل الإسلام، على أصول الإسلام، التي لا يكون المسلم مسلماً إلا بها، وأن ينظر الجميع فيما وراء ذلك نظرة من لا يبتغي الغلب، ولكن يبتغي الحق، والمعرفة الصحيحة.

"الخطاب الأجوف لهوية فاقدة لمقوماتها لن يصنع وحدة قط!!"

الإقرار بالآخر ضرورة حياتية

بقلم: د. أحمد عبد الرحيم السايح



فالمسلمون جميعاً يؤمنون بالله رباً، وبمحمد - صلى الله عليه وسلم - نبياً ورسولاً وبالقرآن كتاباً، وبالكعبة قبلة وبيتاً محجوجاً، ويؤمنون أنه ليس بعد رسوله محمد نبي ولا رسول، وبأن كل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حق. فالساعة حق، والبعث حق، والجزاء في الدار الآخرة حق والجنة حق، وما اختلف المسلمون فيه من شيء فحكمه إلى الله ورسوله. أي أن المسلمين متفقون على أسلوب الخلاف.

إذاً الأمة الإسلامية - وإن اختلفت فيها المدارس الفكرية - تملك أسساً مشتركة تستطيع بها أن تجمع شتاتها، وتوحد كلمتها... فهي أمة واحدة، ذات دين واحد، وكتاب واحد، ورسول واحد. هذه هي الأصول الثابتة التي تشترك فيها الأمة، فإذا أدركتها جيداً والتزمت بمقتضياتها، فإن ذلك يجعل منها أمة واحدة، تلتقي على وحدة الغاية، ووحدة المنهج والعقيدة. ولا بأس من تناول هذه الأسس بإيجاز لتتضح المعالم المضيئة في الطريق:

وحدة الغاية: حيث إن المسلمين يدركون غاية وجودهم في هذه الحياة، وهي الطاعة الكاملة لله - عز وجل - قال تعالى: (وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الذاريات:٥٦، وإدراك هذه الغاية أساس أصيل في وحدة المسلمين.

وحدة المنهج: وهذا المنهج الذي يجب اتباعه، هو ما أشارت إليه الآية الكريمة: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) آل عمران:١٠٣، وليس لهذا المنهج إلا مصدر واحد، وهو الله سبحانه وتعالى، فهو الذي وضعه للمسلمين. فإذا اتضحت هذه الحقيقة في أذهان المسلمين، وأشرقت في قلوبهم المؤمنة، تمثلوها في واقعهم وسلوكهم.

وحدة الرسالة: لقد شاء الله أن يكون الإسلام آخر الرسالات السماوية في الأرض وأن يكون محمد صلى الله عليه وسلم آخر الرسل، فبه أكمل الله الدين، وبه ختم المرسلين، وهذه الحقيقة يجب أن تتضح في أذهان المسلمين، إذ بقدر وضوحها والتزامهم بها، بقدر ما يتيسر للأمة الاجتماع.

وحدة العقيدة: فالعقيدة هي الأساس الذي يرتفع عليه بناء الدين. فإذا قوي الأساس سهل على الأمة تصحيح أوضاعها، وأمكن لها الاجتماع واللقاء. وحين تكون العقيدة واضحة في الأذهان مشرقة في القلوب، تزول الحواجز التي قامت بين الأمة.

فالحق كل الحق أنه لا ضرر على



مهما يكن مقدار الخلاف النظري في العلوم الاعتقادية فإنه لم يمس لب الإسلام

المسلمين في أن يختلفوا، فإن الاختلاف سنة من سنن الاجتماع، لكن الضرر في أن يفضي بهم الخلاف إلى القطيعة والخروج على مقتضى الأخوة التي أثبتها الله في كتابه العزيز، لا على أنها شيء يؤمر به المؤمنون، ولكن على أنه حقيقة واقعة، رضي الناس أم أبوا: (إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) الحجرات: ١٠.

فالخلاف فيم يتعلق بالعقائد، لم يتجاوز الحد النظري، ولا الاتجاه الفكري، فإن العلماء الذين تصدوا لها لم يجر بينهم خلاف أدى إلى امتشاق الحسام، وطبيعة حياتهم العلمية لا تسمح لهم بأن ينقلوا الخلاف من ميدان القول إلى ميدان العمل. ولم يكن الاختلاف النظري ليصل في حدته إلى أن يجعله عملياً. ولم تظهر الحدة إلا في أن يحكم كل واحد على الآخرين بالخطأ.

ومهما يكن مقدار الخلاف النظري في العلوم الاعتقادية، فإنه لم يمس لب الإسلام ولم يكن الاختلاف فيما علم من الدين بطريق قطعي لا شك فيه، أو في أصل من أصوله التي لا مجال لإنكارها التي تعد من أركان الإسلام التي يقوم عليها بناؤه.

فالخلاف حول أوائل المقالات، يجري حول معارف إسلامية تبلور كثيراً من الحقائق، وتصقل العقول والأفهام وتحدث باحتكاكها وميضاً. يكشف سبل البحث، وطرائق الاستدلال.

تلك هي خلافات المذاهب الإسلامية قديماً وحديثاً، وهي في باطنها تشير إلى الوحدة لا إلى الفرقة، وتنبئ عن الاجتماع، لا عن التشتت.

فلم يكن الاختلاف في وحدانية الله تعالى، وشهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا في أن القرآن نزل من عند الله العلي القدير، وأنه معجزة النبي الكبرى، ولا في أنه يروى بطريق متواتر، نقلته الأجيال الإسلامية، كلها جيلاً بعد جيل، ولا في أصول الفرائض كالصلوات الخمس، والزكاة، والحج، والصوم، ولا في طريق أداء هذه التكليفات.

وبعبارة عامة: لم يكن الخلاف في

ركن من أركان الإسلام، وفي أمر علم من الدين بالضرورة. كتحريم الخمر، والخنزير، وأكل الميتة، والقواعد العامة للميراث... وإنما الاختلاف في أمور لا تمس الأركان، ولا الأصول العامة.

إذن الخلاف: خلاف فكري، والخلاف الفكري، مقبول مادام في دائرة معقولة، والمعارف ميدان من ميادين التفكير. للمسلم أن يجول فيها. والخلافات بين المذاهب، تدل على الحرية الفكرية، إن أحسن النظر إليها. تسعد الأمة، وتكفل رقيها، وتبقى على سلامتها.

إن هذه الخلافات في جوهرها تنبئ عن معنى الوفاق. فهي ترتبط بأصل واحد هو الكتاب والسنة.

ومدارس الفكر المختلفة داخل الإسلام، شيء طبيعي، مرغوب فيه، ليس منه بد، ما دام الإسلام ديناً حياً لأحياء، لكي يزدادوا حياة... والإسلام نفسه شحنة هائلة من النشاط العقلي، تأبى أن يتحول المسلمون إلى مجرد نسخ متطابقة، تتكرر باستمرار، وبلا اختلاف، من عقل واحد أياً كان هذا العقل... حتى لا يهلك المسلمون من الإجداب، والرتابة، والركود، والشعور بالقدم.

وليس يرضي الإسلام. أن تلد الأمهات المسلمات إمعات مكررة معتمة، وإنما يرضيه ويعليه إنجاب العقول اليقظة النشطة.

وبكل تأكيد ستظل المذاهب الإسلامية، ومدارس الفكر في الإسلام، موجودة ما بقي للمسلمين حاجة إلى التعبير عن تراثهم العقلي والروحي، وإلى استدامة الصلة بين أصول دينهم، وبين واقع الحياة، وليس من مصلحة الإسلام والمسلمين كبت النشاط العقلي والروحي داخل الإسلام. لأن ذلك من أجلّ ما يقدمه المسلم لدينه أن يُفكّر فيه ويشعر به.

والإسلام يضعف ويصبح تراثاً جامداً محنطاً إذا لم يُفكر فيه، ويشعر به إلا الحمقى والجهلاء من أصحاب المذاهب الجامدة التي تكفر وتبدع ما عداها.

ومن سبل إدراك ما بين المذاهب الإسلامية: أن نعي دور العقل الإسلامي، ومن أوضح سمات القرآن الكريم التي لفتت نظر الباحثين: هي الإشادة بالعقل، وتوجيه النظر إلى



القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به

استخدامه، فيما يفيد، وينفع، فدعا القرآن بطريق مباشر وغير مباشر، إلى تقدير العقل، والرجوع إليه، فيما اختص به من تفكير. ويحرص القرآن على تأكيد هذا المعنى، حتى إنه ليكرر هذا في الدعوة بشكل يلفت النظر، ويثير الاهتمام.

ويشير القرآن إلى العقل بمعانيه المختلفة، مستخدماً لذلك كل الألفاظ التي تدل عليه أو تشير إليه من قريب أو بعيد، من التفكير والنظر، والتدبر، والرأي، والحكمة، والتذكر، والعلم، والفقه، والرشد، والبصر... إلى غير ذلك من الألفاظ التي تدور حول الوظائف العقلية على اختلاف معانيها، وخصائصها، وظلالها... مما يعتبر إيحاءات قوية، بدور العقل وأهميته.

والقرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم، والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة، ولا مقتضبة في سياق آية، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها، مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة، ولا يأتي تكرار الإشارة إلى العقل بمعنى واحد من معانيه، بل هي تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها، وتتعمد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص من مواطن الخطاب ومناسباته، فلا ينحصر خطاب العقل منها في العقل الوازع، ولا في العقل المدرك، ولا في العقل الذي يناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح، بل يضم الخطاب في الآيات القرآنية كل ما يتسع له الذهن الإنساني من خاصة أو وظيفة.

ومن خصائص العقل أنه ملكة الإدراك التي يناط بها الفهم والتصور.

ومن خصائص العقل أيضاً أنه يتأمل فيما يدركه ويقلبه على وجوهه، ويستخرج منه بواطنه وأسراره، ويبني عليها نتائجه وأحكامه، وهذه الخصائص في جملتها تجمعها كلمة «الحكيم».

ومن أعلى خصائص العقل الإنساني «الرشد»: وهو مقابل لتمام التكوين في العقل الرشيد.

وفريضة التفكير في القرآن الكريم - كما يذكر العقاد - تشمل العقل الإنساني بكل ما احتواه من هذه الوظائف بجميع خصائصها ومدلولاتها، لأن الكتاب الذي ميَّز الإنسان بخاصة التكليف هو الكتاب الذي امتلأ بخطاب العقل بكل ملكة من ملكاته، وكل وظيفة عرفها له العقلاء والمتعقلون.

والعقل الذي يخاطبه الإسلام، هو العقل الذي يدرك الحقائق، ويوازن بين الأضداد ويتبصر ويتدبر.

فالإسلام هو الدين الذي أعلى من شأن العقل، وعده أداة صالحة للتعرف إلى الحقائق، وعلى رأسها الإيمان بالله، وقدره، ووحدانيته، وهو الدين الذي طلب من الإنسان، أن ينطلق إلى الإيمان من الدليل والبرهان.

ولذلك دعا إلى إعمال العقل والتفكير به، وذم الذين يهملون عقولهم، ويعطلون نعمة الله فيهم، ويلوذون بتبعية أو تقليد، من غير تفكير، ولا نظر. وإنك تجد ذلك واضحاً فيما يلي من الأمور:

أولاً: لقد طلب القرآن الكريم من الإنسان أن يفكر فيما يُدعى إليه، إما منفرداً بنفسه، وإما مجتمعاً مع أناس آخرين. قال تعالى: (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) سبأ:٤٦.

ثانياً: لقد امتدح القرآن الكريم المفكرين، ووصفهم بأنهم هم أرباب العقول، قال تعالى: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب. الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض) آل عمران:١٩١ - ١٩٢.

ثالثاً: لقد عدَّ القرآن الكريم الذين لا يفكرون فيما يلقى إليهم، ولا يعملون فيه عقولهم، كالبهائم، قال تعالى: (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صم بكم عمي فهم لا يعقلون) البقرة:١٧١.

وقال تعالى: (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) الأعراف:١٧٩.

رابعاً: لقد ذم القرآن الكريم التقليد الأعمى، وهو أن تتبع غيرك من غير وعي ولا تفكير، فقال تعالى: (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون) البقرة:١٧٠.

لقد نهى القرآن الكريم الإنسان أن يتبع شيئاً ويؤمن به، من غير أن يكون له على صحته دليل ساطع، وبرهان مقنع، يصل إلى درجة العلم واليقين. قال الله تعالى: (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) الإسراء:٣٦.

ولما كان العقل له في الإسلام هذه العناية الفائقة من التقدير. فقد اتخذ



الإسلام كتصور روحي خاص استمر يناضل فكرياً أهل الأديان والعقائد المختلفة مدة طويلة

له الإسلام منهجاً فريداً في تحريره، ليظل العقل عاقلاً، والفكر راشداً، وهذا المنهج يقوم على دعامتين أساسيتين، من شأنهما حراسة العقل، وترشيد الفكر.

وأول دعائم المنهج الإسلامي في تحرير العقل هو تحرير الإنسان من أغلال الحجر العقلي، وسيطرة التبعية العمياء، حتى يقوم العقل على حرية الفكر، واستقلال الإرادة، ليكمل بذلك العقل، ويستقيم التفكير.

والدعامة الثانية في المنهج الإسلامي، هي تحرير الإنسان من أصفاد الجهل وظلمته، لأن الجهل يقتل مواهب الفكر، والنظر، ويطفئ نور القلوب، ويعمي البصائر، ويميت عناصر الحياة والقوة في الأفراد، والجماعات، والأمم ويفسد على الناس مناهج الاستقامة.

فالمنهج العقلي كتيار فكري، كان لابد من ظهوره، وذلك لمجابهة التحديات الفكرية التي لاقاها الإسلام عندما امتد سلطانه، وعندما اشتد الصراع الفكري بينه وبين أصحاب الأديان الأخرى من مانويين، وزرادشتيين، وصابئة، ودهريين» وغيرهم.

لقد فتح الإسلام كقوة سياسية أرض الديانات القديمة، وأثبت كيانه فيها. إلا أن الإسلام كتصور روحي خاص استمر يناضل فكرياً أهل الأديان، والعقائد المختلفة، لمدة طويلة اشتبك خلالها المخلصون. أصحاب العقليات. في حرب ضروس مع أصحاب الأهواء، والبدع، والزنادقة، والدهرية، والمشبهة، والحلولية والغنوصية. مثلوا فيها معارضة فكرية قوية، صانوا فيها البناء الروحي والفكري للإسلام من خطر تلك الآراء التي أرادت أن تشوه صفاء العقيدة الإسلامية.

والأمة الإسلامية في عقلانيتها التي انطلقت من دعوة القرآن لم ترفض الوحي، ولم تتنكر للنص المأثور، وأيضاً فهي لم تقف لتتعبد بالنص المأثور دون وعي، وإنما أخذت بالنقل والعقل. فليس من مصلحة المسلم ترك الضحالة، والمحاكاة، والرتابة، والآلية، تطمر أعماقه، وتآكل إرادته.

ومن سبل الوعي أن ندرك أن الخلاف، والاختلاف ضروري، لأن ورود المتشابه في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب) آل عمران:٧، كان سبباً في اختلاف العلماء.

فالعلماء لم يختلفوا على تنزيل القرآن، وإنما اختلفوا على تفسيره أي أنهم. كما يقول الزمخشري. متفقون على نصه، ولكنهم مختلفون في تفسيره، فالقرآن الكريم فيه محكم ومتشابه، ولو كان القرآن كله محكماً لتعلق الناس به لسهولة مأخذه، ولأعرضوا عما يحتاجونه فيه إلى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال، ولارتكنوا على طريقة التقليد، إن وجود متشابه الآيات، أدعى إلى أن يشحذوا الفكر للاستنباط، ويكدوا في معرفة الحق خواطرهم، وإتعابهم القرائح في استخراج معانيه، وما في رد الآيات المتشابهة إلى المحكم من الفوائد الجليلة، والعلوم ونيل الدرجات عند الله.

ويعلق بعض العلماء على ما ذكره الزمخشري فيقول: «وهكذا ألمح الزمخشري إلى عامل من أهم عوامل ازدهار الحضارة الإسلامية عقب قيام الإسلام إذ ألزم القرآن المسلمين بما غمض من معاني آياته وبمحكمه ومتشابهه: البحث، والنظر، والتفكير، والاستنباط، ولو كان سهل المأخذ، يسير الفهم لكانت السطحية التي تغري بالتقليد والجمود، فالاختلاف قرين حرية الرأي والتفكير.

وإذا كان الاختلاف يخترق جميع الأمم والملل والمعرفة، فإن للاختلاف الذي وقع بين المذاهب بنيته الأصلية المستمدة من خصوصية النص القرآني، والحديث البياني. ونعني بالخصوصية هنا: ما منح النص القرآني إعجازه، وما امتاز به على سائر النصوص. فالخطاب القرآني كلام تتسع معانيه، وتتعدد وجوه الدلالة فيه.

إنه كلام لا يمكن استقصاء معانيه، أو حصر دلالاته، يقول الزركشي»معاني القرآن لا تستقصى، ولا نهاية لفهم كلام الله، ولا يمكن لأحد أن يقبض عليه، أو يفوز بحقيقته، من هنا تباينت التفاسير، واختلفت الطرق، والمذاهب، والفرق، والمقالات.

إذن نحن: إنما نحتاج أول ما نحتاج إليه إلى الإعلان عن «حق الاختلاف» الذي هو حق من حقوق الإنسان، إن لم يكن أبرزها، حتى يكون اختلاف الآخر عن «الأنا» أمر لا جدال فيه أي حتى يتم قبول كل فريق بالفريق الآخر، كما هو معتقده ومذهبه. وما دمنا لم نصل إلى الوحدة لعدم اعترافنا بحق غيرنا، فالأولى أن نعترف بذلك، فإن وحدة تحاول أن تستتبع الآخر، أو تلحقه، أو تقهره، وتستبد به، وتكفره، لن تعمر طويلاً، وسرعان ما يتصدع بناؤها.

كذلك فإن الخطاب الذي لا يزيد عن تكرار أجوف لهوية فاقدة لمقوماتها، لن يصنع وحدة قط، هكذا ينبغي للجميع أن يقروا بأن الاختلاف ضرورة معترفين ببعضهم بأن الواحد هو شطر الآخر، وبأن العقائد والمذاهب هي وجوه لحقيقة واحدة. والاعتراف بحق الآخر، وبأن له حقيقته وقسطه من الوجود يتطلب ذهناً مفتوحاً وعقلاً نيراً.

ولا يخفى أن المسلمين إذا نجحوا في الإقرار بالاختلاف، وأنه ضرورة من ضرورات الحياة، استطاعوا أن يبدأوا السير في الطريق الصحيح.

وحسب الأمة أن تستثمر اللقاء على أصول الإسلام التي لا يكون المسلم مسلماً إلا بها، ثم تعي بعد ذلك دور العقل الإسلامي وانطلاقاته.

وتدرك في وضوح أن الخلاف والاختلاف ضرورة حياتية وحضارية. والأمة الإسلامية كانت ومازالت تملك رصيداً ضخماً من الأصول والقواعد يمكن الأمة من تنمية فلسفتها الخاصة بها، ومن أن تجمع شملها، وتوحد صفوفها، وقد أتم الله على الأمة وحدة الأصل الإنساني، ووحدة العقيدة، ووحدة المصدر، ووحدة الشعور، ووحدة الصف، ووحدة العبادات ■

القروض الحسنة وأثرها في التكافل الاجتماعي

منذ العصور الأولى عرف الإنسان القرض مرتبطاً بالفائدة والزيادة على رأس المال، وذلك بهدف سد حاجات المحتاج، دليل ذلك أن «أرسطو» انتقد كل ما هو قائم على الفائدة، بحجة أن النقد لا يولد النقد، والذي يجب أن يكون عليه الحال هو أن الذي يولد النقد هو العمل، معتبراً أن الفائدة التي تؤخذ على القرض هي كسب ضد فطرة الإنسان، وبالتالي هي استغلال للمضطر والمحتاج، ومن أقواله: «والفائدة هي نقد تولد عن نقد لا عن عمل، وهذا من بين ضروب الكسب كلها، هو الكسب المضاد للطبع».(١)

وأما الشرائع السماوية، فقد شرعت القروض من دون فائدة، بل حضت عليه واعتبرته نموذجاً من النماذج التي تقوّي العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين الناس.

> تعتبر الفائدة من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي واكبت اكتشاف النقود

بقلم:
د.محمد عمر الحاجي

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في نسخ التوارة المتداولة: «لا تقرض أخاك بربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء مما يُقرض للأجنبي تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا».(٢)

ولا شك أن مسألة التفرقة في المعاملة بين اليهودي وبين غيره من الأمور التي تؤكد تحريف التوراة، وذلك لأن جوهر الشرائع لا يميز بين إنسان وآخر.

وفي الإنجيل نصوص صريحة تدل على تحريم الفائدة، وتحض على أن يُقرض الإنسان أخاه المحتاج من دون أن ينتظر منه مالاً أو نحو ذلك: «وإن أقرضتم الذين ترجون أن تستردوا منهم، فأي فضل لكم؟ فإن الخطاة أيضاً يُقرضون الخطاة، لكن يستردوا منهم المثل، بل أحبوا أعداءكم وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً، فيكون أجركم عظيماً، وكونوا بني العلا».(٣)

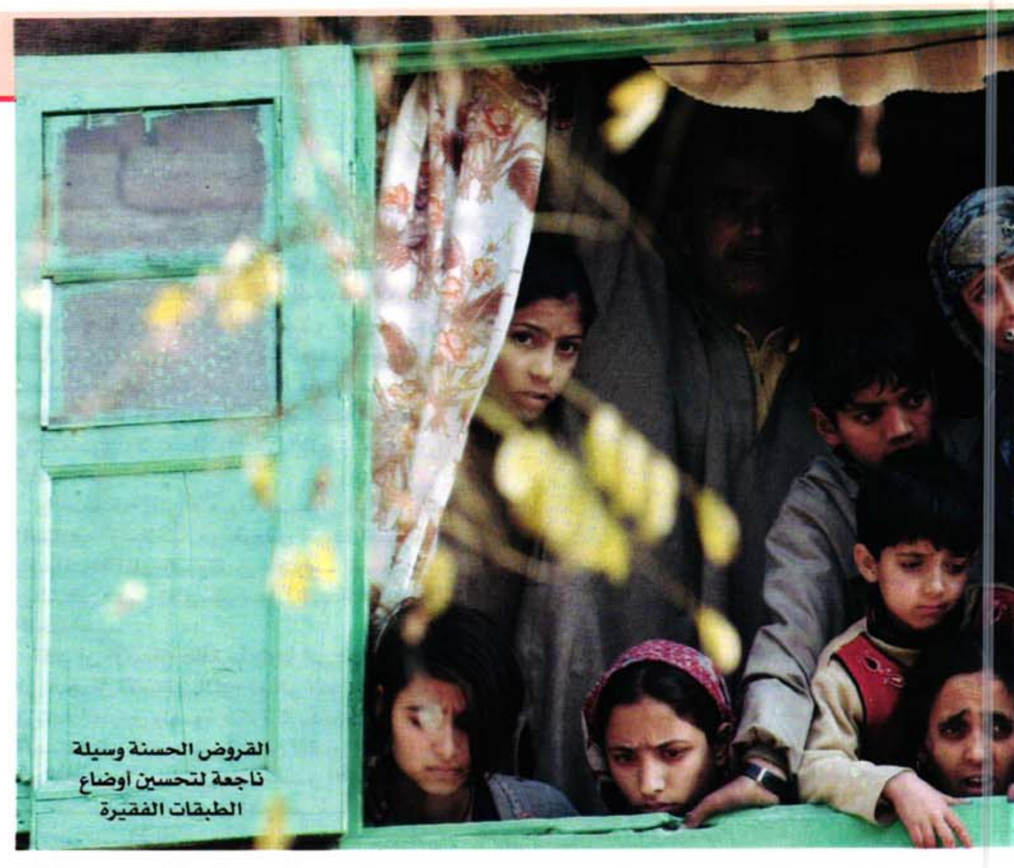
ولما كان العهد الجاهلي أصبح الإقراض الربوي سائداً، على المستويين الفردي والقبلي أيضاً، سواء كان المال نقداً كالذهب والفضة، أو مالاً عينياً كالبر والشعير، أو مالاً نامياً كالحيوان وغيره.

قال الإمام القرطبي (ت: ٦٧١هـ): والربا الذي عليه عرف الشرع شيئان: تحريم النساء والتفاضل في العقود والمطعومات، ومعظمه كانت العرب تفعله، من قولها للغريم: أتقضي أم تربي؟ فكان الغريم يزيد في عدد المال ويصبر الطالب عليه، وهذا كله محرَّم باتفاق الأمة، وأكثر البيوع الممنوعة إنما تجد منعها لمعنى زيادة إما في عين مال، وإما في منفعة لأحدهما، من تأخير ونحوه.(٤)

قال الحافظ ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): وقد ذكر «زيد بن أسلم»، و«ابن جريج» وغيرهما أن «بني عمرو بن عمير» من «ثقيف»، و«بني المغيرة من بني مخزوم»، كان بينهم ربا في الجاهلية، فلما جاء الإسلام ودخلوا فيه، طلبت ثقيف أن تأخذه منهم، فتشاوروا، وقالت «بني المغيرة» لا نؤدي الربا في الإسلام بكسب الإسلام، فكتب في ذلك «عتاب بن أسيد»، نائب مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآية، فكتب بها رسول الله إليه: (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين. فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٧٩.

فقالوا: نتوب إلى الله، ونذر ما بقي من الربا، فتركوه كلهم، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن استمر على تعاطي الربا بعد الإنذار.(٥)

ولما شاء الله تعالى أن يُرسل للناس آخر الشرائع السماوية، هداية ورحمة وهدى وشفاء، نرى أن القرآن الكريم قد شنَّ على الربا حرباً عنيفة لا هوادة فيها، من ذلك قول الله تعالى: (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. يمحق الله الربا ويُربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم. إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين. فإن لم


القروض الحسنة وسيلة ناجعة لتحسين أوضاع الطبقات الفقيرة

تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) البقرة: ٢٧٥ ـ ٢٧٩.

وقوله سبحانه: (يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون) آل عمران:١٣٠.

وقوله عز وجل: (وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً) النساء:١٦١.

وقوله تعالى: (وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) الروم:٣٩.

وبالمقابل فقد شجع على القرض الحسن وحضّ عليه، من ذلك قول الله تعالى: (إن المصدّقين والمصدّقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يُضاعف لهم ولهم أجر كريم) الحديد:١٨، وقوله سبحانه: (إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم) التغابن:١٧.

وهذه ليست إلا أدلة من الأدلة التي تدل على مشروعية القرض، ومثلها ما ورد في السنة النبوية أيضاً، من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يُقرض مسلماً قرضاً مرتين إلا كان كصدقتها مرة».(٦)

ومن ذلك ما رواه أبورافع رضي الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استسلف من رجل بكراً(٧)، فقدمت عليه إبل من إبل الصدقة، فأمر أبا رافع أن يقضي الرجل بكره، فرجع إليه أبورافع فقال: لم أجد فيها إلا خياراً رباعياً، فقال: أعطه إياه، إن خيار الناس أحسنهم قضاء».(٨)

ولذلك يُعتبر القرض قربة من القُرب، وذلك لما فيه من نفع.. وقضاء حاجة.. وتيسير أمر مُعسر... وتفريج كربة ونحو ذلك، وقد صدق الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال: «من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».(٩)

مفهوم القرض

في اللغة: مصدر قَرَضَ الشيء يقرضه، والجمع قروض، وأصله: القطع، ومعاني القرض تدور على: القطع، والمجازاة، والترك... والقرض: ما تعطيه الإنسان من مالك لتقضاه، وكأنه شيء قد قطعته من مالك، ويُقال: إن فلاناً وفلاناً يتقارضان الثناء، إذا أثنى كلٌّ واحد منهما على صاحبه، وكأن معنى هذا أن كل واحد منهما أقرض صاحبه ثناء، كقرض المال.(١٠)

أما في الاصطلاح: فله تعريفات كثيرة، منها قول «التمرتاشي»: هو عقد مخصوص يرد على دفع مال مثلي لآخر ليرد مثله(١١)، ومنها قول «الرملي» هو تمليك الشيء برد بدله.(١٢).

وهناك فرق بين القرض والدين، قال أبوهلال العسكري: الفرق بين القرض والدين، أن القرض أكثر ما يُستعمل في العَيْن والورق، وهو أن تأخذ من مال الرجل درهماً لتَرُدَّ عليه بدله درهماً، فيبقى عليك ديناً إلى أن تردّه، فكل قرض دين، وليس كل دين قرضاً، وذلك أن أثمان ما يشتري بالنساء ديون وليست بقروض، فالقرض يكون وفاؤه من جنس ما اقترض، وليس كذلك الدين.(١٣)

القرض أفضل الصدقة؟!

هناك خلاف بين الفقهاء حول المفاضلة بين القرض والصدقة، فبعضهم يرى أن القرض أفضل من الصدقة، ودليلهم على ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «قرضُ الشيء خيرٌ من صدقته»(١٤)، وكذلك قوله صلوات الله عليه: «رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوباً: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر، فقلت: يا جبريل، ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل قد يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة»(١٥)، وقد ذهب إلى الأخذ بهذين الحديثين «ابن عمر» رضي الله عنهما، وعلل ذلك بأن الصدقة إنما يُكتب أجرها حين التصدق، والقرض يُكتب أجره مادام عند المقترض.

قال «ابن حجر الهيتمي»: لكن قد يُعارض الحديثين خبر ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أقرض مسلماً درهماً مرتين كان له كأجر صدقة مرة»(١٦)، ومن ثم قال ابن مسعود: لأن أقرض مرتين أحبُّ إليَّ من أن أتصدق مرة، وكذلك قال (ابن عباس وأبوالدرداء) رضي الله عنهما.

ثم قال «الهيتمي»: ولك أن تسلك طريقاً وسطاً في الجمع بين تلك الأحاديث بأن تحمل الخبر المقتضي لأفضلية الصدقة على ما إذا وقعت في يد محتاج والقرض في يد محتاج، ويدل عليه الحديث الثاني، وتعليلهم أخذاً منه أفضلية القرض بأنه لا يقع إلا في يد محتاج، بخلاف الصدقة، وعليه ينتج من ذلك أن الذي يقع منهما في يد محتاج أفضل من الآخر إذا وقع في يد غيره، وعليه يُحمل الخبر المقتضي لأفضلية الصدقة والخبر المقتضي لأفضلية القرض، أما إذا وقع كلٌّ بيد محتاج أو بيد غير محتاج، فظاهر أن الصدقة أفضل، إذ لابدل لها بخلاف القرض، وهذا هو الذي يتجه في هذا المحل.

ثم ينقل عن «البلقيني» قوله في هذه المسألة: الصدقة والقرض يختلف التفضل فيهما باعتبار الأحوال، فإذا عُلم احتياج الفقير ونحوه، فصدقة التطوع عليه أفضل من القرض له أو

تغيره، وإذا لم تُعلم حاجته، وإنما أعطيت السائل وأنت شاك في حاله، وآخر طالب لقرض نظير ذلك، ولا يُعلم من حالهما اختلاف إلا مجرد الطلب، فهنا يُفضل القرض على الصدقة ممثلاً بالغالب في طلب الصدقة وطلب القرض.

هذا بالنسبة لحال الآخذ، وأما بالنسبة لحال المعطي الذي خرج عن الشيء لله تعالى، فحاله أفضل من حال المقرض الذي لم يخرج عن الذي أقرضه، وإنما هو طالب رده، فإذا أقرضه مرتين كان حاله في ذلك كحال المتصدق، نظراً إلى أنه راغب في إقراضه، فحاله في الأولى اقتضى حصول نصف أجر الصدقة، وحاله في الثانية اقتضى حصول النصف الثاني، وعلى هذا ينزل حديث «ابن مسعود» على تقدير العمل به، فيكون حديث «أنس» بالنسبة إلى حال الآخذ، وحديث ابن مسعود بالنسبة إلى حال المعطي، وإذا نزّل على ذلك انتفى التعارض بهذا الجمع.(١٧)

أركان القرض

أجمع جمهور الفقهاء على أن أركان عقد القرض ثلاثة، هي:

أ ـ الصيغة «الإيجاب والقبول»: سواء كان ذلك بشكل صريح، أو بما يؤدي معناهما، أو كأن توجد قرينة دالة على إرادة القرض، مثال ذلك قوله: أسلفتك، أعطيتك قرضاً، أقرضتك، استقرضت...

ب ـ العاقدان «المقرض والمقترض»: ويشترط في المقرض أن يكون حراً بالغاً عاقلاً رشيداً، ويُشترط في المقترض أهلية المعاملة دون أهلية التبرع.

جـ ـ المحل «المال المقترض»: وقد ذكر الفقهاء له ثلاثة شروط هي:

١ ـ أن يكون من المثليات: كالنقود والموزونات والعدديات المتقاربة، ونحو ذلك.

٢ ـ أن يكون عيناً: أي لا يجوز إقراض المنافع. وذلك لأن المنافع عند الحنفية لا تعتبر أموالاً.

٣ ـ أن يكون معلوماً: قال ابن قدامة: في ذلك: وإذا اقترض دراهم أو دنانير غير معروفة الوزن لم يجز، لأن القرض فيها يوجب ردُّ المثل، فإذا لم يُعرف المثلُ لا يمكن القضاء، وكذلك لو اقترض مكيلا أو موزوناً جزافاً لم يَجُزْ لذلك، ولو قدّره بمكيال بعينه أو صنجة بعينها غير معروفين عند العامة لم يجز، لأنه لا يأمنُ تلفَ ذلك، فيتعذر ردُّ المثل، فأشبه السَّلَم في مثل ذلك.(١٨)

أما الحنفية فقد ذهبوا إلى أن ركن القرض هو الصيغة المؤلفة من الإيجاب والقبول الدالين على اتفاق الإرادتين وتوافقهما على إنشاء هذا العقد.

من فوائد القرض الحسن

كما هو معروف، المقصود بالقرض الحسن، تقديم المصرف مبلغاً محدداً لفرد من الأفراد، حتى لو كان شركة أو حكومة، بحيث يضمن الآخذ للقرض سداد القرض الحسن، من دون مطالبته بفوائد أو عوائد استثمار، ومن دون مطالبته بأي زيادة، ومن دون تحمل الزبون أي أعباء... ويُعتبر ذلك من باب التعاون والتعاضد، مصداق ذلك قوله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) المائدة:٢.

والحقيقة التي لا مراء فيها أن ما تقدمه المصارف الإسلامية من قروض حسنة تعتبر من باب إغاثة الملهوف وتفريج كروب المضطرين، وبالتالي فهي تطبيق عمليّ لمسألة التكافل الاجتماعي.

ذلك أن الإنسان عادة ما يلجأ إلى الاستقراض في مجال الاستهلاك، ثم في مجال الإنتاج وزيادة العمل وتعود فكرة تقديم القروض الحسنة إلى السبعينيات من القرن العشرين الميلادي، حيث افتتح بنك «ناصر الاجتماعي» في العام ١٩٧٢م، ومن أهم أعماله إعطاء قروض حسنة للذين يتزوجون، ويعملون على إقامة أسر جديدة في المجتمع المصري، كما يقوم أيضاً بصرف قروض للموظفين أصحاب الأسر لمساعدتهم في حياتهم المعيشية.

وعلى غراره قام بنك «دبي الإسلامي»، حيث نصَّت المادة (٧١) من نظامه الأساسي على ما يلي: منح القروض الحسنة للمتعاملين مع البنك الذين يواجهون صعوبات طارئة في أثناء معاملاتهم، حتى لا يُضطروا للتعامل بالفائدة، أو إعلان الإفلاس، ومنح القروض الحسنة لأصحاب الضرورات، كالعلاج والزواج وغيره، حتى لا يقعوا فريسة للمرابين.

ومما يميز القروض الحسنة من غيرها أن المصارف الإسلامية تقدم القروض الحسنة من دون مقابل، سواء كان القرض إنتاجياً أو استهلاكياً، علماً أن المصارف الإسلامية تأخذ رسم خدمة على القروض التي تمنحها، وذلك تحت بند نفقات الإدارة الفعلية على القروض، أو تحت بند الأجر. وهي نسبة تقارب (٢،٥ ـ ٣)، ومع ذلك فلها مبادئ وضوابط، فبعد دراسة مستفيضة ومناقشات واسعة، انتهى مجلس مجمع الفقه الإسلامي إلى القرار رقم (١) الدورة الثالثة ١٩٨٦/٧م، ومما جاء فيه: «وبخصوص أجور خدمات القروض في البنك الإسلامي للتنمية، قرر مجلس المجمع اعتماد المبادئ التالية:

١ ـ جواز أخذ أجور عن خدمات القروض.

٢ ـ أن يكون ذلك في حدود النفقات الفعلية.

٣ ـ كل زيادة على الخدمات الفعلية محرَّمة، لأنها من الربا المحرَّم شرعاً».(١٩)



والسبب في التوجه إلى القرض الحسن هو الابتعاد عن الفوائد والربا، وبالتالي لما له من فوائد، أهمها ما ذكره الدكتور «حسن العناني» بقوله(٢٠): للقرض الحسن فائدتان:

ـ إحداهما معنوية: وهي ثواب الله سبحانه وتعالى، من الإنعام على المقرضين ببركة أموالهم في الدنيا، ومغفرة ذنوبهم في الآخرة، وأنعم بها من فائدة لمن استمسك بدينه، وخشي ربه، قال تعالى: (إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم) التغابن:١٧.

ـ والفائدة الثانية مادية: وتتمثل في إعفاء المقرض من زكاة المال على قروضه لغيره، وذلك عند الحنفية والمالكية(١)، أي بمعدل (٢،٥٪) سنوياً.

إضافة إلى ذلك فالقرض الحسن يعتبر وسيلة فاعلة لمحاربة الاكتناز الذي نهى الله عنه بقوله: (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. يوم يُحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) التوبة: ٣٤ ـ ٣٥.

وحبذا لو تقوم المصارف في بلادنا الإسلامية بتقديم المزيد من القروض الحسنة، وذلك لتسهم في حلحلة مشكلات الفقراء... والشباب.. المحتاجين... «ولو أن الأمة تعوَّدت الاعتماد على الله تعالى، ثم على النفس، وصممت أن تعيش بالقليل مما تملك، ولو مع بعض التقشّف والحرمان من الكماليات والترفيهات، حتى يقوى عودها، ويكتمل بناؤها، لكان ذلك خيراً لها، وأرضى لربها، ويعود النفع العام عليها ببركة من الله عز وجل».(٢٢)

تمويل صناديق القرض الحسن

منذ أن طرحت فكرة المصارف الإسلامية، وحتى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن



عليها، فهناك من يقف ضد الفكرة، وخصوصاً أن الفكرة أصبحت حقيقة على أرض الواقع، وأثبتت نجاحاً باهراً.

لكن المسألة كما قال الله تعالى: (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون. ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين) النحل: ٢٦ - ٢٧.

ومن حججهم الواهية أن مسألة القرض الحسن ليست إلا ضرباً من ضروب الخيال، بحيث لا وجود لها على أرض الواقع، وخصوصاً أننا نعيش في ظلال اقتصادات رأسمالية معاصرة، لا تعرف قرضاً حسناً، ولا مثله من الأمور البعيدة عن الفوائد... وعن الأرباح الضخمة!!.

علماً أن من الأمثلة الواضحة... التي لها وزن على الساحة الاقتصادية... التي تقدم القروض الحسنة لعملائها من دون أن تأخذ عمولة ولا أجراً ولا مصاريف ولا رسوم... بيت التمويل الكويتي.. وبنك دبي الإسلامي وغيرها من المؤسسات المالية الإسلامية.

أما إذا ذهب المشككون في التجربة الاقتصادية الإسلامية إلى القول: فمن أين لصندوق القرض الحسن الأموال التي تموله، وذلك ليستطيع إقراض المضطرين والفقراء وما إلى هنالك؟! وفي الإجابة نقول:

تختلف المسألة من أتباع الشريعة الإسلامية إلى من سواهم، بحيث قد حضّت الشريعة الإسلامية الأتباع على توخّي كل ما له علاقة بالصدقة الجارية، وخصوصاً أن ما يعود بالنفع على عباد الله، وكما هو معلوم فالصدقة الجارية حسب المفهوم الشرعي تتفتح على كثير من الأصعدة ورحم الله القائل:

إذا مات ابن آدم جاء يجري
عليه الأجر عند ثلاث عشر
علوم بثها، ودعاء نجل
وغرس النخل، والصدقات تجري
وراثة مصحف، ورباط ثغر
وحفر البئر، أو إجراء نهر
وبيت للغريب بناه يأوي
إليه، أو بناء محل ذكر
وتعليم لقرآن كريم
فخذها من أحاديث بشعر

وأجمل من ذلك ما عبر عنه المعصوم صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضع وستون وفي رواية وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»(٢٣)، ولذلك لابد للمسلم أن يحرص على الأمور التي ينال منها الحسنات، ولعل من أفضلها المشاركة في صندوق - كصندوق القرض الحسن - يقوم بجمع الأموال لمساعدة المحتاجين والفقراء والمضطرين، بدل أن يضعوها كودائع جارية تحت الطلب، أي بدل تجميدها كأمانات، ولذلك عليهم أن يتقدموا بها - أو بقسم منها - إلى صندوق القرض الحسن، لتتكاتف الجهود كلها في سبيل مرضاة الله تعالى، وتقديم النفع لعباده، عسى أن يدخلوا تحت ظلال قوله تعالى:

تحرك طيب لأصحاب رؤوس الأموال للسؤال عن المجال المشروع لاستثمار أموالهم

(ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً. إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً. إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً. فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً. وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً) الإنسان: ٨ - ١٢.

ولا بأس أن يتساعد الأفراد مع حكوماتهم، حيث يتبرَّع المستطيعون - الأغنياء - بجزء من مالهم. ويخصص ولاة الأمر جزءاً من أموال البترول وغيرها أو من الموازنة وما إلى هنالك، عسى أن تنقلب الأنانية إلى أثرة... وحب الأنا.. إلى النحن.. وعندئذ ينطبق عليهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشبَّك بين أصابعه.(٢٤)

وقوله صلوات الله عليه: «المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكفُّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه»(٢٥)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين، والمسلم أخو المسلم، لا يخذله، ولا يكذبه، ولا يظلمه، وإن أحدكم مرآة أخيه، فإن رأى به أذى فليمطه عنه».(٢٦)

وكما هو معروف، فالفرد لوحده لا يستطيع فعل شيء، إنما لابد من التعاون والتكافل، وعندئذ تكون المسألة كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «يد الله مع الجماعة».(٢٧)

ومن جهة أخرى، فإن القول: إنه لا يمكن القيام بأي عمل اقتصادي إلا تحت مظلة نظام الفوائد، فهذا أمر غير صحيح، ذلك لأن الفائدة (interest) في اصطلاح الاقتصاديين هي: الثمن الذي يدفعه المقترض مقابل استخدام نقود المقرض، وعادة يُعبِّر عن هذا الثمن في صورة نسبة مئوية في السنة، يسمى معدل أو سعر الفائدة (Rate of interest).

وبالتالي تُعتبر الفائدة من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي واكبت اكتشاف البشر للنقود، بحيث عندما كان الناس يتعاملون بالمقايضة لم يكن ثمة فوائد، وعندما دخلت النقود إلى مجالات التبادل، وأصبح هناك مشترون وبائعون، ثم أصبح هناك من يضطر لتأخير الدفع وما إلى هنالك، تحولت المسألة إلى فوائد، ومن ثمَّ تحوَّلت إلى إقراض النقد بالربا، وكل ذلك مخالف لفطرة الإنسان ولما جاءت به الشرائع السماوية.

والذي زاد الطين بلة أنه ظهرت في العصر الحديث نظريات تبرر وجود الفائدة، أهمها:

- نظرية الريع: وملخصها أن الفائدة هي ريع النقود، تماماً كما أن الريع هو عائد الأرض، وعلى رأس أنصار تلك النظرية «وليم بيتي».

- نظرية الربح: وملخصها أن معدل الربح في العادة أعلى من الفائدة.

ـ نظرية المخاطر: وهي أن الفائدة إنما هي تعويض عن المخاطر الكثيرة التي يتعرض لها المقرض.

ـ نظرية أجر الزمن: أن الفائدة أجر الزمن، فما يُباع ويشترى في سوق رأس المال ليس إلا الزمن.

ـ نظرية الحرمان والانتظار: أن الفائدة هي أجر جهد الادخار، ومقابل انتظار المدخر لتحقيق رغباته وتعويضه عن حرمانه من ماله بمال يُضاف إلى أصل القرض.

ـ نظرية تفضل السيولة: أن الفائدة ثمن للنزول عن السيولة، أي أنها ثمن لإقراض النقود.

ـ نظرية بخس المستقبل: أن المال الحاضر أعلى قيمة من المال المستقبل من النوع نفسه وبكمية متساوية، إذ توجد نزعة نفسية لدى الفطرة البشرية لتفضيل المال الحاضر على المال المستقبل.

لكن كل تلك النظريات قد نُوقشت وانتُقدت، وبالتالي فالمسألة ليست إلا تبريراً لأمر مرفوض ومخالف للفطرة الإنسانية، ولكل الشرائع السماوية.

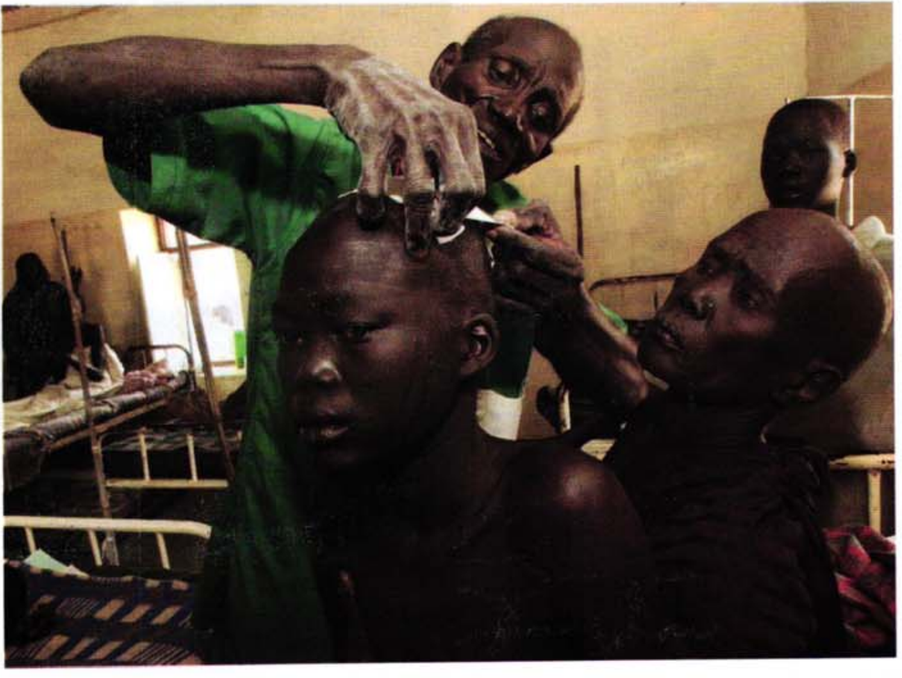
والبديل هو القرض الحسن، وذلك لما فيه من فوائد دنيوية وأخروية، ألا يكفي شكر المقترض للمقرض ودعاؤه له؟ ألا يكفي انتفاع المقرض بضمان ماله عند المقترض؟ ألا يكفي انتفاع المقرض بضمان خطر الطريق؟ ألا يكفي انتفاع المقرض بشفاعة المقترض وجاهه؟

أجل... هناك فرق كبير بين أن يتعامل الناس بالربا والفائدة، وبين أن يتعاملوا بالقرض الحسن، ذلك لأن الشريعة الإسلامية اعتبرت القرض من جنس الصدقة، دليل ذلك أن القرآن الكريم وصف القرض بأنه القرض الحسن، وسبب ذلك أن القرض من دون فوائد يتضمن الإحسان إلى طالبيه من الناس، وهذا ما تؤديه الصدقة، وصدق قول الله: (من ذا الذي يُقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) البقرة: ٢٤٥.

وما تعاني منه المجتمعات المعاصرة، من مآس وأزمات اقتصادية، سببه الرئيس الابتعاد عن المنهج القرآني الذي وضع في الطرف الأول «الربا» واعتبر جزاؤه المحْق والهلاك، يقابله في الطرف الآخر «الصدقات» ومثلها «القرض الحسن» وجزاؤه النماء والبركة والزيادة، وأكد على أنهما نقيضان وضدان لا يجتمعان، قال الله تعالى: (يمحق الله الربا ويُربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم) البقرة:٢٧٦.

وتبقى مرونة الشريعة الإسلامية حجة على الناس المقتنعين بضرورة الانخراط في نظام الربا والفائدة، بحيث تقدم الشريعة البدائل الأخرى لتمويل العمليات الانتاجية والاستثمارية، ومنها: المشاركة في الربح والخسارة، والمضاربة، والمرابحة، والمزايدة الاستثمارية، وعقد الاستصناع، وعقد السلم، والتمويل على أساس المعدل العادي للعائد، و... وصدق الله تعالى حينما ذكر أوجه البر والخيرات، ومنها: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب) البقرة: ١٧٧.

ولا مجال أبداً للمقارنة بين ما جاء من عند الله تعالى، وبين ما وضعته أيدي البشر، قال الله تعالى وهو يبيِّن حقيقة نلمسها في الواقع المُعاش: (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) الملك:١٤ ■



•• الهوامش ••

١ ـ السياسة، أرسطو طاليس: ١١٧ ـ ١١٨.
٢ ـ سفر تثنية الاشتراع: (٢٣:١٩).
٣ ـ سفر لوقا: (٦:٣٥).
٤ ـ الجامع لأحكام القران: ٢/٣١٧.
٥ ـ تفسير القرآن العظيم: ١/٥٨٧.
٦ ـ سنن ابن ماجه: ٢/٨١٢.
٧ ـ البكر بالفتح: الفتيُّ من الإبل، والأنثى بكرة (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ١/١٤٩).
٨ ـ صحيح مسلم: ٣/١٢٢٤.
٩ ـ صحيح مسلم: ٤/٢٠٧٤.
١٠ ـ القاموس المحيط: ٨٠، الصحاح للجوهري: ٣/١١٠١، معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٥/٧١.
١١ ـ تنوير الأبصار: ٥/١٦١.
١٢ ـ نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج: ٤/٢١٩.
١٣ ـ الفرق في اللغة: ١٦٥.
١٤ ـ سنن البيهقي: ٥/٣٥٤.
١٥ ـ سنن ابن ماجه: ٢/٨١٢.
١٦ ـ سبق تخريجه.
١٧ ـ الإنافة في الصدقة والضيافة، لابن حجر الهيتمي: ١٥٧ ـ ١٥٨.
١٨ ـ المغني: ٦/٤٣٤.
١٩ ـ مجلة مجمع الفقه الإسلامي، الدورة الثالثة، العدد الثالث: ١/٣٠٤.
٢٠ ـ يراجع: الأنشطة المصرفية وكمالها في السنة النبوية: ٢/١٤٣.
٢١ ـ يراجع: بدائع الصنائع للكاساني: ٢/٩، القوانين الفقهية لابن جزي: ٢٣٧.
٢٢ ـ دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، الدكتور يوسف القرضاوي: ٢٢٧.
٢٣ ـ صحيح البخاري: ١/٢٤٩، صحيح مسلم: رقمه (٣٥).
٢٤ ـ صحيح البخاري: ٥/٧١، صحيح مسلم: رقمه (٢٥٨٥).
٢٥ ـ سنن أبي داود: رقمه: (٤٩١٨).
٢٦ ـ سنن الترمذي: رقمه: (١٩٢٧).
٢٧ ـ سنن الترمذي: رقمه: (٢١٦٧).

المصارف الإسلامية ضرورة وأمل يشرق في حياة الأمة

اهتم الإسلام بمسألة التنمية والاستثمار، ووضع القواعد التي من شأنها أن تحقق الظروف الصحيحة لبلوغ المصلحة المتوخاة من ذلك. والمتأمل في كتب الفقه التي بينت سبل الاستثمار الصحيح وضوابطه، والتي تصون التعامل عن الظلم أو الغرر أو تبديد المال فيما لا جدوى منه، يجد الكثير من تلك القواعد التي لا تزال وستبقى الملاذ للمسلمين في صياغة التصور الصحيح لسبل الاستثمار والتنمية، سواء في المجال التجاري أو في المجال الزراعي أو في المجال الصناعي. أو في وضع المفاهيم الأساسية للقيم الاقتصادية وفق التصور الإسلامي.

نظام التنمية والاستثمار في الشريعة الإسلامية يعتمد توزيع الربح بين طرفي التعاقد على أساس من الواقعية



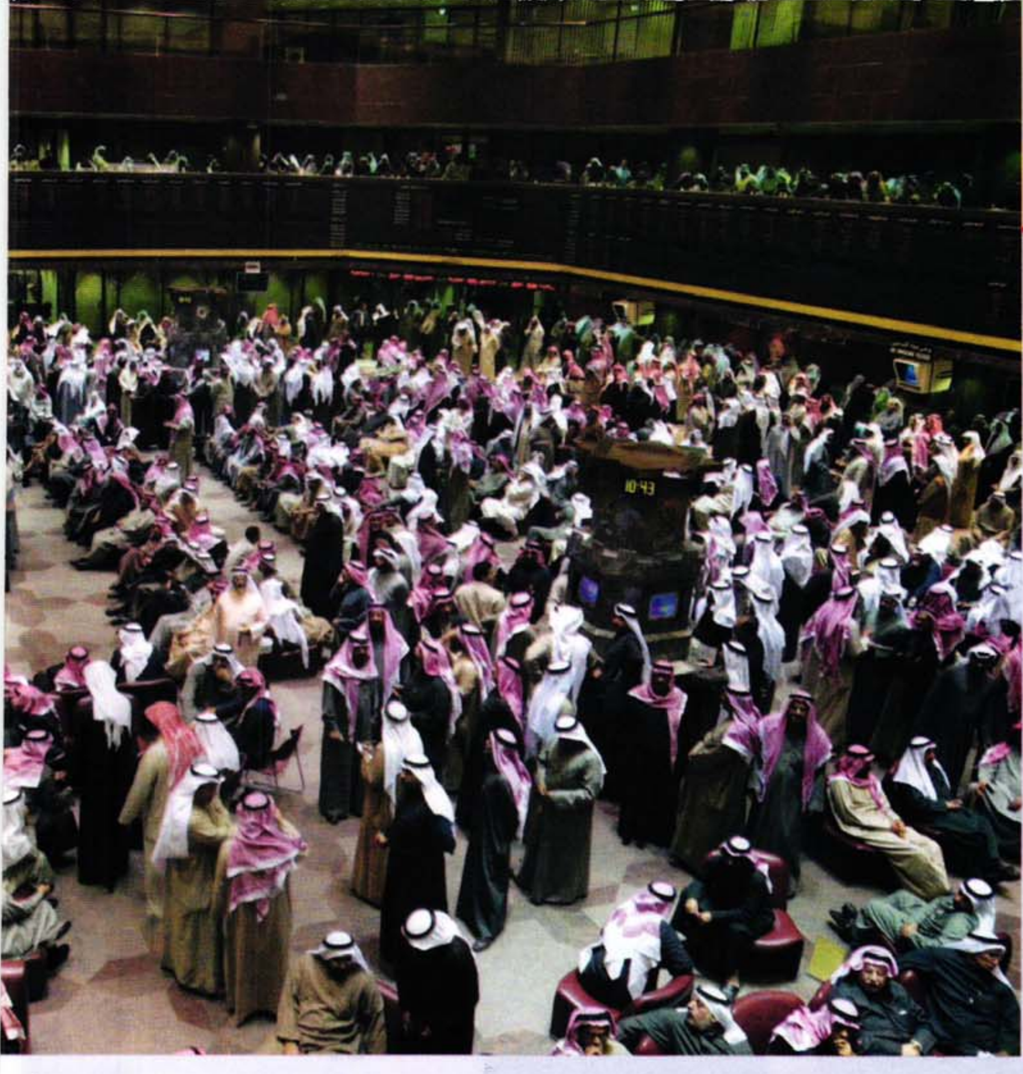
"آن الأوان كي يتسع نشاط المؤسسات المصرفية الإسلامية لتكون البديل المنطقي الصحيح للاستثمار الربوي"



بقلم: د. محمد توفيق رمضان البوطي

والأمة اليوم قد بدأت تستعيد الشعور بهويتها الإسلامية، وتدرك مدى أهمية النظام الاقتصادي الإسلامي لرسم خطة متميزة في قيام اقتصاد قوي، أساسه العدالة والحق، وتعلم جيداً كما لم تكن تعلم إلى فترة قريبة، أن نهضتها الاقتصادية وازدهارها كل ذلك منوط باتباع الأصول التي ارتضاها ربها لها في ذلك، كما تشعر بمدى مسؤوليتها عن التخطيط الدقيق المرتكز على هذا النظام الذي أكرمها به ربها سبحانه.

إن الأمة اليوم لتشعر جيداً بمعنى قوله تعالى:





(يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين. فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٧٩، وقد اتضح لها معنى قوله تعالى: (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) البقرة:٢٧٦، وقوله سبحانه: (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرَّم الربا) البقرة:٢٧٥.

عودة للكسب الحلال

ولذلك فإن من الظواهر الجديدة بالاهتمام أن كثيراً من الناس الذين كانوا لا يبالون في مكاسبهم، من أي مورد جاءت، بدؤوا اليوم يبحثون ويتحرون ويسألون عن المجال المشروع لاستثمار أموالهم بصورة ترضي الله تعالى. وتهتم بنبذ الكسب الحرام والتخلص منه. لقد لاحظت هذا المعنى في الفترة الأخيرة كما لم ألاحظه من قبل على الرغم من أن كثيراً ممن يتسم بسمة أهل العلم أخذوا يسوغون للناس المكاسب غير المشروعة، ويصدرون الفتاوى غير السديدة في هذا المجال.

وظاهرة رفض المكاسب غير الشرعية، من ربا وغيره، هي إحدى مظاهر صحوة الأمة اليوم، إنها مظهر لعودة راشدة إلى الدين، ومظهر وعي يجب أن تحسن توظيفه وتنميته لما فيه خير الأمة ومستقبلها.

كثير من الإخوة والأخوات اليوم يسألون أو يسألن عن حكم المكاسب التي يمكن أن يجبيها المرء من عمل في مؤسسة ربوية!! أو ماذا عساه يفعل أو تفعل بما ترتب على وجود مال في مؤسسة مصرفية ربوية وكيف يبرئ ذمته من الحرام؟!... وآخرون يسألون عن السبل الشرعية التي يمكن أن يتم استثمار المال فيها بصورة مشروعة؟ لقد جرى حديث حول ظاهرة ما يسمى بجامعي الأموال من المحتالين أو أشباههم من ذوي الخيال والفاشلين في تحقيق استثمار صحيح. مما أوجد مشكلة خطيرة في بعض المجتمعات الإسلامية، فقلت له: إن حسَّ الأمة إسلامي... ولذلك فإنها تبحث عن بديل عن الاستثمارات الربوية، وقد ألجأ الناس عدم وجود البديل الصحيح إلى أن يبحثوا في هؤلاء الأدعياء عن استثمار يحسبونه شرعيا، إن من حق أولئك الذين يبحثون عن سبيل استثمار مشروع وفق المعايير الشرعية أن تتوافر لهم تلك المجالات. وليس من الحق في شيء أن نلزم الناس باستثمار لا يقتنعون بصحته، بل يعتقدون بأنه محرم يترتب عليه غضب الله وعذابه. إن بعض الناس إنما رموا أنفسهم بأيدي من يُدعون بـ«جامعي الأموال» هروباً من استثمار يرونه بحسب تصوراتهم الإسلامية حراماً. إن من حق هؤلاء الناس أن يتاح لهم استثمار أموالهم وفق الأصول الشرعية ليستفيدوا هم، ولتستفيد الأمة وينهض اقتصادها بصورة حرة لا يتحكم بها أحد، ولا تبقى تابعة لأي جهة يمكن أن تتحكم بها، وهذه فرصة طيبة ليستفيد المجتمع.

النظام الاقتصادي الإسلامي ينصف أطراف العملية الإنتاجية

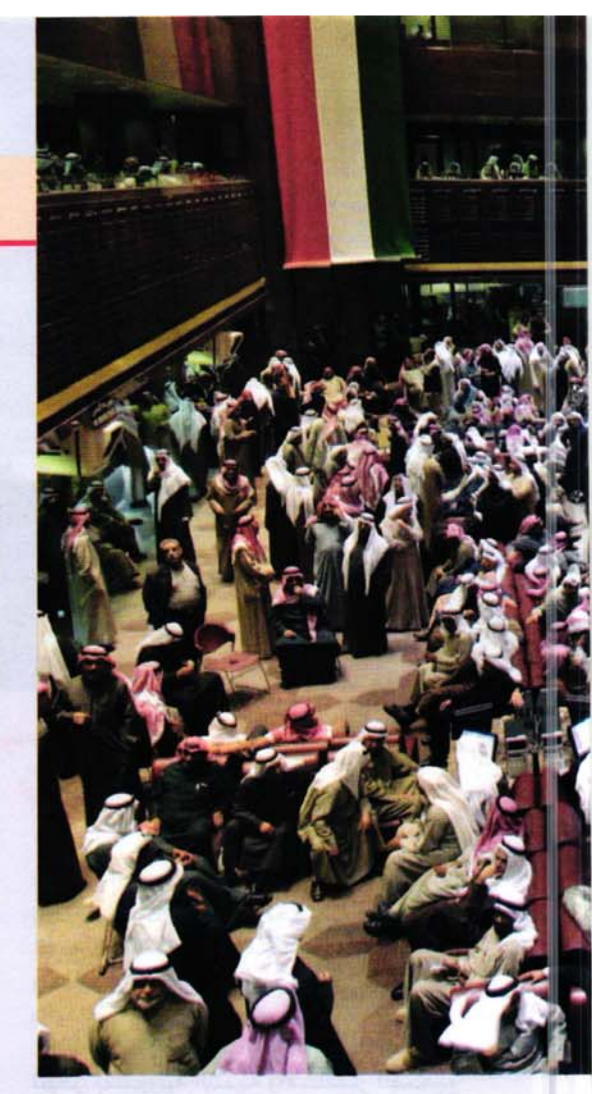
وإنه لمما يبعث على السرور والاغتباط أن تنهض اليوم في بعض البلاد الإسلامية مؤسسات مصرفية تقوم على أسس شرعية في نشاطاتها ومعاملاتها، وتشرف على ملاحظة ذلك هيئات رقابة شرعية مكونة من خيرة العلماء في العالم الإسلامي.

لا للتشكيك

والمتتبع لتطور هذه المؤسسات المصرفية يلاحظ المراحل الجيدة التي قطعتها والخدمات التي تقدمها مما يجعلها قادرة على تقديم مختلف الخدمات المصرفية المعاصرة، وبصورة شرعية ووفق أسس سليمة.

إنني لا أريد بهذا الكلام أن أتملق هذه المؤسسات، ولا أرى أن أبرئ ساحتها من بعض ما ينسب إليها من التجاوزات والأخطاء. فقد يكون ذلك موجوداً، ولكن لا ينبغي أن ننجرف إلى تيار التشكيك الذي يهدف إلى تحطيم ثقة الأمة بهذه المؤسسات، ليقال: إن الحرام الذي تنضح به المؤسسات المصرفية الربوية، وجملة ما تقوم به المؤسسات المصرفية الإسلامية سواء، لتكون النتيجة أن يقال: إذن ليس هناك من نشاط اقتصادي إسلامي ناجح كما تدعون، وليقال: استوى الأمران!!.

التنمية لها أصول



إن من أبسط شروط نجاح سياسة الاستثمار في أي بلد من البلاد، أو لأي مشروع من المشاريع، أن يتوافر عنصر الثقة بين صاحب المال والجهة المستثمرة، وهذه الثقة تتمثل في أمر ذي أهمية خاصة بالنسبة لنا نحن المسلمين، إنها تتمثل في شرعية النشاط الذي يقوم به هذا المستثمر، لأن المسلم يؤمن بقوله تعالى: (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) البقرة: ٢٧٦،ولأن الحرام كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم «يذهب هو وأهله».

ولا ننكر مدى أهمية الثقة بصدق وأمانة وانضباط المستثمر، ومع ذلك فإن هذا الجانب يعود في الحقيقة إلى الجانب الأول، من حيث إنه يقوم على أساس الثقة بدين هذا المستثمر واستقامته والذي ينبغي أن يردعه عن استثمار مال الناس في مشاريع محرمة.

بقيت الثقة بخبرة هذا المستثمر، ومدى معرفته بأصول الاستثمار الصحيحة وفق الأصول العلمية المدروسة، لا مرتجلة ولا عشوائية، وهذا يوجب على مستثمرينا أن يكونوا على علم ودراية بأصول التنمية والاستثمار وفي أعلى مستوى من التخصص العلمي الذي يجمع بين الخبرة حول أحدث أساليب التنمية والإنتاج والتسويق. بالإضافة إلى الخبرة الجيدة بحاجات السوق وأساليب التعامل، بحيث يجمع بين الضوابط الأخلاقية والشرعية المستمدة من ديننا الحنيف، وبين الدراسات الاقتصادية الحديثة مما لا يتعارض مع تلك الضوابط.

إن حالات من الإحباط أصيب بها كثير من المستثمرين الذين جمعوا ما لديهم من مال لتوظيفه في مشاريع استثمارية، لأفراد لم تتوافر لديهم تلك الخبرة الكافية، أو أن الخيارات المتاحة أمامهم للاستثمار محدودة، بحيث لا تسمح لهم بحرية الحركة التي تحقق الكسب بصورة مرضية في أكثر الأحيان، أو أن هؤلاء المستثمرين ليسوا على درجة كافية من الأمانة والوازع الديني الذي يمكن أن يحول دون التورط بالخيانة ونحوها.

ولذلك فإن قيام مؤسسات مصرفية تلتزم بالأصول الشرعية في نشاطاتها ضمانة قوية لتحقيق فرصة كسب أكبر وقيام استثمار ناجح يستفيد منه الفرد والمجتمع نظراً لأن المصرف الإسلامي يؤمل أن يكون معتمداً في نشاطه على عناصر متكاملة من حيث الخبرة، والتخطيط المدروس ودراسة الأسواق وفرص الربح بصورة علمية، لا مرتجلة، وأهم من كل ذلك التزام هذه المؤسسة بالأحكام الشرعية من واجبات ومنهيات وضوابط في كل نشاطاتها، فهي تولي مسألة الزكاة من اهتمامها ما تستحق، وتحرص على تجنب تلويث مكاسبها بما يمحق بركته من المكاسب المحرمة، وتسعى بعد ذلك جاهدة لتقديم أفضل الخدمات التي تجتذب المتعاملين، فتحقق لهم راحة في التعامل من حيث الأسلوب المعاصر في تلك الخدمات من جهة، وفي وضع أسلوب شرعي لتحقيق هذا الهدف بعيداً عن لوثة الربا ونحوه من المحرمات.

نجاح متواصل

إن المقدرة العلمية والتخطيط الدقيق الذي ينبغي أن تقوم به كفاءات متخصصة، والأمانة والغيرة، بالإضافة إلى وجود المرجعية الشرعية التي يوثق بعلمها وأمانتها، كل تلك المقومات توفر للمتعاملين حتى ولو كانوا غير مسلمين نوعاً من الرغبة في تعامل يرضي، يحقق قناعة بعدالة المنهج الذي تلتزم به هذه المؤسسات المصرفية، وهذا ما دفع بعض المؤسسات المصرفية الربوية إلى أن تفتح فروعاً تزعم أنها تلتزم بالضوابط الشرعية في التعامل. إنهم شعروا بأن الحس الإسلامي المتنامي في الأمة والثقة التي نالتها المؤسسات المصرفية الإسلامية قد اجتذبت الكثير من الناس إلى المصارف الإسلامية، فأرادت أن تركب موجة تلك الثقة فلبست ثوباً استعارت له وصفاً إسلامياً لتستميل إليها الراغبين في الكسب الشرعي الصحيح.

وفي هذا رد واضح على محاولات الإيحاء بأن المصارف الإسلامية لا تحقق النجاح المأمول منها.

المنهج الشرعي

أضف إلى هذا أن الأمة واثقة بأن التزام المنهج الشرعي الصحيح ضمانة بركة ونجاح بإذن الله تعالى بمقدار صدق الالتزام بالوصف الشرعي الذي تلتزم به هذه المؤسسات، وغني عن البيان أن المؤسسة الاقتصادية الإسلامية التي يعرف المسلم أين تكسب أرباحها يقبل المسلم عليها ويثق بها أكثر من تلك المؤسسات التي لا يثق في وارد أرباحها، ولا يثق بمدى مصداقيتها، ولا سيما في الفترة الأخيرة التي غدت بعض تلك المؤسسات تريد فرض وصايتها على أموال المستثمرين بدعاوى شتى، لتغطي عملية الاستيلاء على أموال المستثمرين من أبناء أمتنا.

لقد حاولت جهات معروفة التشكيك في بعض المؤسسات المصرفية الإسلامية، باتهامها بشتى الاتهامات التي تسوغ شل نشاطها وتجميد معاملاتها، لا لأنها هي كذلك فعلاً، فهي تعلم أنها أبعد ما تكون عن التعامل المشبوه بكل أنواعه، ولكن لتحطيم ثقة الجمهور الذي ارتضاها مناخاً مناسباً لثقته وتعامله.

الاقتصاد الإسلامي هو البديل

لقد آن الأوان أن يتسع نشاط هذه المؤسسات المصرفية الإسلامية لتكون البديل المنطقي الصحيح للاستثمار الربوي الذي يكرس للاستغلال والظلم والبطالة، وآن الأوان لتعاون المؤسسات المصرفية فيما بينها لتشكل شبكة متضافرة تهيئ لشتى النشاطات التجارية والخدمات المصرفية اللازمة لها بأرقى الأساليب العلمية الموثوقة والتي يجب



أن تحاط بأعلى تقنيات الحماية التي توفر للمتعاملين الثقة والطمأنينة. وليبدأ العالم الإسلامي بإنشاء شبكة متضافرة لهذه المؤسسات المصرفية في فتح الاعتمادات وخطابات الضمان والتحويل والإيداع والاستثمار واستصدار بطاقات الائتمان، وغير ذلك من النشاطات المصرفية التي يجب أن تتنامى وتتطور، حتى تحقق للمتعاملين أقصى ما يصبون إليه من الراحة في التعامل وأعلى ما يرجون من الثقة، إن شاء الله تعالى.

ولا يخفى أن نظام التنمية والاستثمار في الشريعة الإسلامية يعتمد توزيع الربح بين طرفي التعاقد الاستثماري على أساس من الواقعية في فرص الربح وحصوله، لا على مبدأ الافتراض الزمني الذي تعتمده الأنظمة الأخرى، فالربح الذي يجب أن يتم توزيعه بين أطراف العمل الاستثماري هو الناتج الحقيقي من الربح، وليس الفائدة الزمنية أو بعبارة أخرى «الفائدة الربوية»، وفي هذا من العدالة والواقعية ما يجعل العلاقة بين أطراف العملية الاستثمارية علاقة عدل وإنصاف، لا علاقة استغلال وإجحاف، فليس ثمة مستغِل ومستغَل، وواقعية الربح لأنها تعتمد في تقديره على الربح الحقيقي، لا على الربح الافتراضي الذي يعود تقديره على العامل الزمني وحده، وهذا يحقق نوع قناعة بين أطراف التعاقد بأنه تعاقد منصف، بذل كل من الطرفين فيه مساهمة حقيقية في الناتج الذي يجب أن يتم توزيعه أياً كانت طبيعة هذا الناتج ونسبته، ثم إن الجهد يقدر بقدره والمال أيضاً يقدر بحسب دوره، أما الزمن فهو فرصة التنمية والظرف الذي تتم من خلاله العملية الإنتاجية وليس هو عامل الربح بحد ذاته.

من أبسط نجاح سياسة الاستثمار توافر عنصر الثقة بين صاحب المال والجهة المستثمرة

القضاء على الطفيليات

إن الإسلام من خلال هذا النظام قد حقق التصور الصحيح الذي ينصف أطراف العملية الإنتاجية أو الاستثمارية، سواء في جانب المال أو في جانب الجهد، وهو لا يغفل قيمة العامل الزمني ولكن من حيث إنه الظرف الذي تتم من خلاله الأنشطة الاستثمارية المختلفة، وليس بوصفه معياراً منفرداً أو عاملاً في التنمية.

إنه عندما قامت التجارب المعاصرة الأولى لمسألة التنمية وفق النظام الإسلامي استأثرت باهتمام المنصفين من الغربيين، الذين ينظرون إلى مبدأ العدل، لا إلى مصالح المؤسسات الربوية التي يقومون على رعايتها أو ترتبط مصالحهم بها، فوجدوا في هذه التجربة الأمل المنشود في العملية الإنتاجية من حيث العدل والواقعية الذي أشرت إليهما قبل قليل... ولعل الكثير من الإخوة قد اطلعوا على ما كتبه في ذلك «ر.ك. ريدي» حول تجربة الأستاذ المرحوم الدكتور «أحمد عبدالعزيز النجار» يوم كان يرعى بواكير تجربة البنوك غير الربوية في مصر في أوائل الستينيات من القرن الماضي(١)، أو فيما كتبه «جاك أوستروي» حول الإسلام والتنمية الاقتصادية(٢).

إن النظام الإسلامي في هذا المجال يقضي على تلك الطفيليات التي تعيش على جهود الآخرين من المرابين الذين يستغلون المحتاجين ويفرضون عليهم الربح المفترض بعامل الزمن الذي جعلوه معياراً وحيداً للربح والتنمية، ويجعل الربح قائماً على طرفين مساهمين يقدَّر في ذلك لكل دوره الحقيقي في تحقيق الربح إلى أقصى حد ممكن من العدالة، ولذلك فقد كان النجاح حليف الواقعية والعدالة.

إننا لننتظر إنشاء المصارف الإسلامية التي تنهض بمسؤولية التنمية والاستثمار الصحيح في بلادنا كلها، والتي يؤمل أن تحقق جميع الخدمات المصرفية المعاصرة بصورة صحيحة وفق الأصول الشرعية التي ترضي الله وتنهض باقتصاد الأمة والفرد، وتضعنا في مستوى مسؤولياتنا في مواجهة التحديات المعاصرة.

وبمقدار ما يراود هذا الأمل أحلامنا، بمقدار ما نخشى من عبث يؤدي بمصداقية هذه المؤسسات المصرفية الإسلامية، وبمدى التزامها بالأصول الشرعية، لن أضع الآن النقاط على الحروف، ولكن الجميع يعلم كم تتعرض المؤسسات التمويلية والاستثمارية والمصرفية الإسلامية من حملات تشكيك، وحملات التشكيك هذه لن تؤثر ما لم تكن صدى لواقع يستغله المتشككون، وعندئذ ستصاب أمتنا بإحباط، لعله يُخطط له من قبل من لا يريدون لهذه المؤسسات أن تستمر، إننا لنرجو من هيئة المحاسبة في البحرين أن تكون حازمة في التدقيق على بعض التجاوزات التي تجري هنا وهناك، لتبقى هذه المؤسسات الإسلامية ينبوع خير للمسلمين ولغير المسلمين، فدعوة الإسلام رحمة للعالمين ■

السلطة التقديرية للقاضي في الفقه الإسلامي



القضاء العادل يصون الحقوق والأموال لأصحابها وهو مهمة الأنبياء والمرسلين والقاضي خليفة عن النبي ﷺ لذا يجب عليه تحري الحكم بالحق بما أنزله الله



إعداد:
عبدالله بدران

منحت كلية الشريعة في جامعة دمشق الباحث «محمود محمد ناصر بركات» درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية، إثر مناقشة أطروحته التي أشرف عليها الدكتور «وهبة الزحيلي»، وجاءت تحت عنوان: «السلطة التقديرية للقاضي في الفقه الإسلامي».

وأوضح الباحث بداية أن العدل قوام السماوات والأرض، والقضاء حصنه وأداة تنفيذه، فبالقضاء العادل تصان الحقوق والأموال لأصحابها مبيناً أن القضاء مهمة الأنبياء والمرسلين، والقاضي خليفة عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيجب عليه تحري الحكم بما أنزله الله تعالى بالحق.

وأفاد أن القضاء باب من أبواب الفقه، وهو منصب ديني ومتوقف على الإيمان بأن ما حكم به القاضي هو منصب الفصل بين الناس في الخصومات منعاً للتداعي وقطعاً للتنازع إلا أنه بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة.

وقال: إن المراد بلفظ الحاكم عند الإطلاق السلطان على وجه الحقيقة، ولا يتناول غيره من قاض ونحوه إلا إذا حكم بذلك عرف مستقر معتبر أو أناب السلطان غيره من القضاة ونحوهم من ولاية وفعل أو دلت القرائن على أن المراد به غير السلطان، معتبراً أن القاضي أهم أركان القضاء الستة وهو المطبق للقضاء في صورته العملية، لذا ينبغي أن يتوافر فيمن يتولى منصب القضاء صفات بعضها على وجه الوجوب وبعضها على الاستحباب.

صفات القاضي

وقال الباحث: إن صفات القاضي هي الإسلام والعقل والبلوغ والذكورة والحرية والعدالة والعلم

بالأحكام الشرعية «الاجتهاد» وسلامة حاسة البصر والسمع والنطق إضافة إلى صفات مستحبة أخرى منها أن يكون غير محدود، وغير مطعون عليه في نسبه، وغير فقير وغير مستضعف، وغير فظ ولا غليظ ولا جبار ولا عنيد وأن يكون فطناً، ذكياً، ورعاً، مهيباً، حليماً، شديداً في غير عنف، ذا مشورة، وأن يكون سليم البطانة.

وانتقل إلى السلطة التقديرية فعرَّفها بأنها صلاحية يتمتع بها القاضي للقيام بعمله بالتفكير والتدبر بحسب النظر والمقايسة لإقامة شرع الله في الأمور المعروضة أمامه في جميع مراحلها، ابتداء من قبول سماعها إلى تهيئتها لإثبات صحتها أو كذبها إلى الحكم عليها واختيار الطريقة المناسبة لتنفيذ الحكم إن كانت غير منصوص عليها.

وقال: إن مشروعية منح السلطة التقديرية للقاضي ثابتة بأدلة مشروعية القياس والاجتهاد، ويجب على القاضي استعمال سلطته التقديرية متى توافرت شروطها للوصول إلى الغاية من منصب القضاء، وإن قصر كان خائناً لله ورسوله وللمسلمين، ومضيعاً للأمانة.

وعن مصدر النشاط التقديري للقاضي أفاد الباحث أنه ما يعينه بصفة نظرية أو عملية، رئيسة أو تابعة، في أي مرحلة من مراحل الدعوى على الوصول إلى الغاية من منصب القضاء مبيناً أنه إذا كان القاضي مجتهداً وجب عليه أن يستقي أحكامه من مصادر التشريع الأصلية مباشرة، ولا يجوز له التقليد إلا لعذر.

وعن الشروط المطلوبة لاستخدام القاضي السلطة التقديرية وضوابطها قال: إن الراجح جواز تجزؤ الاجتهاد، فإذا ولى الحاكم قاضياً نوعاً من أنواع الدعاوى وكان القاضي على علم بأدلة وأصول هذا العلم كان له الاجتهاد فيه.

وأضاف أنه يجوز لولي الأمر أن يعين قضاة متعددين، وأن يخص كلاً منهم بالقضاء في مكان معين «الاختصاص المكاني» أو زمان معين «الاختصاص الزماني» أو قضية معينة «الاختصاص النوعي»، أو في قضية معينة فقط، أو بين أشخاص معينين.

وذكر أن للسلطة التقديرية ضوابط عامة، منها ما يدخل في أكثر من باب، ومنها من يدخل في باب واحد، ومن أهم هذه الضوابط بشكل مجمل:

العدل قوام السماوات والأرض، والقضاء حصنه وأداة تنفيذه

- القاضي نُصِّب ناظراً للمسلمين لا مبطلاً لحقوقهم، وهو مأمور بالنظر والعدل والقضاء بالحق.
- لا مساغ للاجتهاد في مورد النص أو عند القدرة عليه، والاجتهاد لا يعارض النص.
- تصرف القاضي منوط بالمصلحة والعدل، وتظهر المفسدة المضادة للمصلحة بمخالفة أحد الأدلة الشرعية الأصلية.
- تُحمل أمور المسلمين على الصلاح ما أمكن، وظاهرها الصحة.
- كل ما أضر بالمسلمين وجب أن يُنفى عنهم ما أمكن.
- إن البيِّنة حجة يجب العمل بها ما أمكن.
- ينبغي للقاضي أن يحتاط مما يلحق به التهمة أو الريبة.
- يحرم الحكم والفتوى بالهوى إجماعاً.

وتحدث عن شروط الدعوى المقبولة، مبيناً أن نشاط القاضي التقديري بالنسبة لأطراف الدعوى يتجلى في أن يتحقق من توافر الشروط فيهم، من حيث أهليتهم، ومن حيث تعينهم، واشتراط حضورهم، وكونهم ذوي صفة معتبرة في القضية المعروضة أمامه.

وأضاف أن دور القاضي بالنسبة للمدعى به يتجلى في استعلامه من المتداعين عن المدعى به، وفي تقدير ما ذُكر من تفاصيل عن المدعى به تكفي لجعله معلوماً، ومن كون المدعى به قد أصبح متصوراً في ذهن القاضي كي يستطيع أن يحكم بشكل دقيق وإلا كان حكمه على شيء مجهول بالنسبة إليه، إلا في المسائل المستثناة كالوصية والإقرار، فتصح الدعوى بها وإن كان المدعى به مجهولاً. ويبرز دور القاضي أيضاً بتقديره ما إذا كان المدعى به يترتب عليه نفع شرعي أم لا.

وعن طريق الإثبات أوضح الباحث أن القاضي مقيد بطرق الإثبات التي ورد بها نص شرعي صراحة أو استنباطاً، ولا يقبل منه الخروج عنها، ولا يقبل القاضي ذلك من الخصوم، ولا يقبل من القاضي إذا كان مجتهداً الاعتماد على طريقة إثبات غير مشروعة، ولا يسوغ اجتهاده هنا، لأنه اجتهاد في مورد النص.

وأضاف: أن بين وسائل الإثبات وبين البينات بمعنى الشهادة فقط عموماً وخصوصاً مطلقاً، فكل بينة وسيلة إثبات، وليست كل وسيلة إثبات بينة، مضيفاً أنه يجب التفريق بين القرائن وبين البينات الخاصة، لا تندرج تحت اسم القرائن، على أن الأخذ بالقرائن الخاصة ينبغي أن لا يتجاوز به إلى غير المواضع المنصوص عليها، أما القرائن فلا يصح بناء الحكم عليها وعلى ما تثيره من الظن، لكننا نستفيد منها للتوصل إلى بينة معتمدة شرعاً، أو لجرِّ المتهم في التحقيق للاعتراف بذنبه فيؤاخذ بإقراره.

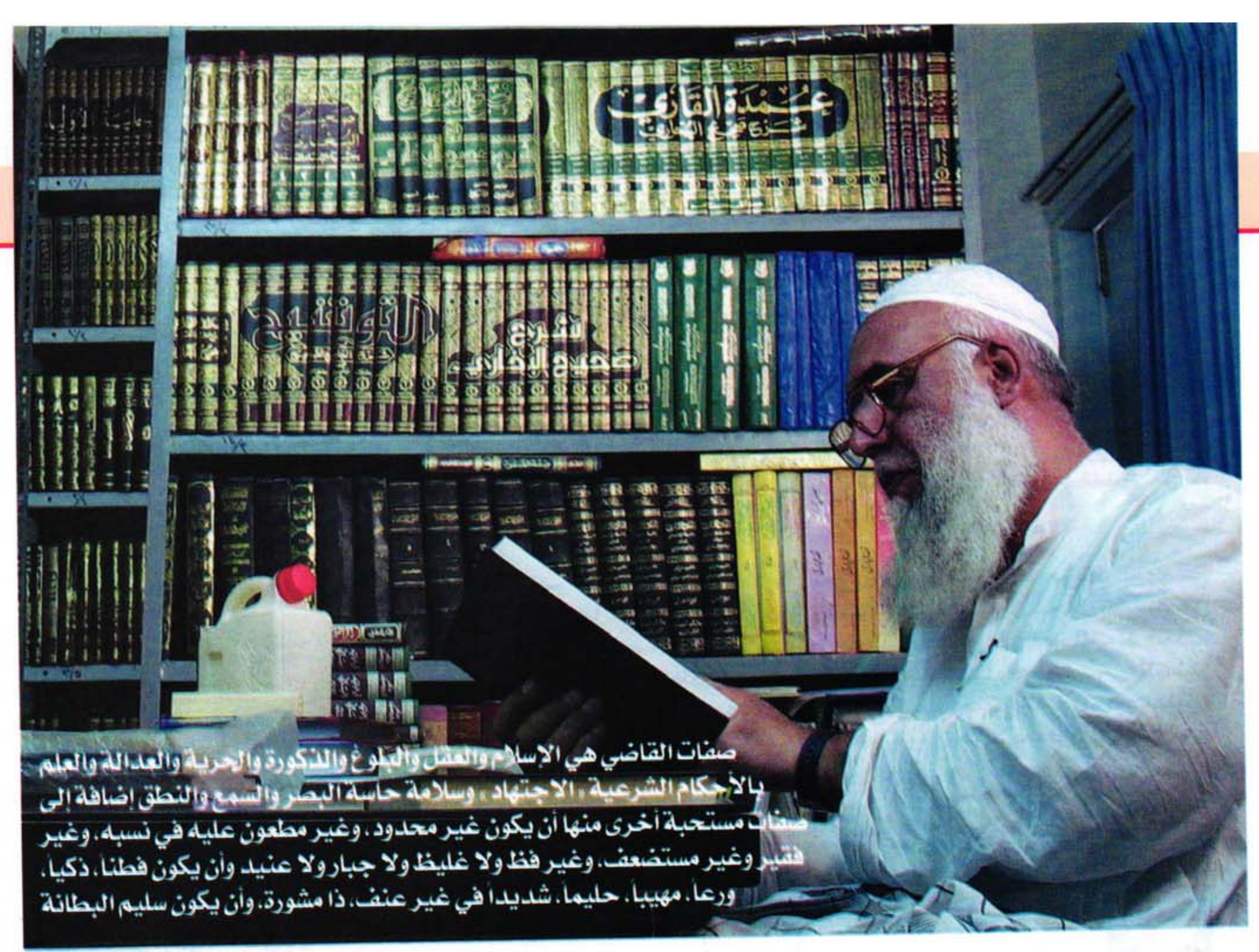
السلطة التقديرية في الحكم على الدعوى

وتطرق الباحث إلى السلطة التقديرية في الحكم على الدعوى، مبيناً أن للقاضي أن يرد دعوى كذَّبتها القرائن، وكذلك له أن يأخذ بالبينة أو الإقرار إذا كان مخالفاً للقرائن، وللقاضي أن يستعين بالقرائن للتعرف إلى الباعث على الفعل مما قد يترتب عليه من حد أو غيره.

وأفاد أنه إذا استوفت الدعوى شروطها وثبتت وجب على القاضي الفصل فيها، ولا يجوز له التأخير إلا لسبب مبرر وأنه إذا ثبت عند القاضي وجود ضرر أو وقوعه على أحد الخصوم وجب عليه السعي لإزالته، لأن الضرر يُزال، وإن كان قديماً، لأن الضرر لا يكون قديماً، وإزالة الضرر الواقع على الأموال يتحقق بالتعويض الذي يتأتى فيه جبر الضرر وترميم آثاره، ورد مالية المعتدى عليه كما كانت قبل الاعتداء تماماً، ولا خير في الإتلاف المماثل، لأنه تكرار للضرر ومضاعفة للمفسدة.

وفي موضوع الحكم على الجنايات قال الباحث: إن الشريعة عيَّنت العقوبات في جرائم الحدود تعييناً دقيقاً، ولم تترك للقاضي أو غيره أن يقوم باختيار نوع العقوبة أو تقدير مقدارها، ولا يسمح للقاضي أو لغيره أن ينقص هذه العقوبات أو يستبدل بها غيرها أو يوقف تنفيذها أو يعفو عنها، فمتى ثبتت جرائم الحدود وتوافرت شروطها كان دور القاضي مقتصراً على النطق بالعقوبة المقررة للجريمة، والحكم في الحدود إمضاؤها.

وأوضح أن القياس يجري في العقوبات والجرائم، لكن لا بمعنى استحداث حكم جديد ولكن بمعنى توسيع الدائرة التي تنطبق فيها النصوص، فقياس القاضي هنا ليس مصدراً



صفات القاضي هي الإسلام والعقل والبلوغ والذكورة والحرية والعدالة والعلم بالأحكام الشرعية «الاجتهاد» وسلامة حاسة البصر والسمع والنطق إضافة إلى صفات مستحبة أخرى منها أن يكون غير محدود، وغير مطعون عليه في نسبه، وغير فقير وغير مستضعف، وغير فظ ولا غليظ ولا جبار ولا عنيد وأن يكون فطناً، ذكياً، ورعاً، مهيباً، حليماً، شديداً في غير عنف، ذا مشورة، وأن يكون سليم البطانة

تشريعياً، بل هو مصدر تفسيري يساعد على تعيين الأفعال التي تدخل تحت النص، فما حرَّمه النص لعلة معينة يلحق به قياساً كل الصور المماثلة التي تتوافر فيها علة التحريم، كإلحاق اللواط بالزنى، فإذا أحدث الناس أنواعاً من المعاصي بحث القاضي عن دخولها تحت أدلة الحدود من عدمه، وبحث في توسيع الدائرة التي تنطبق عليها النصوص، ولا يعد ذلك مخالفة للنصوص أو استحداثاً لأحكام جديدة بالمنع أو العقاب فيما لم يأذن به الشرع.

وتطرق الباحث إلى موضوع التعزير فقال: إن القاضي هو الذي يقيم التعازير، والأصل تفويض التقدير في التعزير لولي الأمر «رئيس الدولة» إذا كان مجتهداً وتصدى للقضاء، فإذا أناب غيره من القضاة وغيرهم، استمدوا سلطتهم منه وتقيدوا بما يقيدهم به من أنظمة وقواعد.

وعن طريقة تنفيذ القصاص في النفس أفاد أن الفقهاء اتفقوا على أن القتل إذا كان بالسيف فإن القصاص يكون بالسيف، وعلى أن لمستحق القصاص أن يستوفي حقه بالسيف مهما كانت طريقة القتل التي قتل بها المجني عليه. واتفق الفقهاء في الجملة على أن فعل القتل إذا كان محرماً بنفسه ومعصية كشرب الخمر فالقصاص بالسيف.

وعن آثار استخدام النشاط التقريري للقاضي قال الباحث: إنه إذا صدر الحكم القضائي مبنياً على نص قطعي الدلالة والثبوت أو إجماع ثابت لم يجز لأحد أن يطعن فيه أو يخالفه، أما إذا كان النص غير قطعي الدلالة وإن كان قطعي الثبوت فإنه يكون مجالاً خصباً لاجتهادات المجتهدين.

وذكر أن رقابة القاضي على أحكام نفسه تبدأ من أولى مراحل التقاضي وتشمل جميع مراحل النظر في الدعوى، والقاضي غير ملزم بأن يراجع أحكامه، وإن عثر على خطأ صدر عنه لسبب ما صحح خطأه إذا استطاع ذلك.

وأوضح أن حالات بطلان الأحكام القضائية ترجع في مجملها إلى خلل في الإجراءات الموصلة إلى الحكم، أو إلى خلل في الحكم ذاته، أو إلى خلل في أسباب الحكم والبينات.

وأفاد أنه إذا ثبت أن القاضي قد تعمد الجور في الحكم، بإقراره أو بالبينة، فيعاقب العقوبة الموجعة ويعزل ويشهر ويفضح ولا تجوز ولايته أبداً ولا شهادته وإن صلحت حاله، إضافة لما يترتب عليه من ضمان أو قصاص بحسب الحق الذي حكم بضياعه أو النفس التي أهدرها.

وعن العلاقة بين السلطة التقديرية واستقلال القاضي قال الباحث: إن القضاء منصب ديني، فلا يصح من أي واحد أن يتدخل ليحرف القاضي عن عمله، لأنه يعد تمرداً ومضادة للشرع الحنيف، فاستقلال القضاء مهم وضروري لتمتع القاضي بالسلطة التقديرية وللوصول إلى الحكم الصحيح، وهذا الحق الممنوح للقاضي في استقلاله ممنوح له من الشرع، وليس هبة من أحد، ولا يملك أحد أن يسلبه إياه أو يعتدي على استقلال القضاء.

وأضاف أنه لا ينقص من استقلال القاضي المشاورة، لأن المشاورة لا تعني أكثر من المذاكرة غير الملزمة، والمشورة جسر يصل بين السلطة القضائية وغيرها من السلطات الأخرى.

وبيَّن أن استقلال القضاء لا يعني انعدام الرقابة على القاضي في أعماله وأحكامه، فللخليفة «رئيس الدولة» وقاضي القضاة «القاضي الأول أو وزير العدل» تصفح أحكام القاضي ومراقبته للاطمئنان على سير عمله مضيفاً أن القاضي لا سلطان عليه إلا من جهة الشرع، فتكون رقابة رئيس الدولة مثلاً للتأكد من سير القاضي على وفق أحكام الشريعة وأتباعه للقواعد والإجراءات المقررة في العمل القضائي ■

حسان بن ثابت

وقضية «أيهما أصلح للشعر : الخير أم الشر ؟»

مما اشتهر عن «الأصمعي» العلاَّمة اللغوي الشهير قوله: «الشعر نكد، يقوى في الشر، فإذا دخل في الخير ضعف ولان، وهذا حسان فحل من فحول الشعراء في الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شعره». وقد بُني على هذه المقولة معظم الشعر العربي عبر تاريخه الطويل، سواء أكان في نظم الشعر أم في دراسته. فالشاعر إذا أراد أن يكون لشعره القوة والجمال، لابد أن يسير على منهج الشعراء الجاهليين الذين كانوا لا يلقون بالاً للقيم والأخلاق، فتراهم يقولون ما لا يفعلون ويهيمون في كل واد من دون أدنى رادع ديني



بقلم:
نجدت كاظم لاطة

najdat1961@hotmail.com

مما اشتهر عن «الأصمعي» العلاَّمة اللغوي الشهير قوله: «الشعر نكد، يقوى في الشر، فإذا دخل في الخير ضعف ولان، هذا حسان فحل من فحول الشعراء في الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شعره». وقد بُني على هذه المقولة معظم الشعر العربي عبر تاريخه الطويل، سواء أكان في نظم الشعر أم في دراسته. فالشاعر إذا أراد أن يكون لشعره القوة والجمال، لابد أن يسير على منهج الشعراء الجاهليين الذين كانوا لا يلقون بالاً للقيم والأخلاق، فتراهم يقولون ما لا يفعلون ويهيمون في كل واد من دون أدنى رادع ديني أو أخلاقي.

ومازال النقاد وطلاب الأدب يرددون مقولة «الأصمعي» إلى يومنا الحاضر من دون أن يقفوا أمامها لمناقشتها ومعرفة مدى صحتها، لكون هذه المقولة عندهم من المسلّمات التي لا يجوز النقاش فيها، وهم يعززون صحة المقولة بفهم مغلوط لقول الله



تعالى: (والشعراء يتبعهم الغاوون...) الشعراء:٢٢٤، ويعززونها أيضاً بالقول الشهير: «أعذب الشعر أكذبه»، باعتبار الغواية والكذب من الشر.

الأمر الذي أدى إلى نتائج خطيرة أضرت بالشعر العربي من جهة، وبالحضارة الإسلامية من جهة أخرى، من نواح كثيرة أهمها:

أولاً: فتح باب الكذب للشعراء في نقل تجاربهم الشخصية، فلم تصل إلينا مشاعرهم وعواطفهم وانفعالاتهم الحقيقية.

ثانياً: انصراف أهل العلم والصلاح ممن يمتلكون الموهبة الشعرية عن نظم الشعر أو الاحتراف فيه والتفرغ له، وليس أدل على ذلك من قول الشافعي:

ولولا الشعر بالعلماء يُزري
لكنت اليوم أشعر من لبيد

مما جعل قول الشعر مقتصراً - في الأغلب - على أناس بعيدين عن القيم الخلقية، بدءاً بـ«أبي نواس» وانتهاء بـ«نزار قباني».

ثالثاً: حرمان الحضارة الإسلامية من إسهام الشعر في نقل المفاهيم الإسلامية ضمن الرؤى الشعرية، لأن أي ثورة فكرية تحدث في المجتمع لا بد أن تنتقل مفاهيمها ومبادؤها إلى كل الفنون، فتتغير رؤى الفنانين تبعاً لأيديولوجية هذه الثورة، وهذا ما حدث في أوروبا بعد ثورتها الصناعية، وهو ما حدث أيضاً في روسيا بعد ثورتها الشيوعية.

فالشعر العربي لم يختلف في جوهره بعد مجيء الإسلام عمَّا كان عليه في العصر الجاهلي، ومن ثمَّ بقيت أغراضه الشعرية كما كانت في العصر الجاهلي، سواء أكان ذلك في أسلوب تناول تلك الأغراض أم في تشكيل الرؤى والمضامين، فهل اختلف فخر «الفرزدق» و«المتنبي» عن فخر «عمرو بن كلثوم»؟ وهل اختلف غزل «عمر بن أبي ربيعة» و«أبي نواس» عن غزل «امرئ القيس»؟ وهل اختلف مدح «جرير» عن مدح «النابغة الذبياني»؟ وهكذا مع بقية الأغراض الشعرية..

قضية الكذب في الشعر

لم يتناول أحد من نقاد الأدب والشعر قضية الكذب في الشعر بحسب علمي، كما تناولها الدكتور «محمد النويهي» الذي



نزار قباني

درسها بشكل مستفيض في كتابه «عنصر الصدق في الأدب» ولكن - للأسف - لم تأخذ دراسته حيزاً في الدراسات الأدبية المعاصرة، ولا أدري سبب عدم تقبّل الشعراء والنقاد لهذه الدراسة، مع أن «النويهي» فند قضية الكذب في الشعر بطريقة علمية لا تدع لأحد عذراً في عدم تقبّلها أو عدم الاقتناع بها.

وأعرض هنا شيئاً من دراسة «النويهي» كمدخل لدراسة شعر «حسان بن ثابت»، لأن في دراسته النفع الكثير.

يقول الدكتور «النويهي»: «إن للفن دافعين متلازمين لا يبرز إلا إذا وجدا معاً، ولا يغني أولهما عن ثانيهما. هما رغبة الفنان في أن ينفس عن عاطفته، ورغبته في أن يضع هذا التنفيس في صورة تثير في كل من يتلقاها نظير عاطفته. وواضح أنه ليس كل تنفيس عن عاطفة يدخل في دائرة الفن، فإذا أنا حزنت فبكيت، أو غضبت فصحت، أو فرحت فقهقهت ضاحكاً، فليس في مجرد بكائي أو صياحي أو ضحكي تعبير فني. أما إن صغت انفعالي هذا في صورة لا تكتفي لمجرد التنفيس، بل تحاول عامدة أن تنقل انفعالي إلى الآخرين وتثير فيهم نظير ما أثارته تجربتي فيَّ من عاطفة، فهذه المحاولة هي التي تؤدي إلى إنتاج نوع من أنواع الفن

فأهمية الفن تكمن في أنه ناقل للعاطفة الإنسانية، وإذا كان الفن هو المعبِّر الأكثر عن تجارب الحياة الإنسانية، والأداة العظمى لنقل هذه التجارب وتخليدها، فمن الواضح أنه لن تكون له هذه القيمة إلا إذا كان تعبيره هذا تعبيراً صادقاً، فلم يعرض إلا للتجارب الحقيقية التي تجربها الإنسانية فعلاً في حياتها هذه، وكان تصويره لتلك العواطف تصويراً صادقاً لا كذب فيه ولا تزييف، بل لا مبالغة فيه ولا تهويل.

وقد بلغ الأمر ببعضهم - يقصد النقاد القدماء - أنهم لم يكتفوا بقبول الكذب في الشعر ومسامحته والاعتذار له، حتى استحسنوه وتطلبوه واشترطوه، فهم يستشهدون كثيراً بالمقولة الشائعة: أعذب الشعر أكذبه، ويروون ما قاله «ابن رشيق» في «العمدة»: «من فضائل الشعر أن الكذب الذي اجتمع على قبحه حسن فيه».

واعتماد الكذب في الأدب يشوّه من فهمنا لكياننا الإنساني كله، ونزيف صورتنا عن حياتنا الإنسانية الشاملة، ونعطي أولادنا وأحفادنا صورة خاطئة زائفة عن تجارب الإنسان الأساسية في هذا الكون.

لأن الأدب لم ينشأ لمجرد التسلية والترويح عن النفس، وإنما نشأ لغرض جاد خطير عظيم الخطورة والجد، ليزيدنا شعوراً بإنسانيتنا، وفهماً لكنهها، وتعمقاً في نوازعها الباطنة، ووعياً بتجاربها»(١).

فالصدق - لا الكذب - هو الركيزة الأساسية في الفنون بعامة. وكلما اقترب الفنان أو الأديب أو الشاعر من عنصر الصدق كلما زاد نجاحه في نقل تجربته الشعورية إلى الآخرين.

وقد ارتبطت مقولة «الأصمعي» بـ«حسان بن ثابت» ارتباطاً وثيقاً، وأصبح الشعر الذي قاله بعد مجيء الإسلام الاستشهاد الوحيد لهذه المقولة. ومازلت أذكر حين كنت في الدراسة الجامعية - البكالوريوس والماجستير - أن أساتذتي كانوا يستشهدون بشعر «حسان» فقط دون غيره.

الأصمعي يقول: الشعر نكد يقوى في الشر فإذا دخل في الخير ضعف

ونحن لو رجعنا إلى الشعر العربي منذ «امرئ القيس» إلى يومنا الحاضر، لوجدنا أن قسماً من هذا الشعر قيل في الخير، وكان قوياً وجميلاً وذا مستوى عال من الناحية الفنية، وأن الخيرية فيه لم تضعف منه شيئاً، لا موضوعياً ولا فنياً، بل حدث العكس، فقد رفعته وشهرته حتى صار عند الناس من الاستشهادات في حياتهم اليومية والثقافية، ومعلقة «زهير بن أبي سلمى» خير شاهد على ذلك، ومعروف عن هذه المعلقة أنها قيلت في الخير وهو الصلح الذي قام به «هرم بن سنان والحارث بن عوف» بين قبيلتي «عبس وذبيان»، والموضوع الرئيس في المعلقة هو مدح هذين الرجلين الكريمين اللذين قاما بالصلح ودفعا الديات لكلا الطرفين من مالهما الخاص. والمدح هنا كان صادقاً، و«زهير» لم يبالغ في هذا المديح، لأن الرجلين يستحقان المديح، ويستحقان أكثر من مدح «زهير»، لأن الرجلين أوقفا حرباً دامت أربعين سنة، قضى فيها آلاف القتلى.

والموضوع الآخر في المعلقة هو الحكَم التي ذكرها «زهير» في ثنايا معلقته، وقد كانت صحيحة ومفيدة للإنسان، ومازال الناس يستشهدون بها اقتناعاً منهم بصحتها، بالإضافة إلى كون هذه الحكم تنسجم مع مفاهيم الإسلام، فهي لذلك خير، وقد قيل عن «زهير» أنه لو أدرك الإسلام لأسلم.



أما المقدمة الغزلية في المعلقة، فهي من المهارات الفنية التي يتبارى الشعراء بها، ويزينون قصائدهم بها، ولا علاقة لكثير من المقدمات الغزلية بحياة الشعراء الشخصية، ومع ذلك فقد كان «زهير» في هذا الغزل عفيفاً غير متفحش، والغزل العفيف هو أيضاً يدخل في باب الخير، لأنه يسمو بعاطفة الحب عن الشهوات التي ترضاها النفس السليمة، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسمع الشعر الغزلي العفيف ولا يعترض عليه، وقصيدة «بانت سعاد» أشهر من أن تذكر.

وبهذا تكون معلقة «زهير» من الشعر الذي قيل في الخير، وأن هذا الخير لم يضعف منه شيئاً، وإن أي مقارنة بين معلقة «زهير» وقصائد «حسان بن ثابت» التي قالها في زمن الإسلام لا نجد فرقاً كبيراً بين الشعرين، لأن كلا الشعرين اجتمع فيه ما يلي:



نجيب محفوظ

أمثلة كثيرة في الشعر العربي قديمه وحديثه تدل على جودة الشعر الذي قيل في الخير

١ ـ الغزل غير المتفحش.

٢ ـ المدح الذي يستحقه صاحبه، وكان الممدوح في قصائد «حسان» هو الرسول صلى الله عليه وسلم.

٣ ـ الحكم الصحيحة والمفيدة للإنسان، لأن شعر «حسان» كان يتضمن حكماً أيضاً، وهي متفقة مع تعاليم الإسلام.

ومثال آخر أكثر دلالة من معلقة «زهير»، وهو قصيدة «كعب بن زهير» التي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيم إثرها لم يُفد مكبول

فهذه القصيدة لا تختلف في مضامينها عن شعر «حسان» في الإسلام، والخير الموجود في القصيدة لم يضعف شيئاً منها.

وقصيدة «كعب» ـ التي قالها وهو في بداية عهده بالإسلام ـ فاقت كل قصائده في الجاهلية، ولو كان في شعره الجاهلي قصيدة أجمل من قصيدة «بانت سعاد» لظهرت، ولتحدث النقاد عنها، ولحفظ الناسُ شيئاً منها، ولكن الحقيقة تقول: إن الناس وعامة المثقفين وبعض النقاد لا يعرف شيئاً من شعر «كعب بن زهير» إلا قصيدته «بانت سعاد»، ولم تأت شهرة القصيدة لأنها قيلت في الرسول صلى الله عليه وسلم فحسب، وإنما لجمالها أيضاً.

فلماذا لم يقل «الأصمعي» في هذه القصيدة مثل قوله في شعر «حسان» الإسلامي؟ ألم تدخل قصيدة «كعب» في الخير مثل دخول شعر «حسان» الإسلامي في الخير؟

وتوجد أمثلة كثيرة في الشعر العربي - قديمه وحديثه - على جودة الشعر الذي قيل في الخير، وأكتفي بالمثالين السابقين خشية الإطالة.

وسيعترض النقاد عليَّ قائلين: لكن الحقيقة أن شعر «حسان بن ثابت» الذي قاله في الجاهلية أقوى وأجمل من شعره الذي قاله في الإسلام. فأقول: هذا صحيح، ولكن المشكلة ليست هنا، وإنما المشكلة في أسباب ضعف شعره الإسلامي، فهل ضعف شعره لسبب دخوله في الخير أم هناك سبب آخر؟ فأجيب أن هناك سبباً آخر وهو كبر سنه. لأن الروايات تقول إن «حسان بن ثابت» أسلم وعمره ستون سنة، فشعره الذي قاله في الإسلام بعد هذا العمر يختلف عن شعره الذي قاله قبل الإسلام، ويُروى عنه



بلند الحيدري

أيضاً أنه عاش في الإسلام ستين سنة أخرى، وقيل أربعين.

أما شعره الجاهلي - الذي يقارنه النقاد بشعره الإسلامي - فقد قاله وهو في مرحلة الشباب، وشعر مرحلة الشباب يكون أكثر توجهاً وأقوى انفعالاً وأصدق عاطفة، لأن هذه المرحلة من العمر تحتوي على معاني الحب والأمل والطموح والعواطف المتأججة والانفعالات الصاخبة. والشاعر - عادة - يُعبِّر عن الحياة من خلال هذه المعاني. أما مرحلة الشيخوخة - وهي مرحلة إسلام حسان نفسه - فلا توجد فيها هذه المعاني، وذلك لسبب شعور الإنسان بأنه سيفارق الحياة قريباً، لذا نرى كبار السن ينعزلون وينزوون ويخلدون إلى الراحة، والحكومات المعاصرة تحيل من بلغ الستين من العمر إلى التقاعد، وهي تفلسف لهذا القانون بأن الإنسان الذي بلغ هذا العمر يقل إنتاجه ويضعف.

والعواطف والانفعالات والمشاعر تهدأ في مرحلة الشيخوخة وتبرد، وتستوي الحياة بأعين كبار السن، فتجدهم غير مبالين بالحياة.

والشاعر المسن يضعف إنتاجه الشعري ويقل، وتذبل عواطفه ومشاعره، ويضعف عنده - جراء ذلك - الحس الفني والذائقة النقدية. ويروي الدكتور «عبدالعزيز المقالح» عن الشاعر العراقي «بُلند الحيدري» «أنه

الضعف الذي أصاب شعر حسان في مرحلة إسلامه لا يعني أن شعره أصبح مبتذلاً لا قيمة فنية له

هجر الشعر أخيراً بعد أن أدرك أن كثيراً من التجارب الشعرية أصبحت مفتعلة ومسطحة عند معظم الرواد - يقصد بسبب كبر سنهم - الذين ضعف حس الناقد في نفوسهم، فأصبحوا يكتبون رغبة في الحضور الإعلامي واندفاعاً وراء مغريات الشهرة»(٢).

ولو ألقينا نظرة سريعة على مسيرة الشعر العربي لوجدنا صحة ما ذهبت إليه، فالمعلقات الشهيرة قيلت في مرحلة شباب «امرئ القيس» و«طرفة» و«عنترة»... و«سيفيات المتنبي» كانت هي الأجمل في شعره، والسبب كونها قيلت في مرحلة شبابه.

والأمر نفسه حدث مع الشعراء المعاصرين مثل «نزار قباني» و«الجواهري» و«البردوني» وغيرهم، فقد خفتت أصواتهم في أواخر حياتهم، وخلت الندوات الشعرية منهم، والسبب هو الشيخوخة التي تضعف كل شيء.

ولو انتقلنا إلى أنواع أخرى من الأدب كالقصة مثلاً، نجد أن الأمر نفسه يحدث مع أدباء القصة، فلم تعد قصص «نجيب محفوظ» التي يكتبها الآن بقوة قصصه التي كتبها في مرحلة شبابه كالثلاثية وغيرها.

وأعني بمرحلة الشباب العشرينيات والثلاثينيات من حياة الإنسان بشكل عام، وقد تنقص قليلاً أو تزيد. أما الكتابات الأولى للشاعر أو الأديب - عادة تكون دون سن العشرين - فهي من المراهقات الشعرية أو الأدبية، ويكون الشعر والأدب فيها طرياً غضاً لم يستو على سوقه بعد.

والضعف الذي أصاب شعر «حسان بن ثابت» بعد بلوغه مرحلة الشيخوخة - وهي مرحلة إسلامه - لا يعني أن شعره أصبح مبتذلاً لا قيمة فنية لشعره، وإنما نقول أصابه شيء من الضعف وقلّت جودته قليلاً، فإذا أعطينا لشعره في مرحلة الشباب مئة



محمد مهدي الجواهري

درجة مثلاً، فيأخذ شعره في مرحلة الشيخوخة ثمانين درجة تقريباً. أي أن شعره يبقى قوياً وجميلاً، وهذا يحدث مع كل الشعراء والأدباء، ومما يؤكد هذا المعنى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يمدح شعر «حسان بن ثابت» ويشجعه على استخدامه في هجاء «قريش»، فقد قال صلى الله عليه وسلم لـ«حسان»: «اهجهم وجبريل معك» متفق عليه، وفي حديث آخر «لهجاؤك أشد عليهم من وقع النبل»، فهل يُعقل أن يقول الرسول صلى الله عليه وسلم مثل هذا المدح الكبير لشاعر لا قيمة فنية لشعره؟ وهل كانت العرب أو قريش تتأثر بهجاء شاعر ضعيف؟ أم أن الأمر كان على العكس من ذلك؟ أليس هذا يؤكد على أن شعر «حسان» في العهد الإسلامي كان قوياً وجميلاً ومؤثراً، ولكن - كما أسلفت - ليس بقوة وجمال شعره في مرحلة الشباب ■

•• الهوامش ••

١ - عنصر الصدق في الأدب: محمد النويهي. معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٩م، صفحة ١٦ وما بعدها.

٢ - الشعر بين الرؤيا والتشكيل: عبدالعزيز المقالح، دار طلاس، دمشق، ط٢، ١٩٨٥م، صفحة ٩٢، ٩٣.

العلاج المناعي لآفة الإدمان الأمل المقبل







بقلم: د.وجدي عبدالفتاح سواحل

المركز القومي للبحوث. القاهرة

مع تقدم العلوم الحديثة، واكتشاف خبايا كثيرة عن كيفية عمل العقل، وكيمياء المخ، وما يحتويه من موصلات عصبية ومناعية، فليس بغريب أن نجد المحاولات الكثيرة التي تحاول التصدي للإدمان وعلاجه من خلال وسائل مختلفة، بحيث تساعد المريض على اجتياز فترة الانسحاب والإعراض، من دون حدوث ضرر بالغ، وتساعد المخ على استعادة إفراز المواد والموصلات العصبية المهمة، لكي يعود المدمن إلى المزاج والسلوك الطبيعي من دون الحاجة إلى تعاطي المخدر مرة أخرى.

سنتجول سوياً لنتعرف إلى التأثير الذي يمكن أن تحدثه كأس من الخمر، أو نفث من السيجارة، أو شمة من الكوكائين أو الهيروين، أو سيجارة من البانجو، أو حقنة من الماكس، أو قرص مما يطلقون عليه أبوصليبية أو الفراولة، كما سنستعرض أيضاً كيفية التصدي لآفة الإدمان عن طريق تكنولوجيا العلاج المناعي وما أهم إنجازات هذه التكنولوجيا؟

١ ـ الدوبامين: المتهم الأول في الإدمان.

إذا نظرنا إلى الأشياء المشتركة في كل هذه المواد بغض النظر عن أن بعضها محرَّم، وبعضها مجرَّم، وبعضها مسموح بتداوله مثل التبغ والتدخين فسنجد أن هذه المواد بينها شيء مشترك، ألا وهو أنها تطلق تريليونات من الجزيئات التي تغير من كيمياء المخ، والموصلات العصبية المهمة اللازمة، من أجل أن يظل الإنسان في حال سلوكية ومزاجية مستقرة، وذلك لمجرد دخولها الدم، وكل هذه المواد تتسبب في إيقاف إفراز تلك الموصلات العصبية المهمة من مخازنها داخل الجسم، اعتماداً على ما يأخذه المدمن من الخارج، مثل «الدوبامين والأندورفينات» وغيرها،

والحقيقة . أن هناك أبحاثاً كثيرة تتهم هذه المادة المسماة «الدوبامين» بأنها السبب الرئيس الذي يشعر من خلاله المدمن بالانبساط والسرور والرضا حين يتناول جرعة المخدر، وذلك من خلال تأثيرها على مراكز الرضا بالمخ Reward pathways، وهي تسبب حالة الاعتماد الكلي التي تؤدي إلى الإدمان، ولعل أرقام المدمنين في الولايات المتحدة توضح لنا حجم مشكلة الإدمان وخطورتها، حيث يقدر عدد مدمني الهيروين بنحو ٢٠٠ ألف مدمن، أما الأمفيتامينات وهي مواد منشطة فيبلغ عدد مدمنيها نحو ٨٠٠ ألف، ثم يأتي الكوكائين والكراك وهو أحد مشتقاته، فنجد أن عدد مدمنيه يبلغ ١,٥ مليون، والماريجوانا ١٠ ملايين والكحول ١١ مليوناً، والنيكوتين ٦١ مليوناً، وأخيراً الكافئين ١٣٠ مليوناً، وتشترك كل هذه المواد في أنها ترفع نسبة «الدوبامين» في مناطق معينة بالمخ من خلال أساليب مختلفة، وقد يتعجب بعضنا أن إدمان الشيكولاتة والقمار والجنس يرجعه العلماء أيضاً لزيادة نسبة «الدوبامين» في المخ الذي يخلق نوعاً من الإدمان والإحساس باللذة والسرور والنشوة، ولعل الكثيرين منا لا يعرفون أن التدخين يؤثر على المناطق التي تفرز «الدوبامين» في المخ، بالكيفية نفسها التي يؤثر فيها عليه الكوكائين إلا أن تأثير الكوكائين أسرع وأكثر حدة، وكما أن مادة «السيروتونين» في المخ مقترنة بمشاعر الحزن والاكتئاب، حتى إن مضادات الاكتئاب جميعها تعمل على هذه المادة من خلال الموصلات العصبية، فإننا نجد مادة «الدوباين»، في المخ مقترنة بأحاسيس السرور والانطلاق والفرح والرضا، وقد لا يعلم الكثير أن هذه المادة ترتفع نسبة إفرازها في المخ أيضاً من خلال قبلة حانية، أو حضن دافئ أو كلمة مدح وتشجيع.

٢ ـ البانجو وناقوس الخطر

إن متعاطي البانجو يتخيل أن هناك بعض المزايا الكاذبة للتعاطي كنسيان الهموم والمشكلات واللامبالاة والسعادة والتفكير الصائب والإبداع كما يرفع من قدرته على الحديث من دون خجل، ولكن الأبحاث أثبتت عكس ذلك، حيث إن أضراره مرتبطة بكمية وفترة التعاطي وهي الصعوبة في التفكير وقلة التركيز والبطء في الاستجابة وخلل كفاءة الشم والحس وتقدير الزمان والمسافات والأبعاد ولذلك تنتشر حوادث السيارات، كما يؤدي إلى هبوط في ضغط الدم وارتخاء في العضلات لأن «البانجو» مضاد للتقلصات، كما أن تعاطيه لفترة طويلة يسبب ضمور المخ ويقلل من تخليق المادة الوراثية (ANA - RNA) المسؤولة عن انقسام الخلية وبالتالي يقلل من معدلات تكوين خلايا جديدة كخلايا المناعة، ويسبب نقصاً وعيوباً في أعداد الكروموسومات، وبالتالي يحدث تشوهات في الأجنة والتهاباً في الجهاز التنفسي وانتفاخ الرئة وإتلاف أنسجة الرئة الصغرى أكثر من تدخين السجائر بمراحل كما يقلل البانجو من معدل هرمون الذكورة «التيسترون» ويقلل عدد الحيوانات المنوية لدرجة تضعف القدرة الجنسية.



وللبانجو آثاره على المرأة أيضاً فقد يسبب الإجهاض، ويؤثر على الموصلات العصبية من خلال الجرعات المزمنة في حال التعاطي لفترة طويلة فيحدث «هلوسة سمعية» وبصرية وتشويشاً، ولا تظهر أضرار «البانجو» إلا بعد فترات طويلة وتعاطيه ناقوس خطر بجانب المادة الفاعلة التي يحتوي عليها «البانجو» حيث يضم ٤٠٠ مركب سام ونسبة مرتفعة من القطران تعادل أضعاف النسبة الموجودة في السجائر العادية وقد ثبت من تحليل «البانجو» مختبرياً أنه يسبب انطواء المتعاطي والاضطرابات النفسية ونوبات الاكتئاب وأعراض جنون العظمة وفقدان الثقة بالنفس، كما يتفرد البانجو بمرض خطير يسمى «الانفزيما» وهو انتفاخ الرئة ويعادل سرطان الرئة لتدني كفاءتها وعدم وصول الأكسجين إليها، حيث إن الرئة الطبيعية تحتوي على ٣٠٠ إلى ٤٠٠ مليون حويصلة هوائية تعمل من خلال مسطح تعادل مساحته ٢٠٠م مربع وبسبب مرض «الانفزيما» تصل إلى ٢٠م مربع فقط بالإضافة إلى شلل في أهداب الرئة مصحوبة بصعوبة في الشفاء وازدياد النزلات الشعبية والدرن، ويعتبر «البانجو» أشد خطراً من الحشيش لأنه يدمر خلايا المخ نظراً لارتفاع نسبة المواد السامة فيه رغم أن تأثيره يتكون على المدى البعيد ولكن في بعض الحالات يحدث تأثيراً مفاجئاً ربما يؤدي إلى الوفاة.



٣ ـ تكنولوجيا العلاج المناعي

على الرغم من وجود الكثير من الوسائل الطبية التي تساعد المدمن على الشفاء من إدمانه، فإنه ليس هناك حتى الآن دواء محدد يجعل المدمن يقلع عن إدمانه، ولعل ذلك ما جعل فريقاً من العلماء بقيادة د.«دونالد لاندري» في كلية الطب في جامعة «كولومبيا» يحاول الوصول إلى وسيلة لتحفيز الجهاز المناعي، لكي يفرز أجساماً مضادة للمادة التي تسبب الإدمان كالكوكائين مثلاً، بحيث تهاجمها وتكسرها لمجرد دخولها إلى الدم، وقبل أن تصل إلى المخ وتحدث ما يمكن أن تحدثه من تأثير على المخ، والموصلات العصبية مثل الدوبامين، ولقد بدأت الدراسات في هذا الشأن من خلال دراسة قديمة وقعت في أيديهم، ويرجع تاريخها إلى العام ١٩٧٤م، حيث قام بها د.«تشارلز شوستر» في جامعة «واين في ديترويت»، وتشير الدراسة إلى أن حقن القرود بمادة مشابهة كيمياوياً للهيروين، قد حفز الجهاز المناعي لهذه القرود لإفراز أجسام مضادة يمكنها التصدي لهذا المخدر،

والغاء تأثيره على خلايا المخ، إلا أن الدراسة وجدت أن هذه الأجسام المضادة تختفي بسرعة كبيرة من الدم لمجرد أن تلتقي مع المادة المراد التصدي لها، وللعلم فإن المادة المخدرة في حد ذاتها لا تحفز الجهاز المناعي على إفراز أجسام مضادة، فالجسم لا يفرز أي أجسام مضادة ضد المواد المخدرة، وذلك لصغر حجم جزيئاتها المتناهية إلا إذا تم تصنيع جزيئات مطابقة لهذه المواد المخدرة، ولكن في صورة غير فاعلة. ومن خلال هذا الخيط الذي التقطه «بيتر شولتز» وزملاؤه في جامعة «كاليفورنيا» «بركلي» بدأوا الدراسة الجديدة لمحاولة عمل أجسام مضادة من أجل التصدي للكوكائين، الذي يعد من أخطر وأسرع تلك المواد إحداثاً للإدمان واستطاعوا الوصول إلى إنتاج أجسام مضادة يفرزها الجهاز المناعي ويمكنها التصدي بالفعل لجزيء الكوكائين ليس هذا فحسب، بل تستطيع في الوقت نفسه أن تتفاعل معه كيمياوياً بحيث تحوله إلى مواد غير نشيطة ليست لها صفات الكوكائين وتسمى Atalytic antibodies ولا تؤثر على المخ أو الموصلات العصبية بأي حال من الأحوال، وهي فكرة التطعيم نفسها ضد الميكروبات أو الجراثيم المختلفة حين نحقن الميكروب، ليفرز الجسم أجساماً مضادة بوساطة الجهاز المناعي، تكون مستعدة لمجابهة هذا الميكروب إذا تكررت الإصابة بالعدوى. وقد أكمل د.«شولتز» وزملاؤه هذا العمل، بحيث استطاعوا الوصول إلى مركب كيمياوي يعتبر صورة طبق الأصل من الناحية الكيمياوية من الكوكائين، ولكنه غير نشيط مثله، تماماً وكأنه صورة في المرآة للكوكائين، وتم تحضيره من نواع آخر من البروتين، الذي يعمل كعامل محفز لكي ينشّط الجهاز المناعي، وينتج أجساماً مضادة لتصدي للجزيء المكون للكوكائين، وقد توصلوا بالفعل إلى تسعة أنواع من الأجسام المضادة التي تستطيع أن يتصدى كل جزيء منها إلى جزيئين من الكوكائين في الدقيقة الواحدة، ويفقده نشاطه وتأثيره، وذلك عند تجربته على الحيوانات، ولا تزال الأبحاث جارية من أجل الوصول إلى إحداث تفاعلين في الثانية الواحدة حتى نستطيع أن نتصدى لكمية من الكوكائين تبلغ ١٠٠ ملليجرام من خلال حقنة واحدة تحتوي على ٥٠٠ ملليجرام من الأجسام المضادة المحفزة، التي تملك المقدرة على



الكوكائين يعد من أخطر وأسرع المواد إحداثاً للإدمان

إحداث التفاعل والتصدي للكوكائين ووقف تأثيره ونشاطه وخصوصاً أن هناك أملاً في أن بعض هذه الأجسام يمكنها العمل من خلال ٤٠ تفاعلاً في الثانية الواحدة، وبعد أن يوقف نشاط هذه الكمية من الكوكائين ينتقل ليبحث عن كمية أخرى في الدم حتى يتخلص من الكوكائين نهائياً في الدم وقبل أن يصل إلى خلايا المخ، ويحدث ما يمكن أن يحدثه بها من تدمير، وبالتالي يمكن لحقنة واحدة من هذه الأجسام المضادة، إذا وصلوا لهذا الهدف أن تتصدى لنشاط الكوكائين لمدة شهر في دم المدمن، مما يمكنه من التخلي نهائياً عن عادة الإدمان بمساعدة الطبيب المعالج والاستشارة النفسية، والحقيقة أن نسبة الإقلاع عن الإدمان، مع استخدام وسيلة علاجية مناسبة، مع الاستشارة الطبية والنفسية، يمكن أن تأتي بنسب نجاح أعلى، مما لو امتنع الإنسان فقط من دون هذه الاستشارات والأدوية، فاستخدام الميثادون مثلاً مع الاستشارة الطبية والنفسية، يمكن مدمن الهيروين من الإقلاع عن الإدمان في نسبة كبيرة قد تصل من ٦٠ ـ ٨٠٪ من الحالات، إذا كان المدمن يرغب في ذلك، في حين أن الإقناع السلوكي فقط يجعل هذه النسبة تنخفض من ١٠ ـ ٣٠٪ وفي النهاية فإن إرادة المدمن ومساعدة من حوله تمثل نسبة كبيرة جداً من تمام شفائه، حتى مع وجود تلك العوامل المساعدة.

٤ ـ إنجازات العلاج المناعي.

أ ـ مصل للتدخين: من أجل مساعدة المدخنين على الإقلاع عن التدخين، تقوم حالياً شركة بريطانية بتطوير تطعيم جديد ينتج أجساماً مضادة في الدم، من شأنها القضاء على الشعور بالحاجة إلى المتعة التي كان يحصل عليها من اعتاد التدخين، أو من يتعاطى الكوكائين. وقالت الشركة: إن التجارب التي أجريت على العقار، الذي أطلق عليه اسم «تي. أيه. سي. دي» أظهرت فاعليته لدرجة كبيرة، وسوف تجري تجارب أخرى في أميركا على متطوعين في مركز علاج معتادي التدخين ومدمني الكوكائين، وأكدت الشركة البريطانية المنتجة للطعم الجديد أن المؤشرات الأولية أظهرت أن تأثير العقار يستمر مدة طويلة، وقالت: إنه من المتوقع أن يظهر الدواء في الأسواق بعد خمسة أعوام.

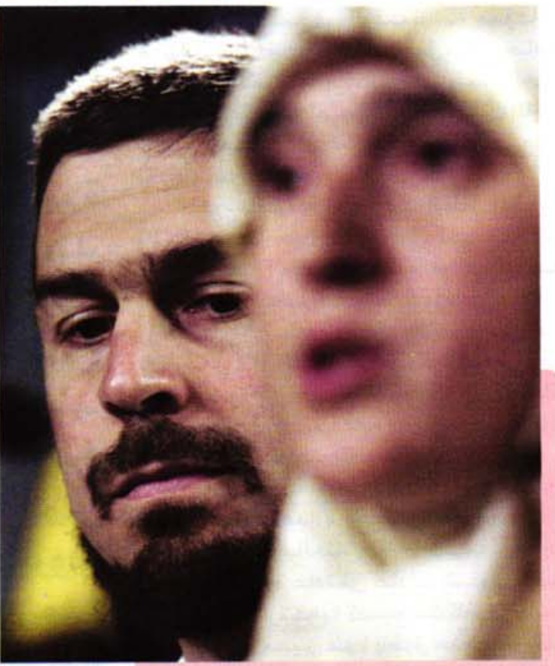
ب ـ مصل لمكافحة الكوكائين: تعد مادة الكوكائين المخدرة من أشد وأخطر أنواع المخدرات التي يقع الإنسان فريسة لتأثيرها المدمر على خلايا المخ. وتشير الأبحاث العلمية إلى أن مادة الكوكائين تتمتع بقدرة فائقة في الوصول إلى المخ خلال العشرين نبضة الأولى للقلب منذ لحظة التعاطي. ولجأ فريق من العلماء الأميركيين إلى تطوير مصل لمكافحة الكوكائين عن طريق إثارة الجهاز المناعي لإفراز أجسام مضادة لمهاجمة الكائنات الدخيلة على الجسم والحيلولة من دون مهاجمتها للمخ وخلايا أنسجة الأعضاء المهمة للإنسان، وأوضح الباحثون في معهد «أبت» للأبحاث العلمية في ولاية «كيتاتيكيت» الأميركية أن الهدف من تطوير هذا المصل هو مساعدة الأشخاص الذين وقعوا بالفعل فريسة للدخان والكوكائين لهذا أجريت التجارب لمكافحة هذا الخطر الداهم وليس استخدامه كوسيلة وقائية، وقد كشفت الأبحاث الأولية التي أجريت على فئران التجارب لبيان مدى تأثير المصل المطور وفاعليته في تحرير المدخنين والمتعاطين من سيطرة عادة التعاطي والشعور بالحاجة الملحة لتناول جرعات من الكوكائين ■





العدد 473 - العام الثاني والأربعون
محـرم 1426 هـ - فبرايـر / مـارس 2005 م















عندما يغار الطفل ماذا نفعل؟

ليس هناك من هو أكثر شقاء وتعاسة من الطفل الغيور، فهو يشعر بأنه أخفق في الحصول على الرعاية والحماية من شخص مولع به ولعاً شديداً، لذا فهو يختزن أحزانه ويبالغ فيها حتى يشعر بأن الدنيا كلها تعمل ضدّه.

فالغيرة إحدى المشاعر الطبيعية عند الإنسان، ويجب أن تتقبلها الأسرة كصفة واقعية، ولا تسمح في الوقت نفسه بنموها... فالقليل من الغيرة يفيد الطفل، وهي حافز يحثه على التفوق،لكن الكثير منها يفسد الحياة ويصيب شخصيته بضرر بالغ حيث تمثل الغيرة خطراً داهماً على توافقه الشخصي والاجتماعي.

والغيرة المفرطة تثير عند الطفل الحقد والغضب وهي من أهم العوامل التي تؤدى إلى ضعف ثقة الطفل بنفسه، أو إلى نزوعه للعدوان والتخريب، وما السلوك العدائي والأنانية والارتباك والانزواء والتبول اللاإرادي إلا أثر من آثار الغيرة على سلوك الأطفال، وقد تصل الغيرة إلى حد التحطيم والحزن وأحياناً إلى الاكتئاب، بل تؤثر عليه في المستقبل فيكون دائم الخلاف مع محيطه ومجتمعه.

ولا يخلو تصرف أي طفل من إظهار الغيرة بين الحين والحين، وهذا لا يسبب إشكالا إذا فهمنا موقف الطفل وعالجناه علاجاً سليماً. أما إذا أصبحت الغيرة عادة من عادات السلوك تظهر بصورة مستمرة فإنها تصبح مشكلة، ولاسيما حين يكون التعبير عنها بطرق متعددة، ومما تجدر الإشارة إليه أن الغيرة في الطفولة المبكرة تعتبر شيئاً طبيعيا حيث يتصف صغار الأطفال بالأنانية وحب التملك وحب الظهور، لرغبتهم في إشباع حاجاتهم، دون مبالاة بغيرهم، أو بالظروف الخارجية، وقمة الشعور بالغيرة تحدث فيما بين ٣ ـ ٤ سنوات، وتكثر نسبتها عند البنات عنها عند البنين، وتزداد أيضاً في الأسر الصغيرة التي يكون التركيز فيها على الطفل من ناحية الوالدين، كما تقل الغيرة إذا زاد الفارق الزمني بين الطفل وأخيه أو أخته.

الغيرة المبكرة عند الأطفال توضح الرغبة في إشباع الحاجات عند الطفل مع عدم المبالاة بالآخرين أو بالظروف الخارجية المحيطة

بقل: منى السعيد الشريف

E. MAIL : monashf@yahoo.com
monashf@al-islam.com





المقارنة الخاطئة بين قدرات الطفل وقدرات إخوته تثير فيه الإحساس بالنقص والعجز وعدم الثقة

أسباب الغيرة

١ ـ التفاوت في المعاملة بين طفل وبين إخوته.. لذلك نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك؛ كما روي عن أنس رضي الله عنه أن رجلا كان عند النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء ابن له فقبَّله وأجلسه على فخذه، وجاءته ابنة له فأجلسها بين يديه، فقال صلى الله عليه وسلم: «ألا سويت بينهم؟» رواه البزار والهيثمي.

٢ ـ المقارنة الهدامة بين طفل وآخر، سواء كان بالصراحة أو بالسلوك، فالمقارنة الخاطئة بين قدرات الطفل وقدرات إخوته تثير فيه الإحساس بالنقص والعجز وعدم الثقة لدرجة قد تصيبه بمشاعر الإحباط «إذ ليس أشد إيذاءً من السخرية بمقدرة الطفل وموازنتها بطفل آخر». وقد يسهم الأهل في إثارة جذوة الغيرة في نفوس أطفالهم إذا ما أظهروا محبتهم لأطفال آخرين بأسلوب فيه شيء من السخرية والتحدي.

٣ ـ الشعور بالنقص وخصوصاً إذا كانت جوانب النقص هذه ترجع إلى عيوب جسمية أو عقلية.

٤ ـ الحرمان من العطف والحنان من الوالدين إلى الأبناء.

٥ ـ المشاجرات المستمرة بين الوالدين.

(٦) خوف الطفل إذا فقد بعض امتيازاته أو حاجاته الأساسية كالحب والعطف مثلاً.

٧ ـ تحدث الغيرة عند الطفل عادة إذا ولد طفل جديد ولقي عناية حسنة من الأهل، فعندما ترزق أسرة بمولودها الأول يكون هذا الوليد شغل والديه الشاغل، فهو أول ثمرة لهما في الحياة ومنبع شعورهما بمعنى الوجود، ومصدر إحساسهما بعاطفة الأبوة والأمومة، لهذا يحتل المولود الأول مكان الصدارة في حياة الأسرة فيكون محور الاهتمام، وعند اقتراب موعد ولادة الطفل الثاني يُؤخر الأول بعيداً عن والدته لفترة بقائها في المستشفى، وعند عودتها من المستشفى تكون مُجهدة وترغب في أن تستريح، وهو يرغب في القرب منها نتيجة بعده عنها فترة، وبعد استراحتها تقوم بالعناية بالصغير، ويقل الوقت الذي تعطيه له، ويصل الأهل والأصدقاء للتهنئة بالمولود الجديد، أي أن كل شيء وكل الوقت صار للضيف الجديد ثم تبدأ سلسلة من التعليمات، وباستمرار يكون الصغير في أحضان والدته ويذهب هو إلى فراشه حزيناً لانشغالها مع الصغير ويعتقد أنه فقد حب أمِّه له، وبعد أن يكبر قليلا يلاحظ أنه يُعاقب لأشياء يُسمح لأخيه الصغير أن يفعلها ولا يعرف سبباً لذلك أو أنه أصغرُ من أن يعرف السبب، وتزداد الغيرة بالمقارنة والتفضيل.

٨ ـ الغيرة عند الطفل الصغير تأتي عندما يذهب الكبير إلى المدرسة، ويهتم المنزل كله ببدء دراسته ويأخذه أحد والديه إلى المدرسة في الصباح وهو في قمة السعادة.

العلاج

ـ أفضل الطرق لتخفيف حدّة الغيرة هي ممارسة العدالة في الحب والمعاملة فلا تظهر رعاية لأحد الأبناء على حساب حصة الآخر.

ـ إشعار الطفل بقيمته ومكانته في الأسرة والمدرسة وبين الزملاء.

ـ تعويد الطفل على أن يشاركه غيره في حب الآخرين.

ـ تعليم الطفل على أن الحياة أخذ وعطاء منذ الصغر وأنه يجب على الإنسان أن يحترم حقوق الآخرين.

ـ تعويد الطفل على المنافسة الشريفة بروح رياضية تجاه الآخرين.

ـ بعث الثقة في نفس الطفل وتخفيف حدة الشعور بالنقص أو العجز عنده.

ـ جعل العلاقات القائمة على أساس المساواة والعدل بين أفراد الأسرة، دون تمييز أو تفضيل على آخر، مهما كان جنسه أو سنه أو قدراته، فلا تحيز ولا امتيازات بل معاملة بين الجميع على قدم المساواة.

ـ تعويد الطفل على تقبُّل التفوق، وتقبُّل الهزيمة، بحيث يعمل على تحقيق النجاح ببذل الجهد المناسب، دون غيرة من تفوق الآخرين عليه، بالصورة التي تدفعه لفقد الثقة بنفسه.

ـ تعويد الطفل الأناني على احترام وتقدير الجماعة، ومشاطرتها الوجدانية، ومشاركة الأطفال في اللعب وفيما يملكه من أدوات.

ـ يجب على الآباء الحزم فيما يتعلق بمشاعر الغيرة لدى الطفل، فلا يجوز إظهار القلق والاهتمام الزائد بتلك المشاعر، كما أنه لا ينبغي إغفال الطفل الذي لا ينفعل، ولا تظهر عليه مشاعر الغيرة مطلقاً.

ـ يجب على الآباء أن يقلعوا عن كثرة مدح بعض الأبناء أمام إخوانهم، ويجب اعتبار كل طفل شخصية مستقلة لها مزاياها واستعداداتها الخاصة به، كما يجب المساواة في التعامل بين الابن والابنة، لأن التفرقة تثير الغيرة وتؤدي إلى الشعور بكراهية البنات للجنس الآخر في المستقبل. كما يجب عدم إغداق امتيازات كثيرة على الطفل المريض بجعله يتمارض أكثر مما يثير الغيرة لدى إخوته. وخلاصة القول: إنه يجب مراعاة الفوارق الفردية الدائمة بين الإخوة مهما تكن، وعدم استثارة المقارنات الفردية المؤدية إلى الغيرة. ولا يمنع ذلك بالطبع من إظهار النواحي الطيبة في كل منهم، ومحاولة تنميتها والعناية بها.

ـ تنمية الهوايات المختلفة بين الإخوة كجمع الطوابع والقراءة وألعاب الكمبيوتر وغير ذلك ... وبذلك يتفوق كل في ناحيته، ويصبح تقويمه وتقديره بلا مقارنة مع الآخرين.

ـ على الوالدين أن يمهدا لاستقبال المولود الجديد، لمنع الغيرة عند الطفل الذي قبله، وأن يحببا المولود الجديد له بشتى الوسائل، حتى إذا ما جاء المولود شعر الطفل أنه شيء محبب إلى نفسه وليس منافساً له، كما يجب على الوالدين أن يقتصدا في إظهار محبتهما



وعطفهما على المولود الجديد.

أثناء فترة الحمل

١ ـ اجعلي طفلك الأكبر مستعداً لاستقبال أخيه المولود الجديد، بأن تحدثيه عن الحمل وتجعليه يتحسس حركات الجنين أيضا.

٢ ـ حاولي أن تعطي الطفل الفرصة ليراقب عن كثب أحد المواليد الجدد حتى يكون لديه فكرة أفضل عن المولود القادم.

٣ ـ شجعي الطفل على مساعدتك في تحضير غرفة المولود.

٤ ـ انقلي سرير الطفل إلى غرفة أخرى أو استخدمي له سريراً جديداً قبل حلول المولود الجديد بأشهر عدة حتى لا يشعر بأنه قد تم أبعاده بسبب المولود الجديد، وإذا كنت ستلحقين الطفل بروضة الأطفال فافعلي ذلك قبل موعد الولادة بوقت كاف.

٥ ـ امتدحي الطفل على سلوكه الناضج مثل: كلامه بأسلوب مهذب أو ذهابه إلى الحمام بمفرده، أو القيام بارتداء ملابسه وتناول الطعام بنفسه ولعبه بمفرده.

٦ ـ لا تطلبي من الطفل أن يقوم بمهارات لم يفعلها من قبل في الأشهر التي سبقت الولادة (مثل محاولة تدريب الطفل السابق على الحمام) حتى يكون على استعداد لذلك، فلا بد من تأجيل التغيرات الجديدة إلى أن يتكيف الطفل مع المولود الجديد.

٧ ـ أخبري الطفل أين ستتركينه ومن سيعتني به عند دخولك المستشفى يكون للولادة، إذا لم يكن سيمكث مع والده في المنزل.

٨ ـ أقرئي مع الطفل كتباً تتحدث عن فترة الحمل وعن فترة ما بعد الولادة.

في مستشفى الولادة

١ ـ اتصلي هاتفياً بالطفل الأكبر يومياً من المستشفى.

٢ ـ حاولي أن يقوم الطفل الأكبر بزيارتك أنت والمولود الجديد في المستشفى.

٣ ـ شجعي والد الطفل على أن يصطحب طفله السابق إلى بعض التنزهات كالحديقة العامة أو حديقة الحيوان إلخ...).

بعد مغادرة المستشفى

١ ـ عند دخولك المنزل اقضي اللحظات الأولى مع الطفل الأكبر، واجعلي شخصاً آخر يحمل المولود الجديد بدلا منك.

الأم الواعية توصل الطفل الأول إلى مراحل النضج حين تغرس في نفسه أنه أصبح كبيراً ويعتمد عليه

٢ ـ قدمي للطفل الأول هدية (من المولود الجديد).

٣ ـ اطلبي من الزوار أن يعطوا كثيراً من اهتمامهم للطفل الأكبر، ودعيه يفتح هدايا المولود الجديد بنفسه.

٤ ـ يجب أن تشيري إلى المولود الجديد دائما بـ: «طفلنا الرضيع».

الأشهر الأولى في المنزل

١ ـ لابد أن يكون للطفل الأكبر قدراً أكبر من الاهتمام والرعاية التي يحتاجها، وحاولي أن تشعريه بأنه أكثر أهمية من غيره مع الاستمرار في تلبية حاجاته الضرورية، وألا يشعر بأن أخاه عائق دون تحقيق رغباته.

٢ ـ شجعي طفلك على أن يتحسس المولود ويلعب معه، على أن يكون ذلك في حضورك.

٣ ـ اجعلي الطفل السابق يساعدك في العناية بالمولود.

٤ ـ لا تطلبي من الطفل أن يلزم الهدوء من أجل المولود.

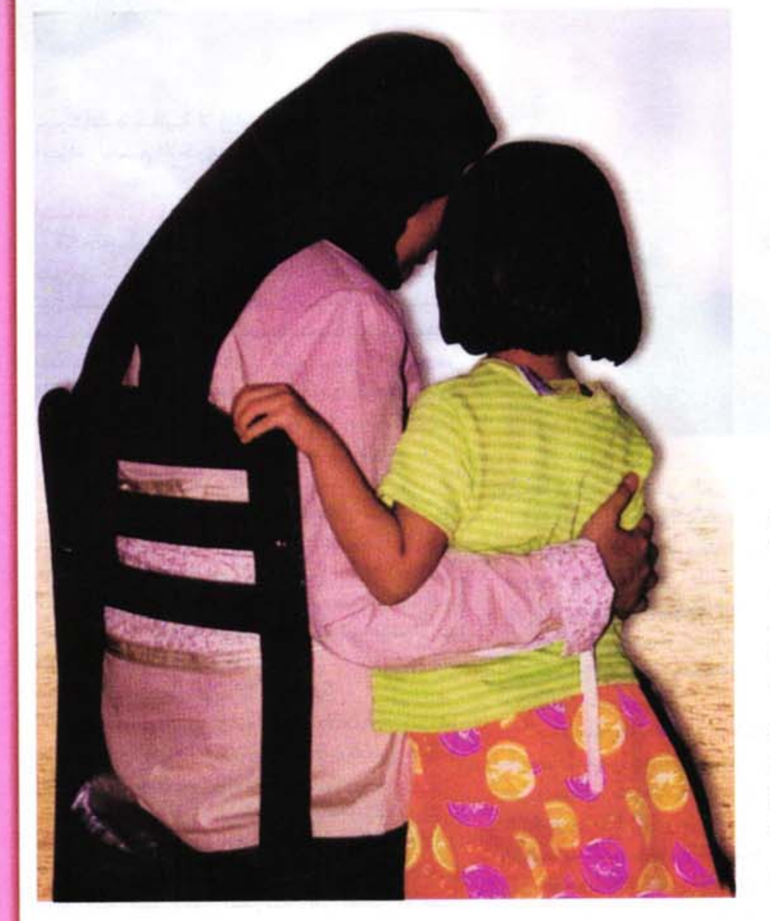
٥ ـ تقبلي السلوك الرجعي للطفل مثل مص إبهامه أو تشبثه بك.

٦ ـ التظاهر أمام الطفل السابق بأن كل شيء يفعله طبيعي، ومعاملته بالحب والاحترام مازالت كما هي.. فالطفل الغيور عموماً هو طفل غير سعيد وعلى الأم أن تبذل كل المحاولات لجعله سعيداً،ومن ثم يجب أن تتحاشى التأنيب أو التوبيخ حتى لو أصاب أخاه الصغير، يجب أن يكون هدف الأم أن تجعله يلعب معه ويساعد أمه في خدمته، ففي حال ضربه أو إصابته تأخذه الأم بعيداً، وتجعله مشغولاً، ولا تؤنبه إطلاقا بل تعطيه الحب والأمان. وإذا تكرر القبول اللاإرادي لا تنصحه الأم بأي شيء وإنما تشغله بلعب أو خلافه، وإذا دمر لعبته أو أفسدها فلا تفعل له شيئاً بل تشغله في شيء آخر وتعطيه الحب والحنان والأمان. وأي توبيخ أو عقاب قد يزيد المشكلة تعقيداً.

٧ ـ إذا كان الطفل كبيراً ـ نوعاً ما ـ فشجعيه على أن يحدثك عن مشاعره المتضاربة تجاه المولود الجديد.

٨ ـ إيصال الطفل الأول أو السابق لمراحل متقدمة من النضج، وذلك بأن نغرس في نفسه أنه أصبح كبيراً ناضجاً وأنه يعتمد عليه في رعاية أخيه، وأنه سيكون كالوالد له، ويمكن تكليفه ببعض الواجبات ومنها رقابة أخيه الصغير وكل ذلك يشعره بأنه ما زال محبوباً وموضع اهتمام والديه وأن ولادة أخيه لم تؤثر على ذلك.

٩ ـ أن نبني له صداقات مع أطفال من سنّه ■



> أهم ما يظهر اللجلجة عند الطفل الاضطرابات الحركية التي تصاحب الكلام كالحركات غير المنتظمة في الرأس ورموش العينين والفم وانخفاض حدة الصوت

اللجلجة: «اضطراب في إيقاع الكلام وطلاقته يتميز بالتوقف والتكرار أو الإطالة في الأصوات أو الحروف أو الكلمات، ويأخذ هذا الاضطراب الكلامي شكلاً تشنجياً في عملية تشكيل أو تقويم أصوات الحروف فتخرج بصعوبة ومجاهدة بالغتين».

مشكلة اللجلجة عند الأطفال أسبابها وعلاجها

بقلم: أ.د.مصطفى رجب

فالطفل الذي يعاني من هذه المشكلة يعرف ما يريد قوله تماماً ولكن تحدث له إعاقة في النطق تصعب ملاحظتها.

أعراض اللجلجة

هناك الكثير من الأعراض المتعددة والمختلفة المميزة لظاهرة اللجلجة يمكن تحديدها فيما يلي:

١ ـ الميل إلى التكرار: «تكرار للمقاطع ـ الكلمات ـ الحروف» مصحوباً بالتردد والتوتر النفسي والجسمي.

٢ ـ الإطالة: إطالة الأصوات وبخاصة الحروف الساكنة وهذا أهم ما يميز كلام المتلجلج.

٣ ـ الإعاقات: التي يبدو فيها المتلجلج غير قادر على إخراج الصوت إطلاقاً بالرغم من المجاهدة الكبيرة وأوضح ما يكون ذلك في بداية الكلمات والمقاطع والجمل.

٤ ـ الاضطرابات الحركية: وهي مظاهر ثانوية مصاحبة للجلجة من حركات غير منتظمة للرأس ورمش العينين وحركات الفم المبالغ فيها وأصوات معوقة، مع ارتفاع وانخفاض في حدة الصوت، أو خروجه بطريقة شاذة وغير منتظمة وارتعاشات حول الشفاء كما تحدث



حركات فجائية لا إرادية لليدين أو الرجلين أو أجزاء الجسم الأخرى.

أسباب وعوامل حدوث اللجلجة

اللجلجة ظاهرة مركبة، بقدر ما هي نتاج عوامل كثيرة، فأسباب اللجلجة يمكن أن تختلف من طفل لآخر، وهكذا فإن محاولة تقسيم مسببات اللجلجة إلى أقسام معينة يعتبر عملية صعبة، حيث يوجد تداخل كبير بينها. إلا أنه من الممكن أن نحدد أسباباً ثلاثة لعملية صعبة، حيث يوجد تداخل كبير بينها. إلا أنه من الممكن أن نحدد أسباباً ثلاثة رئيسة لحدوث اللجلجة.

١ ـ الأسباب الانفعالية «النفسية»:

يرى أصحاب مدرسة التحليل النفسي أن اللجلجة تعتبر نوعاً من التثبيت على مراحل غير ناضجة في التطور الجنسي، وأن الأطفال المتلجلجين يعانون من مقادير من اضطرابات الشخصية وسوء التوافق الانفعالي فضلاً عن القلق والشعور بالإحباط.

٢ ـ الأسباب البيئية ـ الاجتماعية

من العوامل التي تؤدي إلى اللجلجة التوتر في جو الأسرة والخلافات الأسرية، وشعور الطفل بأنه غير مقبول من جانب أفراد أسرته.

كما أن ضغوط الأسرة والمدرسة لهما دور كبير في حدوث اللجلجة، والدليل على ذلك أن كثيراً من الأطفال يصابون باللجلجة عند بدء الالتحاق بالمدرسة، فقد تكون المدرسة ـ في بعض الأحيان مسؤولة عن ظهور اللجلجة عند بعض الأطفال، وكثيراً ما تكون المدرسة جواً صالحاً لتثبيت اللجلجة وزيادة وضوحها. ولعل السبب في ذلك هو أن جو المدرسة يعيش فيه الطفل مدة طويلة ولحياته فيها أهمية خاصة بالنسبة لحفظ كرامته في نظر نفسه، وبالنسبة لمستقبله وشعوره بالأمن عند النظر إليه، فإن كان جو المدرسة يشعره مثلاً بالإخفاق في التحصيل لعدم ملاءمة المواد الدراسية لقدراته العقلية، أو وجود فوارق كبيرة بينه وبين زملائه على التحصيل الدراسي، أو يشعر بالفشل في تعلم اللغات بنوع خاص، أو بالفشل في تحقيق التوافق الاجتماعي، فإن هذا يزيد حال الخوف لدى الطفل وحال التوتر أيضاً لديه، وإذا ظهر هذا الشعور بالفشل في المدرسة، فإن المنزل عادة يزيد الموقف تدعيماً مما يزيد الحال سوءاً على سوء، ومما يساعد على ظهور التوتر في العلاقات بين المدرِّس وتلميذه شدة الاهتمام بالامتحانات وما تحدثه من قلق وما يترتب على ذلك من إرهاب وعقاب وإرهاق بالعمل وتوتر عام في الجو المدرسي كله.

كذلك، فإن من الأخطاء المعروفة وراء حدوث اللجلجة ـ إطلاق الأسئلة على التلاميذ إطلاقاً سريعاً والإلحاح في طلب الإسراع في الإجابات أو إرغام الطفل على سرعة الإجابة وهو في حال خوف أو غضب، أو إرغامه على التزام الصمت في الحال إذا كان يشكو من شيء ما، أو له طلب معين من المدرِّس.

٣ ـ الأسباب العضوية ـ التكوينية

يعتقد بعض علماء النفس أن الأسباب العضوية في مجملها عبارة عن أسباب استعدادية، وفي هذا يرى «فان رايبر» أن ما يؤكد وجود هذه الأسباب العضوية ـ التكوينية ـ أن اللجلجة تميل إلى الوجود بكثرة في عائلات خاصة عبر أجيالها المتعاقبة مما يوحي بأنها حالات وراثية، وأنها أكثر عند الذكور عنها عند الإناث، مما يشير إلى نوع من الارتباط بالجنس، ويرى فريق آخر من علماء النفس أن من أهم الأسباب العضوية للجلجة عامل الوراثة، فمعظم المتلجلجين تنتقل إليهم اللجلجة عن طريق الأمهات وأن المتلجلجين لهم أسلاف أكثر من العاديين.

علاج اللجلجة

أولاً: العلاج العضوي

أ ـ التأكد من أن الطفل لا يعاني من أسباب عضوية تؤدي إلى حدوث اللجلجة، وخصوصاً ما يتعلق بالنواحي التكوينية كوجود اختلال في الجهاز العصبي المركزي واضطراب الأعصاب المتحكمة في الكلام، مثل اختلال أربطة اللسان أو إصابة المراكز الكلامية في المخ بتلف أو نزيف أو ورم أو مرض عضوي، كما يجب علاج عيوب الجهاز الكلامي «الفم ـ الأسنان ـ اللسان ـ الشفتان ـ الفكان» التي قد تؤثر في النطق، وبخاصة عيوب الشفة العُليا وسقف الحلق ـ علاجاً عضوياً.

ب ـ كما يتعين علاج عيوب الجهاز السمعي كضعف السمع، لأنها قد تؤثر على نطق الطفل، فتجعله عاجزاً عن التقاط الأصوات الصحيحة للألفاظ، وكثيراً ما تتحسن حالات اللجلجة الناتجة من ضعف السمع تحسناً ملحوظاً بعد تصحيح السمع سواء بعلاج سبب الضعف أو بتركيب سماعة تساعد الطفل على السمع بصورة صحيحة.

ج ـ كما أنه يجب أن توجه العناية إلى الصحة العامة للطفل بصفة عامة لأنها لها أثر كبير في حيويته ونشاطه وذكائه وقدرته على الكلام والتعبير عن نفسه، فكلما كانت صحة الطفل العامة حسنة كانت فرصته في التعبير عن نفسه أفضل.

ثانياً: العلاج النفسي

وذلك لتقليل التوتر الانفعالي والتوتر النفسي عند الطفل، ولتنمية شخصيته ووضع حد لخجله وشعوره بالنقص مع تدريبه على الأخذ والعطاء، حتى نقلل ارتباكه وانسحابه وانزواءه في البيئة التي يعيش فيها.

والواقع أن العلاج النفسي للأطفال بعامة يعتمد على تعاون الآباء والأمهات وتفهمهم لهدف العلاج، ويعتمد هذا أساساً على درجة الصحة النفسية للآباء والأمهات، فكم من حالات للأطفال كان العلاج النفسي فيها موجهاً للأب والأم حتى تتحسن حال الطفل، ذلك لأنه ما لم تتحسن معاملة الأبوين للطفل وما لم يساعداه على الاعتماد على نفسه، وعلى تقوية روحه المعنوية، فلا أمل في نجاح العلاج، لأن إعادة الاتزان الانفعالي للطفل وللبيئة التي يعيش فيها يشعره بالأمن والطمأنينة، وبالدفء العاطفي البعيد عن التدليل وهذا أمر ضروري للعلاج

العلاج البيئي للجلجة يكمن في إدماج الطفل في أنشطة اجتماعية حتى يتدرب على الأخذ والعطاء











أسباب اللجلجة يمكن أن تختلف من طفل لآخر

النفسي.

ثالثاً: العلاج الكلامي

وهو علاج ضروري ومكمل للعلاج النفسي، ويجب أن يتزامن معه «أي يحدثان في الوقت نفسه» في أغلب الأحيان، ويتلخص في تدريب المريض على الاسترخاء العصبي أثناء الكلام، ومن ثمَّ التمرينات الكلامية الإيقاعية، وتمرينات النطق، والتعليم الكلامي من جديد مع التدرج من الكلمات والمواقف السهلة إلى المواقف الصعبة، وتدريب جهاز النطق والسمع باستخدام المسجلات الصوتية، ثم تدريب المريض لتقوية عضلات النطق والجهاز الكلامي لديه بصفة عامة.

رابعاً: العلاج البيئي

يقصد بالعلاج البيئي إدماج الطفل المصاب باللجلجة في أنشطة اجتماعية، وجماعية تدريجياً، حتى يتدرب على الأخذ والعطاء وتتاح له فرصة التفاعل الاجتماعي ومن ثمَّ تنمو شخصيته ويعالج من خجله وانزوائه وانسحابه الاجتماعي، ومما يساعد على تنمية الشخصية من الناحية الاجتماعية العلاج باللعب والاشتراك في النشاط الرياضي.

كما يتضمن العلاج البيئي إرشاد الآباء القلقين إلى أسلوب التعامل مع الطفل، فيتجنبون مثلاً إجباره على الكلام تحت ضغوط انفعالية، أو في مواقف يخشاها الطفل، وأن يتركوا الأمور للتدرج من المواقف السهلة إلى المواقف الصعبة، مع المرونة لدرجة كبيرة، حتى لا يُعاني الطفل من الإحباط والخوف والشعور بالفشل، وحتى تتحقق له مشاعر الأمن والطمأنينة بكل الوسائل. كما يجب تعاون الآباء والمعالج والمدرسة على خلق الجو الصالح للطفل عن طريق أسئلة المدرِّس وتسميع الدروس أو عن طريق اعتداء وسخرية زملائه.

نصائح عملية للآباء والمربين

وفيما يلي بعض الإرشادات التي يتعين على الآباء والمربين اتباعها كي تساعد إلى حد ما في إتمام علاج الطفل المصاب باللجلجة:

- من أهم الإرشادات التي يجب أن يعيها الآباء والمربون هي أنهم ما لم ينجحوا في مساعدة الطفل على أن يثق بنفسه، ويثق بمقدرته على التخلص من عيوبه، فإنه لا فائدة من أي جهد يبذل أو حتى أي علاج عملي.

- على الآباء والمربين مساعدة الطفل الذي يُعاني من اللجلجة، أو أي مرض من أمراض الكلام، بعد التأكد من خلوه من أي مرض عضوي، وأن يساعدوه على ألا يكون متوتر الأعصاب في أثناء الكلام حساساً لعيوبه في النطق، بل عليهم أن يساعدوه على الاسترخاء والهدوء النفسي، ويمكن تحقيق ذلك بجعل جو العلاقة مع الطفل جواً يسوده الود والتفاهم والتقدير والثقة المتبادلة بين الطفل والشخص الذي يحاول مساعدته سواء أكان أحد الوالدين أم المعلم في المدرسة.

- عدم الإسراع في علاج الطفل والتعجيل بمطالبته بسلامة مخارج الحروف والمقاطع عنده، ذلك لأن التعجل والإصرار على سلامة مخارج الحروف والمقاطع والكلمات من شأنه أن يزيد الطفل توتراً نفسياً وجسمياً ويقظة لمشكلته وعيوبه. الأمر الذي يؤدي إلى زيادة ارتباكه، ويعقد الحال النفسية لديه ويزيد من صعوبة الاضطراب في النطق.

- عدم توجيه اللوم أو السخرية للطفل الذي يُعاني من اللجلجة أو أي عيوب في الكلام، سواء من الآباء أو الأمهات أو من الأقران والإخوة، وذلك لأن اللوم والنقد يفقدان الطفل ثقته بنفسه، بل يؤديان إلى اضطرابه الانفعالي وشعوره بالنقص.

- الاهتمام بحديث الطفل المتلجلج والإصغاء إليه وتشجيعه، فالطفل يجد في إنصات أبويه أو معلميه إليه تحقيقاً لرغبة ملحة في التعبير عن نفسه وإثبات ذاته، مما يجعله يزداد ثقة بنفسه ويساعده على الإحساس بالأمن المتبادل بين البيئة وبينه ومن ثم يمكنه شيئاً فشيئاً من أن يعبر عن نفسه تدريجياً، بدرجات أقل فأقل من صعوبات النطق.

- ينبغي ألا يحرم الوالدان الطفل المتلجلج من التحدث، كلما أراد ذلك مع عدم مقاطعته أو تصحيح ألفاظه عندما يتحدث، لأنه رويداً رويداً سيدرك خطأه ويصححه بنفسه، كما يمكن اختيار أوقات ملائمة لنصحه أو تصحيح خطئه في مناسبة يكون فيها الطفل على استعداد لقبول ما يُقال عنه.

- في الحالات المستعصية يتعين على الآباء والمربين اللجوء إلى العيادات النفسية، حيث تمارس ألوان العلاج النفسي المختلفة مع هذه الحالات، ولا يفيد العلاج وحده ما لم تكن هناك مؤازرة مستمرة واهتمام مستمر من الآباء أو المحيطين بالطفل، فبالتعاون يتحقق العلاج وهو الهدف الأساس لكلا الطرفين ■

•• المراجع ••

١ - أمال صادق، فؤاد أبوحطب، نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، ط٢، مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٩٠م.

٢ - أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م.

٣ - عبدالعزيز القوصي، أسس الصحة النفسية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨١م.

٤ - فؤاد الباهي السيد، الأسس النفسية للنمو، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٧٥م.

٥ - محمد عماد الدين إسماعيل، الأطفال مراة المجتمع، عالم المعرفة، الكويت، مارس ١٩٨٦م.

٦ - مصطفى رجب، أطفالنا ومشكلاتهم التربوية، القاهرة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ١٩٩٩م.

٧ - leeper, sara humoud, good schools for young children, new york: macmilan publishing co., 1979.

٨ - monroe, M. chilren who can not read, chicago: universiy of chicago press, 1972.

٩ - poul musen, the psyehological devlopment of the child. new jersey: prentice - hall, 1979.



مصريون في أحضان الأوروبيات.. والثمن إقامة وجنسية!

شرع الله الزواج وجعله سكناً ومودة ورحمة تجمع بين رجل وامرأة في ظل تعاليم الإسلام وتوجيهاته السامية وحسب الضوابط التي حض عليها الشارع الحكيم، لكن هذه الأيام أصبح الزواج طريقاً للثراء والحياة السهلة المريحة، ففي الفترة الأخيرة اندفع بعض الشباب المصري في تيار الزواج بأجنبيات بشكل مخيف، وهي ظاهرة جديدة تنذر بمفاعيل اجتماعية سلبية، وخصوصاً أن المصادر الرسمية سجلت أكثر من ١٥٠ حال زواج بين شباب مصريين وأوروبيات وأميركيات متقدمات في السن خلال عام واحد ولم يكن هناك دافع لذلك سوى الرغبة في الوصول إلى الثراء السريع.

وقد أطلق بعضهم على هذه الظاهرة زواج «التيك أواي».. ومضمونها يحمل وجهاً آخر في انعزال الشباب المصري عن محيطه الاجتماعي والعائلة والمجتمع، وتكشف المعلومات عن ترويج مكاتب التسويق السياحي في أوروبا مزاعم عن قدرات جنسية متميزة للمصريين، وبخاصة أبناء الصعيد ما يدفع بعض النساء الغربيات المتقدمات في السن والموعودات بالصحة والشباب إلى رفع إغراءاتهن المادية للشبان المصريين.



تحقيق: فاروق الدسوقي محمد

صحفي في جريدة اللواء الإسلامي المصرية

وفي مناقشة هذه الظاهرة تحديداً لدى الشباب تأخذ المسألة بعداً آخر أكثر تعقيداً، نظراً لتعدد الأسباب وتنوعها وخصوصية الوضع الذي يعيشه الشباب عموما في مجتمعاتنا.

بدءاً تقول الدكتورة «سامية خضر» أستاذة علم الاجتماع في جامعة عين شمس المصرية: إن ظاهرة زواج الشباب المصريين بالأجنبيات والأوروبيات تحتاج إلى وقفة المجتمع ككل، وأن تشترك جميع المنظمات والمؤسسات والهيئات التربوية والشبابية التي تعني بتوجيه وتوعية الشباب العربي في معرفة أسباب هذه الظاهرة التي بدأت تنتشر في عالمنا العربي والإسلامي، وليس في مصر فقط، لأنها كارثة اجتماعية خطيرة، ونكسة تعبر عن فشل المؤسسات التعليمية والتوجيهية.

فاختلاف الجنسيات بين الزوجين لها سلبياتها ولها إيجابياتها، فهناك عوامل كثيرة يمكن أن تجعل من الزواج مشروعاً فاشلاً، منها التباعد الفكري والأخلاقي واختلاف المفاهيم والعادات والتقاليد، ولكن العامل الأكبر هو الجنسية المشتركة، فعندما يقترن الرجل بزوجة من الجنسية ذاتها، يشعر بمشاركتها له في أفراحه وأحزانه، إذ إن اهتماماتهما تكون مشتركة، وهذا من شأنه أن يخلق ارتباطاً مثمراً، كما أن هذا الدم المشترك يزيل الحواجز اللغوية والاجتماعية بين الزوجين مما يعزز الحياة الزوجية.

وتضيف الدكتورة «خضر» قائلة: إن لجوء الشباب للزواج بأجنبية متقدمة في السن طمعاً في الحصول على جنسية الزوجة أو العمل والإقامة في بلادها نوع من العبث الذي قد يضر بهم ولا يفيدهم بشيء، ذلك لأن زواج المصلحة فاشل بنسبة ٩٩٪





د. سامية خضر:

يجب أن يكون الزواج مبنياً على أساس سليم وأن يتزوج الشاب بمن يعرف دينها وأمانتها



د. نبيل السمالوطي:

معظم الشباب الذين يتزوجون بأجنبيات لا يدركون أخطار هذا الزواج وأخطاره المستقبلية

ونسبة النجاح فيه ١٪ لفترة محدودة، لأننا من خلال تعاملنا مع شرائح المجتمع المختلفة في الحياة العامة والحياة الوظيفية نشاهد ونسمع عن كثير من النماذج، فالزواج القائم على مصلحة دنيوية فاشل في كل الحالات وبخاصة من جانب الشاب.. فعندما يشعر الشاب أنه حقق ما يريد يضحي بكل شيء من أجل الخلاص من هذا الزواج غير المتكافئ، فعلى سبيل المثال نذكر أن مواطناً تزوج بأجنبية قبل أكثر من عشرين سنة أغراه جمالها وأحلامه في السفر والحصول على جنسيتها وإقامة في بلدها.. فتزوجها وقضى معها أسوأ أيام حياته، فتنكرت للعشرة و أذاقته الويل ومن ثم لم تعطه أولاده.. وهناك قصص كثيرة تحدث لشبابنا في مثل هذا الزواج.

وتقول: يجب أن يكون الزواج مبنياً على أساس سليم، والأفضل أن يتزوج الشاب بمن يعرف دينها وأمانتها، وأن يبحث عن الأسرة التي يعرف دينها وأمانتها وأرى ضرورة قيام العلماء والدعاة والموجهين بدور التوعية بخطورة وأضرار مثل هذا الزواج الذي يبنى على المصلحة الشخصية، ولو أن هذا الشاب وأمثاله وقف مع نفسه فترة وجيزة ليفكر في هذا الزواج الذي ربما يفشل بسرعة كبيرة فشلاً ذريعاً ومتوقعاً ومنتظراً ما تقدم خطوة واحدة لإقامة هذه العلاقة.

وقدمت وسائل الإعلام واقعة عن إحدى الأجنبيات التي تزوجت بمصري.. وبعد الانفصال أرسلت له من قام بتخديره وانتهت بمأساة تحمَّلها الشاب وحده، وكانت حياته هي الثمن بعدما ظن أنه سيحصد من وراء هذا الزواج الكثير من الدولارات والأموال.

ففي فرنسا مثلا نجدهم يضعون العراقيل أمام شبابهم حتى لا يتزوجوا بأجنبيات، ويقومون بإرسال اختصاصيين للتأكد من ضمان نجاح هذا الزواج، ويحاولون الوقوف ضد أي زواج مبني على مصلحة أو منفعة، حتى لا يثمر عن حياة زوجية غير سعيدة، لأن اختلاف الثقافات والأفكار والعادات والتقاليد يحول دون نجاح هذا النوع من الزواج.

أضرار ومخاطر

ويضيف الدكتور «نبيل السمالوطي» عميد كلية الدراسات الإنسانية أن زواج المصريين بأجنبيات للحصول على جنسية أو إقامة ظاهرة مرضية تؤكد غياب التربية الأسرية وغياب الضوابط وقلة الاهتمام برعاية الأبناء وتوجيههم توجيهاً دقيقاً وأخلاقيا داخل الأسرة، إضافة إلى غياب الدور التربوي للمدرسة واقتصاره على العملية التلقينية.

ويؤكد «السمالوطي» أن معظم الشباب الذين يتزوجون بأجنبيات لا يدركون أضرار هذا الزواج وأخطاره، فاختلاف الجنسية واللغة والدين يعني الاختلاف في الأسس والمقومات والمعايير الفكرية، وهذا كله يؤثر تأثيراً مباشراً على هذا الزواج ويتفاوت تأثيره وفقاً للمسافة الفكرية والعرقية بين الطرفين.

إن كثيراً من الشباب يتعجل الثراء والشهرة من دون بذل جهد ووقت وفكر ومن دون أن يمر بمراحل كثيرة من المفروض أن يمر بها، فيريد صعود السلم بقفزة واحدة وليس تدريجياً وهذا ما يفسر لجوء بعض الشباب إلى مثل هذا الزواج الذي يصل إلى الزواج بمسنات ومتقدمات في العمر، وهذا يعد مؤشراً خطيراً على غزو القيم المادية للمجتمع وتراجع القيم الأخلاقية والدينية، ولا شك أن هذه الظاهرة المرضية لا تؤدي إلى بناء أسر متماسكة ولا إلى إنجاب ذرية صالحة أو حياة أسرية آمنة ومستقرة تسودها المودة والرحمة فينعكس ذلك سلباً على الأبناء.

نتائج وقرارات

وتناشد الدكتورة «سامية الجندي» أستاذة علم الاجتماع في جامعة «عين شمس» الشباب الذين يريدون الزواج بأجنبية أن يحكموا عقولهم ويراجعوا قراراتهم ويدرسوا نتائج هذا الزواج، مشيرة إلى ضرورة إبراز عواقب هذا الزواج من خلال أعمال درامية مثلما حدث مع المخدرات والتعدي على القانون، إضافة إلى إظهار ميزة الشباب حين





د. منيع عبد الحليم:

الزواج بـ«أجنبية» مباح.. شرط مراعاة القيم والعادات الإسلامية

يبدأون رحلة كفاح مع من هم في مثل أعمارهم ومن مجتمعاتهم نفسها ويحملون عاداتهم وتقاليدهم نفسها، كذلك المدرسة والجامعة لهما دور كبير في توعية الشباب، وقبل هذا وذاك الأسرة مطالبة بتنشئة أولادها على الفكر الإسلامي الصحيح ولا يكفي أن ينشأوا على التفوق في التعليم أو تحصيل عمل يثمرون منه أموالاً.

وتؤكد الدكتورة «الجندي» أن السبب الأساسي في هذه الظاهرة هو غلبة النظرة المادية لدى الكثير من الشباب والفتيات ما يجعلهم يميلون لهذا الزواج، ولهذا الشاب العربي الذي يفكر في الزواج بامرأة أجنبية يجب أن يدرس قراره جيداً قبل تنفيذه، وأن يضع في اعتباره نتائج هذا الزواج وما سيترتب عليه من آثار سلبية يكون ضحيتها الأبناء، لأن الزواج استقرار نفسي وتوافق وتفاهم مشترك وسكن ومودة ورحمة بين الزوجين.

الزواج جائز بشروط

وحول موقف الإسلام من زواج الشاب المسلم بأجنبيات يقول الدكتور «منيع عبد الحليم محمود» عميد كلية أصول الدين في «جامعة الأزهر»: إن الإسلام يبيح زواج الرجل المسلم بمسيحية أو يهودية، فلا إثم في ذلك، لكن ما يطالب به علماء الإسلام ألا يكون هناك تأثير من هذه الزوجة على الأبناء فيما يخص عقيدتهم والعادات والقيم الإسلامية، فلا تتغير عقيدتهم وعاداتهم الإسلامية، مثل ارتداء الحجاب بالنسبة للفتاة.

ويضيف الدكتور «منيع عبد الحليم» قائلاً: إذا كان الزواج بأجنبية لهدف تحقيق بعض المصالح من ورائها أن يلجأ الشباب للزواج بمسنة، فهي بالتأكيد تتزوج بشاب يصغرها في السن من أجل الاستمتاع به كشاب، وفي المقابل يحصل هو على نوع من المتعة الأخرى من الناحية الاقتصادية والمعيشية في بلدها أو جنسية البلد الذي حل فيه، ففي هذه الحال خرج الزواج عن كونه سكن ومودة ورحمة كما قال عنه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: (وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) الروم:٢١، ومن ثَمَّ يتحول الزواج إلى تبادل مصالح وإيجاد نوع من الغرض الدنيوي المادي يخالف المراد من تكوين الأسرة، بكل ما فيها من صلة أرحام وتعارف، وكون الأسرة هي النواة الأولى للمجتمع التي تنجب أبناء صالحين.. وعلى هذا فإن هذا الزواج في أصوله مباح.. لكن مع مراعاة القيم والعادات والتقاليد الإسلامية، ولا ينظر إليه على أنه مشروع اقتصادي ■







ولاية التزويج ليست إجبارية بحيث تفقد المرأة بمقتضاها رأيها وإذنها في الزواج

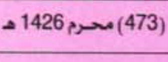
بقلم:
د.عبد الرحمن محمد العمراني





تعد ولاية التزويج من بين العناصر في أحكام الأسرة التي ينادي البعض اليوم بإلغائها، على اعتبار أن العمل بها حيف في حق المرأة، ويجعلها قاصرة عن الرجل، ويبقيها تحت وصايته، ويستند بعض الدارسين. في تأييد هذه الدعوى. إلى قول ابن رشد: «إنه لم تأت آية ولا سنة هي ظاهرة في اشتراط الولاية في النكاح فضلاً عن أن يكون في ذلك نص»(١). ولقد أورد ابن رشد رحمه الله وغيره من المصنفين في الخلاف الفقهي العالي أقوال الفقهاء قديماً وأدلتهم في هذه المسألة، مما يغني عن إيرادها هنا.

ولاية التزويج بين القول بإلغائها ودواعي العمل بها











ومما نستفيده من اختلافهم فيها أن جميع المذاهب الفقهية تعمل بها، ولم يرد في واحد منها إنكارها، مما يدعونا إلى توضيح مجموعة أمور لمناقشة القول بإلغاء العمل بها اليوم.

أولاً: أصل العمل بولاية التزويج

تتعدد الأدلة من الكتاب والسنة التي بنى عليها جمهور الفقهاء قولهم إن الولاية شرط من شروط صحة النكاح، ولقد أورد ابن رشد في الجزء الثاني من كتابه «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» مشهور ما احتجوا به منها، ولكنها بالنسبة إليه كلها أدلة محتملة، وهناك أدلة أخرى لم يوردها منها:

١ ـ إقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم العمل بولاية التزويج، ذلك أنه حين بداية بعثته صلى الله عليه وسلم وجد الأنكحة تتم على أربعة أنحاء، فهدم ثلاثة منها لدخولها في الزنى، وأبقى على نحو واحد منها، وصورته ـ كما بينتها عائشة رضي الله عنها ـ أن «يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها»(٢)، وهي الصورة التي أقرها صلى الله عليه وسلم حين بُعِثَ بالحق. ومعلوم عند علماء الأصول أن إقرَار رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين على فعل ونكيره على غيره، مما كانت العرب تقوم به يفيد جواز الشيء المقرر(٣)، فكيف إذا تعدى إقراره صلى الله عليه وسلم الصورة المذكورة للنكاح إلى العمل وفقها؟!.

٢ ـ اعتماد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الصورة في زواجه حتى إنه لم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم تزوج إحدى نسائه من غير إذن وليها(٤). وقد أخرج البخاري بسنده إلى عروة بن الزبير أنه صلى الله عليه وسلم خطب عائشة إلى أبي بكر... الحديث»(٥).

وأياً هي الصورة التي اعتمدها صلى الله عليه وسلم في الأنكحة التي حضرها، لما رواه أحمد وابن حبان عن أنس بن مالك قال: «خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم على جُلَيْبيب امرأة من الأنصار إلى أبيها... الحديث»(٦)، ثم إنه على هذه الصورة سار المسلمون من بعده في أنكحتهم، ولم يخالف في ذلك واحد منهم، مما دعا الإمام المالكي أبا بكر ابن العربي المعافري إلى الجزم بأنه «ما جرى قط من السلف أن امرأة باشرت نكاحها»(٧).

إن هذين الحديثين لم يوردهما ابن رشد في مسألة ولاية التزويج، وهما ينضافان إلى ما ذكره من أدلة جمهور الفقهاء في إثبات العمل بها.

٣ ـ يظهر من تتبع أقوال الأئمة الفقهاء في المسألة أن فكرة ولاية التزويج ثابتة عندهم جميعاً، وإن ما يدعيه البعض من أن الحنفية ينكرونها قول بعيد عن الصواب ذلك أن قولهم بصحة العقد إذا زوجت المرأة نفسها بنفسها هو مقيد عندهم بما إذا كان الزوج كفؤاً لها وكان الصداق الذي تأخذه صداق مثلها من النساء، فإذا كان من تريده المرأة زوجاً لها غير كفء لها أو كان الصداق الذي تأخذه منه دون صداق مثلها من النساء، فإن وليها يتدخل معترضاً على زواجها لدفع العار عنه(٨)، هذا ما حكاه الإمام الطحاوي عن أبي حنيفة بلفظ: «إن زوجت المرأة نفسها من غير كفء، فلوليها فسخ ذلك عليها. وكذلك إن قصرت في مهرها فتزوجت بدون مهر مثلها، فلوليها أن يخاصم في ذلك حتى يلحق

أنوثة المرأة في الإسلام مظهر من مظاهر الرقة

القول بإلغاء العمل بولاية التزويج فيه ضرر كبير بالمرأة لأنه





يستدعي نوعاً من الحماية لها

بمهر مثل نسائها»(٩)، مما يؤكد أن لولي التزويج جزءاً من المسؤولية في زواج المرأة التي تحت ولايته عندهم. ويزيد تأكيداً لثبوتها عندهم أنهم ينكرون إجبار الأب ابنته البالغ على النكاح ويثبتون له ذلك في حق الصغيرة. وبهذا يظهر أن القول بإلغاء العمل بها شاذ عن ما ذهبت إليه المذاهب الفقهية.

ثانياً: مزايا العمل بولاية الزويج بالنسبة للمرأة وأسرتها:

١ ـ عندما نتأمل مذهب جمهور الفقهاء في مسألة ولاية التزويج نجد الغاية من اشتراطها عندهم هي رعاية مصلحة المولى عليه، ولهذا اشترطوا في الولي أن يكون بالغاً عاقلاً لأن غير البالغ وكذا غير العاقل لا يملكان قدرة على تحصيل مصلحته، ومن أجل هذه الغاية أيضاً وضعوا ترتيباً للأولياء فقدموا الأقرب بالنسبة للمولى عليه، فالأقرب، لما في القريب من الشفقة الباعثة على النظر في مصلحة من هو تحت ولايته. وغير خاف أن رجلاً حين يريد أن يتقدم لخطبة امرأة، فإنه يضع في اعتباره وليها من أجل إقناعه بالزواج بها، أما حينما تتولى هي تزويج نفسها بنفسها فإنه يسهل عليه أن يتصل بها، وأن يتحايل عليها حتى توافق على الزواج به، ثم ربما تجد نفسها قد تسرعت فيما أقدمت عليه لغاية العامل العاطفي عندها، وقد أوضح الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي أن «ليست المرأة المسلمة الشريفة هي التي تزوج نفسها من دون إذن أهلها، فإن كثيراً من الشبان يختطفون الفتيات ويضحكون على عقولهن، فلو تركت الفتاة الغرة لنفسها، لطيبة قلبها ولعقلها الصغير، لأمكن أن تقع في شراك هؤلاء وأن يخدعها الخادعون من ذئاب الأعراض ولصوص الفتيات. لهذا حماها الشرع وجعل لأبيها أو وليها أياً كان(١٠) حقاً في تزويجها ورأياً في ذلك، واعتبر إذنه واعتبر رضاه كما هو مذهب جمهور الأئمة»(١١).

ولا يعكر على هذا أن المرأة اليوم ارتقت إلى مناصب عليا في سلم الوظيفة العمومية، فاشتغلت محامية وطبيبة ومهندسة، فهذا شيء، وأمر الزواج شيء آخر، فحقاً إن النساء اليوم يتقلدن وظائف عليا في الطب والقضاء والتعليم وغيرها من الوظائف على خلاف ما كان عليه حالهن في السابق، لكن هذا لا يلغي أنوثتهن التي تفرض على غالبيتهن ضعفاً في الخبرة بأحوال الرجال، وإذا كان منهن من يدرين في أمر النكاح ما تتحقق به مصلحتهن، فإن درايتهن ليست علة مطردة في جميع النساء مما يتأكد معه أن العمل بولاية التزويج أو إلغاءها لا ينبغي أن ينظر فيه من جانب ما تزاوله المرأة من عمل مهما كان في نظر البعض راقياً، من أجل هذا، كان إسناد الأمر إليها في الزواج ينافي ضعفها العاطفي الذي هو جانب قوة وجمال فيها، وكانت ولاية التزويج مظهراً من مظاهر جبره ودعمه.

ثم إن في القول بإلغاء العمل بولاية التزويج ضرراً كبيراً بالمرأة لأنه يوحي إليها بأن أباها عائق يحد من حريتها ويمنعها من تحقيق رغبتها في الزواج، فينبغي لها أن تنتصر عليه بعدم اكتراثها برأيه... وهذه خطوة في طريق نقض عرى الروابط العائلية.

٢ ـ إن بناء الأسرة المسلمة يقوم على أساس التلاحم بين أفرادها والتكافل بينهم في المنشط والمكره، والبنت حين تتزوج فإنها لا تتزوج لوحدها، ولكنها تتزوج وكل أفراد عائلتها يرجون نجاح زواجها، لأن في نجاحه راحتهم وفي فشله قلقهم، ويتجلى هذا التكافل واضحاً في أن الولي حين يتولى تزويج المرأة التي تحت ولايته برضاها، فإنه يتحمل نتائج زواجها، فالمرأة حينما تفشل في زواجها، بل حينما تظهر بوادر خلافها مع زوجها، فإنها تلجأ للاحتماء بعائلتها، وتؤويها عائلتها لأنها أشرفت على زواجها، ويكون وليها مفاوضاً عنها في الصلح مع زوجها، وكذلك الأمر حين يموت زوجها فإن أسرتها تتحمل معها آثاره من إنفاق على الأبناء ورعايتهم مما يفيد أن اشتراط الولي في الزواج يوضح تماسك الأسرة في نظامنا. ولو أن امرأة لم تكترث لأحد من أفراد عائلتها في زواجها ثم فشلت فيه، فكيف تتحمل عائلتها نتيجة زواج لم يؤخذ رأيها فيه أول مرة؟ وبأي حق ترجع هذه المرأة إلى بيت أبيها وقد يكون معها أبناؤها ليتحمل مسؤوليتهم؟ وهل تقبل هذه المرأة أن تتعامل معها عائلتها بقاعدة الغنم بالغرم فترفض احتضانها لأنها لم تكترث لها حين أرادت أن تتزوج؟

٣ ـ إن الزواج إذا تم بانضمام رأي المرأة إلى رأي أسرتها ينتج منه ارتباط أسرتها بأسرة زوجها برابطة المصاهرة، وهي رابطة لها آثارها الشرعية نحو تحريم أصول الزوجين لقوله تعالى: (وأمهات نسائكم) وكذا الشيخ محمد عبده في تفسير قوله تعالى: (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) البقرة:٢٢١، فذكر أن «التعبير بـ(تنكحوا) و(تنكحوا) بفتح

يوحي إليها بأن أباها عائق يحد من حريتها





التاء وضمها، يشعر أن الرجال هم الذين يزوجون أنفسهم ويزوجون النساء اللواتي يتولون أمرهن، وأن المرأة لا تزوج نفسها بالاستقلال، بل لابد من الولي، إذ الزواج تجديد قرابة ومودة رحمية بين أسرتين وعشيرتين لا يتم وتحصل فائدته إلا بتولي أولياء المرأة له مع اشتراط رضاها وإذنها به صراحة في الثيب، وسكوتاً إقرارياً في البكر التي يغلب عليها الحياء»(١٢). وكذلك قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور(١٣)، فكانت علة المصاهرة علة شرعية منضبطة. وهذه الآثار الاجتماعية كلها تغيب إذا لم تكترث المرأة لأحد من أسرتها وزوجت نفسها بنفسها.

٤ ـ ثم إنه بات واضحاً اليوم أن المرأة في المدن الكبرى خاصة ـ حيث يعسر أن يجد زوجان حديثي عهد بالزواج مسكناً يناسب دخلهما ـ حينما تتزوج فإنها تبقى في بيت أبيها ويبقى زوجها في بيت أبيه حتى يجدا مسكناً يقدران على كرائه، والكل يساعدهما في البحث عنه وفي تذليل سبل الحصول عليه، ويحدث أحياناً أن عائلة المرأة توفر لها مسكناً هي وزوجها. ولا يمكن لعائلتها أن تضحي معها في بداية زواجها إذا هي لم تكترث لها في زواجها.

٥ ـ إن الإسلام ينظر إلى المرأة على أن أنوثتها مظهر فيها من مظاهر الرقة يستدعي نوعاً من الحماية لها. وهذا المظهر ليس سلبياً فيها، بل هو ميزة تتميز بها. ولقد وصفها القرآن الكريم بأوصاف يحسبها البعض ذماً لها وانتقاصاً من شأنها ولكنها في الحقيقة أوصاف تثبت براءتها. ومنها قوله تعالى: (إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) النور:٢٣، أنزله في عائشة رضي الله عنها يبرئها مما رماها به البعض(١٤). وقد جاء وصفها بالغافلة تبريئاً لها من ذلك كله. وهذا ما بينته عائشة رضي الله عنها بقولها: «رميت بما رميت به وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك»(١٥) وبهذا الوصف مدحها حسان بن ثابت بقوله:

حصان رزان ما تزن بريبة
وتصبح غرثي من لحوم الغوافل(١٦)

ثالثاً: خلاصة:

ما يمكن أن نخلص إليه بعد بيان أهمية العمل بولاية التزويج بالنسبة للمرأة وأسرتها أن هذه الولاية ليست إجبارية بحيث تفقد المرأة بمقتضاها رأيها وإذنها بالزواج، فإنه لا إكراه في الزواج، وإنما المراد أن يجتمع إلى رأي الفتاة في زواجها رأي أسرتها التي سترتبط برابطة المصاهرة مع أسرة زوجها، فالولي باعتباره عميد الأسرة يتثبت من مدى صلاحية هذا الخاطب للزواج بابنته، ويبدي رأيه بمن يتقدم لخطبتها بناء على المعيار الذي بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبول الزواج أو رفضه، ولا يتجاوز هذا إلى الضغط والإكراه.

وحدث أن بعض الأولياء يتعسفون في استعمال سلطة ولايتهم فإما يكرهون المرأة على الزواج وإما يعضلونها من أن تتزوج، ولكن هذا السلوك الشاذ من بعض الأولياء عالجه الشرع بالنهي عنه وفصلت فيه قوانين الأحوال الشخصية العربية بمنعه، فلا ينبغي أن يكون سبباً في القول بإلغاء العمل بولاية التزويج إذا كان يهمنا حقاً الحفاظ على آصرة القرابة بين الأفراد، فولي المرأة ـ أبوها أو أخوها ـ بنفسه يتضرر مادياً ومعنوياً إذا فشلت في زواجها، ويجد نفسه أكثر مسؤولية على تحمل نتائجه إذا شاركها فيه ■

•• الهوامش ••

١ ـ انظر بداية المجتهد ونهاية المقتصد: الفصل الأول في الأولياء ج٢/٩.

٢ ـ صحيح البخاري: كتاب النكاح باب من قال: «لانكاح إلا بولي» رقم الحديث: ٤٨٣٤.

٣ ـ انظر كتاب المنخول في تعليقات الأصول للإمام الغزالي: ص ٢٢٩، تحقيق محمد حسن هيتو.

٤ ـ عندما يتحدث الفقهاء عن ولي التزويج فإنهم يريدون به الأب عند وجوده وكذا غيره من الأولياء في حال فقده.

٥ ـ صحيح البخاري: كتاب النكاح، رقم الحديث ٤٧٩٣.

٦ ـ مسند الإمام أحمد: رقم الحديث ١٢٤١٦، وصحيح ابن حبان: رقم الحديث ٤٠٥٩.

٧ ـ القبس شرح موطأ مالك بن أنس: ج٣/٤١ـ٤٢.

٨ ـ انظر كتاب المبسوط للإمام السرخسي: ج٤/١٠، باب النكاح بغير ولي.

٩ ـ شرح معاني الآثار: ج٣/١٣.

١٠ ـ لا ينبغي أن يفهم من قوله «أيا كان» أنه يتولى تزويج المرأة كل ذكر قريب من المرأة، فإن الفقهاء اشترطوا فيه شروطاً أخرى هي البلوغ والعقل، وإنما يريد بقوله هذا ـ انسجاماً مع مذهب الجمهور في المسألة ـ أن ولي المرأة في نكاحها هو ابنها، فإن لم يكن، فأبوها أو وصيه، فإن لم يكن فأخوها (...) فإن لم يكن فالحاكم ولي من لا ولي له.

١١ ـ فتاوى معاصرة للشيخ يوسف القرضاوي: ج٢/٨٦ـ٨٧.

١٢ ـ الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده: ج٤/٦٠٨ ـ ٦٠٩.

١٣ ـ انظر مقاصد الشريعة للشيخ محمد الطاهر بن عاشور: ١٦٤.

١٤ ـ يعني في قصة الإفك، وقد أخرجها الشيخان. انظر صحيح البخاري: كتاب الشهادات رقم الحديث ٢٦٦١، وكتاب تفسير القرآن، رقم الحديث ٤٧٥٠، وصحيح مسلم بشرح النووي: كتاب التوبة، رقم الحديث ٢٧٧٠.

١٥ ـ صحيح البخاري: كتاب التفسير باب «لو سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً».

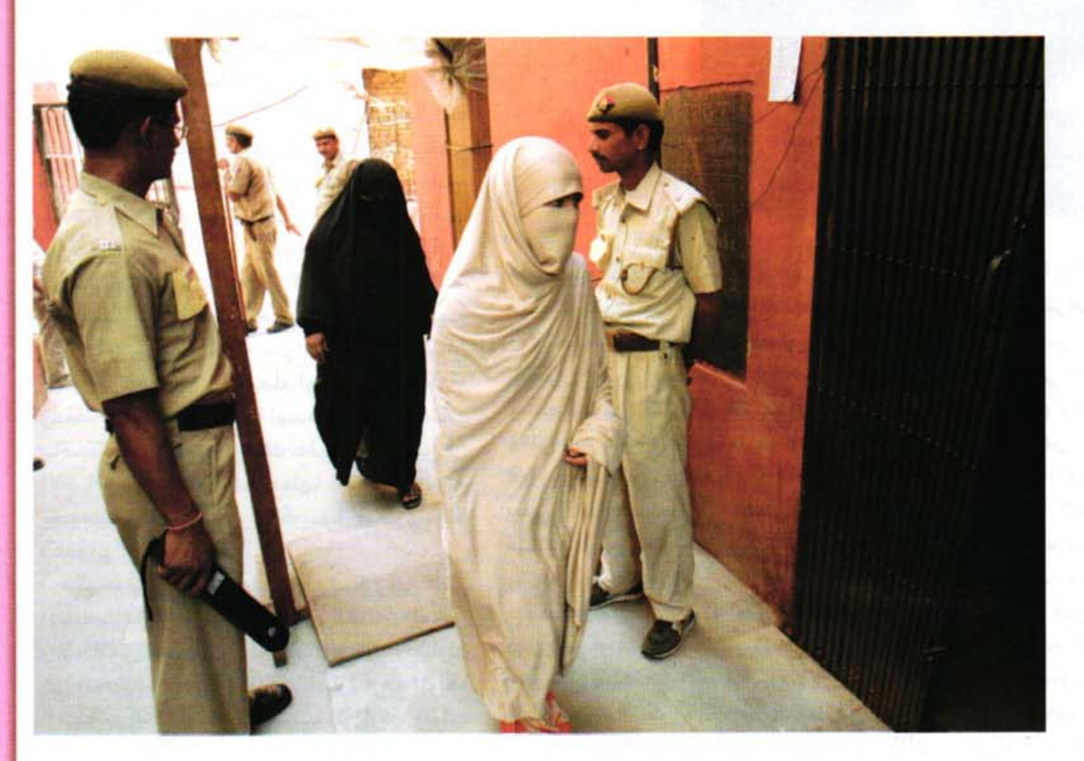
١٦ ـ أورد البخاري هذا البيت الشعري في صحيحه: كتاب التفسير، باب قوله: «يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً».







في الوقت الذي ارتفعت فيه النداءات لإنقاذ المرأة من ظلم الرجل، بحيث تتوافر كل الضمانات التي تحفظ لها كرامتها، وتحقق لها الأمن والسلام داخل الأسرة أو خارجها، وانبرت فيه مختلف المنظمات الاجتماعية والإنسانية والتشريعية لوضع القوانين واللوائح والمواثيق لكفالة حقوقها، وانعقدت المؤتمرات العلمية والسياسية في عالمنا العربي والإسلامي لإصدار التوصيات التي تؤكد مكانتها في المجتمع، فإننا لم نجد بياناً واحداً صدر أو مؤتمراً عُقد أو نداء ظهر يطالب بوضع حد لتجاوزات بعض النساء في استغلال هذه الحقوق والإساءة إلى أزواجهن أو أبنائهن.



> **رغم كل المؤتمرات العلمية والسياسية التي انعقدت لإصدار التوصيات التي تؤكد مكانة المرأة في المجتمع لم يعقد مؤتمر واحد يطالب بوضع حد لتجاوزات بعض النساء**

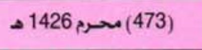


هل تتحول حقوق النساء إلى سيف مسلط على رقاب الرجال؟



بقلم:
أ.د. محيي الدين عبد الحليم

فماذا عن المرأة التي تسيء معاملة زوجها وأبنائها، وتحوِّل الحياة الأسرية إلى جحيم لا يُطاق، أو التي تقيم علاقات مشبوهة مع غير زوجها وتجبره على السكوت خشية أن تجره إلى ساحة المحاكم ومنظمات حقوق الإنسان، فتشهر سيف القانون ضده، ويجد نفسه مطالباً بدفع نفقة العدة ونفقة المتعة ومؤخر الصداق ونفقة الأطفال إلخ.... وذلك إذا رفض لها أمراً، ومن الذي يوقف جموح المرأة التي تهدد الرجل بالخلع إذا لم يستجب لرغباتها ويلبي مطالبها حتى لو تم ذلك على حساب استقرار الأسرة ومستقبل الأبناء؟، وماذا عن المرأة التي تحرم زوجها السابق من رؤية أطفاله منها نكاية فيه
















الإسلام أعطى المرأة ما لم يعطها أي نظام آخر ولم يحرمها حقاً يقتضيه تكوينها الفطري

وانتقاماً منه، مستغلة حقها في حضانة الصغار، فترتكب الكبائر وتقطع الأرحام، وتزرع في الأبناء كراهية أبيهم بالدعاوى الكاذبة والافتراءات الظالمة؟، وماذا عن المرأة التي تخرج للعمل رغم أنف زوجها، تاركة أبناءها بلا أم تحميهم وتعلمهم وتأخذ بيدهم؟، وماذا عن المرأة التي تخالف أوامر الله في طاعة الزوج وحفظه في ماله وعرضه؟، ثم ماذا عن المرأة التي قطعت أوصال زوجها إرباً إرباً، ثم وضعته في أكياس، وقذفت به في مستنقع للمياه الراكدة، أو دفنته في حفرة عميقة لأنه تزوج عليها، فهل وجدنا من يخفف من غلواء هؤلاء النسوة ويضع حداً لظلمهن؟

إننا نخشى أن تتحول الضغوط الدولية والمحلية على الدول العربية والإسلامية لتتجاوز الخطوط الحمراء، فتترك العنان للمرأة لتتصرف كما يحلو لها دون ضابط أو رابط، خشية أن توجه لهذه الدول اتهامات باضطهاد المرأة، وذلك على الرغم من أن الإسلام أعطاها ما لم يعطها نظام آخر، ولم يحرمها حقاً يقتضيه تكوينها الفطري، ولم يكلفها واجباً لا تطيقه.

فكيف تكون المرأة مضطهدة وهي التي أصبحت تتبوأ كل المناصب في العالمين العربي والإسلامي التي كان ينفرد بها الرجل، وتشارك في مختلف أمور الحياة، وتتبوأ أرفع المواقع السياسية، فحملت الحقائب الوزارية، وتولت المناصب العليا، وتولت قيادة المناصب الإدارية العليا، وخاضت الانتخابات، ودخلت البرلمانات، بل انضمت إلى صفوف القوات المسلحة، وشاركت كذلك في الأعمال العسكرية.

والإسلام لم يفرق بين الرجل والمرأة في حق التعليم، بل اعتبره فريضة على كل مسلم ومسلمة، وشاركت المرأة منذ فجر الإسلام في البيعة، وفي اتخاذ القرار، وفي الهجرة، كما شاركت النساء مع الرجال في اقتباس العلم بهداية الإسلام، فكان منهن راويات للأحاديث النبوية والآثار، يرويه عنهن الرجال، كما كان منهن الأديبات والشاعرات، والمصنفات في العلوم والفنون، وقد كانت أمهات المسلمين معلمات للنساء ومفتيات لهن، بل كان الخلفاء يرجعون إليهن فيما يستشكل عليهم من أحكام شرعية، كما أن الإسلام لم يمنع المرأة من ممارسة حقها في العمل والإسهام في النشاط الاقتصادي، فقد كانت السيدة خديجة أم المؤمنين أولى زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم تمارس النشاط التجاري، وكان النبي صلى الله عليه وسلم نفسه يعمل في تجارتها قبل زواجه بها، وإباحة حق المرأة في الميراث يعني إعطاءها الحق في العمل سواء عن طريق مباشر أو غير مباشر في المواقع التي تناسبها وتتوافق مع طبيعتها.

كما أن من حق المرأة اختيار شريك حياتها دون قهر أو قسر أو فرض شخص معين عليها وهو حق ثابت في الإسلام، ذلك أن استئذان المرأة سواء البكر أو الثيب شرط في صحة العقد، فهي صاحبة القول الفصل في ذلك، ذلك أنه من الغلو والانحراف عن الإسلام أن تحرم المرأة من أن تقرر أمراً يخصها، لأن الإسلام يعتبر الزواج عقداً كسائر العقود يقوم على أساس من التفاهم المتبادل بين الطرفين، وشرطه الأساسي يكمن في الإيجاب والقبول من كليهما وحضور شاهدين، وقد رد الرسول صلى الله عليه وسلم زواج امرأة لم تستأذن في زواج نفسها، واشتكت له من ذلك وهي الخنساء بنت حذام الأنصارية.

وهكذا نرى أن الإسلام قد أوجد صيغة تتوافق مع معطيات هذه العقيدة وثوابتها الأصلية، وهي صيغة تختلف كثيراً عن الصيغة التي وضعتها النظم الأخرى، كما وضع منهاجاً واضحاً للتعامل الصحيح معها فهي الأم والزوجة والابنة والأخت، ومن ثم فهي الجانب المكمل للرجل، ولا يمكن أن يستغني أحدهما عن الآخر، والعلاقة بينهما ليست صراعاً وإنما هي علاقة تكامل تحكمها الخصائص الفسيولوجية والسيكولوجية التي تميز كل منهما عن الآخر، وهذه الخصائص أساسية لعمارة الكون واستقرار الحياة وبناء الأسرة وإنجاب الأبناء.

ومن ثمَّ فإنه لابد من تحقيق التوازن بين حاجات النساء ومطالب الرجال، مع مراعاة ظروف كل طرف والمكونات التي تشكل شخصية كل منهما، فقد خلق الله المرأة على قدم المساواة مع الرجل في الحقوق والواجبات والتكليفات الشرعية، فالنساء شقائق الرجال، ويكفي أن نعرف أن الله قد خلق الجنين من ستة وأربعين «كروموزوم» نصفها من الرجل والنصف الآخر من المرأة بالتساوي بينهما، إلا أنه قد حمل الرجل مسؤوليات تتفق ومقومات شخصيته، وتتناسب مع قدراته البدنية وإمكاناته العقلية، كما حمل المرأة مسؤوليات تناسب طبيعتها، ومخالفة هذه الفطرة التي فطر الله الرجل والمرأة عليها ستترك تداعيات تهدد كيان الأسرة والمجتمع وفي ذلك يقول الشاعر العربي:

أنا لا أقول دعوا النساء سوافراً
مثل الرجال يجلن في الأسواق
يمشين حيث أردن لا من وازع
يحذرن رقبته ولا من واق

إلا أن أعداء العروبة والإسلام في الداخل



البيت المسلم

والخــارج يريدون أن تكون المرأة هي المَعْبَر الذي يطأون من خلاله شريعة الله بأقدامهم ويجعلونها خلف ظهورهم، وهي السهم الذي يطلقـون عن طريقـه سـمـومـهم القـاتلة، ودعـواهم المغـرضـة، وأفعالهم الخبيثة، فيجعلون المرأة هي الورقة الرابحة، ويلعبون بها وكأنه لا توجد مشكلة في العالم العربي والإسلامي سوى حقوق المرأة.

وهذا يعني أن المجتمع العربي المسلم يرفض مـا نصت عليـه الدساتير الغربية التي تبيح أموراً لا يمكن أن تقـرهـا الشـريعـة الإسـلامية، فالدسـاتير الغربية تبيح حرية المرأة وتطلق حريتها في إقامة علاقات محرمة مع من تشاء وفي الوقت الذي تشاء، وأي مـخالفـة لذلك يـعتبر انتـهاكاً لحـقـوقـهـا، وقـد أسـفـرت هذه الأوضاع عن اختلالات وتداعيات تسببت في انهيار الأسر وتفكك المجتمع، وانتشار الأمراض الفتاكة كالإيدز والزهري وغيـر ذلك في المجتمعات التي تأخذ بهذا النهج.

وقـد كـشفت دراسـة كـانت قـد أجرتها وزارة العدل الأميركية أن عــدد البنات اللواتي تتــراوح أعمارهـن بين سن الحادية عشرة والرابعـة عشـرة واللاتي يحـملن سفاحاً يصل سنوياً إلى ٧٠٠ ألف فـتـاة، وكـان الـرئيس الأمـيـركي الأسبق قد طالب تلاميذ المدارس بأن يلتزموا الأخلاق الفاضلة مع زميلاتهم.

ومن ثمَّ، فـإن الدول العـربيـة والإسـلامـيـة يجب أن يكون لهـا مـوقف حـازم إزاء الادعـاءات التي تزعم أن المرأة مضطهدة في هذه الدول، حـتـى لا يخـتـلط الحـابل بالنـابل ويتـحـول الانفـلات إلى حــرية، والـشـــذوذ إلى حب، والمحرمات إلى حقوق ■

خاطرة إيمانية



بقلم: كمال عبدالمنعم محمد خليل

أختاه... هلاّ تذكرت العاقبة؟

لا فـرق بين الرجل والمرأة في قـاعـدة الأجـر والثـواب على العمل الصالح من قبل الله تعـالى، قال تعالى: (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجيزنهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) النحل:٩٧.

وكذلك الأمر بالنسبة للعقاب على العمل السيئ المخالف لأمر الله ورسوله، قال الله تعالى: (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) يونس:٢٧، وهذه كلمات ننصح الأخت المسلمة بها، لأنها أخت في الله، وزوجة، وأم، وحاضنة، ومربية، ومعلمة، فالمرأة هي أساس المجتمع، وصانعة الرجال، ومربية الأجيال.

أختي المسلمة، هلا تذكرت عاقبة الشرك بالله تعالى، فهو محبط للعمل، ويورث صاحبه التهلكة، وهو أشد أنواع الظلم، قال سبحانه: (إن الشرك لظلم عظيم) لقمان:١٣، وقد أمرنا الله تعالى أن نخلص له العبادة، قال تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) البينة:٥، وحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل صور الشرك بالله سبحانه، فقد روى مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه». فإياك أختاه أن تأتي عملاً من أفعال الشرك مثل الحلف بغير الله أو النذر أو الذبح لغيره سبحانه وتعالى أو زيارة الأضرحة أو الاعتقاد بأن غير الله تعالى يمكن أن ينفع أو يضر، فكل ذلك عواقبه وخيمة دنيا وآخره.

أختي المسلمة، هلا تذكرت عاقبة ترك الصلاة المفروضة أو تأخيرها عن وقتها؟ فإن الفرق بين الإسلام والكفر هذه الصلاة، ففي الحديث الشريف ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر». وقال في حديث آخر: «... ولا تتركن صلاة مكتوبة فإنه من ترك صلاة مكتوبة فقد برئت منه ذمة الله».

وإياك يا أختي أن تؤخري الصلاة عن وقتها لسبب ما مهما بلغت أهميته، فالله تعالى يقول: (فويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون) الماعون:٤ ـ ٥. فحذار حذار من ترك الصلاة أو التهاون فيها لأنها عماد الدين، وركنه الركين.

أختي المسلمة: هلا تذكرت عاقبة التبرج والسفور، والعري والاختلاط؟ المرأة المتبرجة لا تسلم من النظرات الخائنة ممن لا خلاق لهم، ولا تسلم من الألسنة الحداد السليطة ممن قل حياؤهم، وتكون عرضة لذئاب البشر، ويومها تندم يوم لا يجدي الندم، وفي الآخرة نيران تحرق الأجساد العارية، والشعور المتدلية، فكيف يا أختاه تقبلين أن يكون لحمك رخيصاً؟ وعرضك مهاناً؟ ولا تقولين: أريد أن أفرح بشبابي وأتمتع بأيامي، وأسعد بدنياي، وأقول لك: وهل يرتبط الفرح والسرور والسعادة بمعصية الله تعالى؟

فالتمتع الذي تقصدينه إنما هو ساعة، وبعده الندم والخسران، فالسعادة الحقيقية هي في تقوى الله تعالى، والحياء منه، وطاعة أوامره.

قال الشاعر:

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى
تجرد عرياناً ولو كان كاسياً

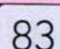
وخير لباس المرء طاعة ربه
ولا خير في من كان لله عاصياً

أختي المسلمة: هلا تذكرت عاقبة الغيبة والنميمة؟ فقد نهى الله تعالى عن هذه الآفة الذميمة، قال الله سبحانه: (ولا يغتب بعضكم بعضاً) الحجرات:١٢، فالغيبة انتهاك للأعراض، وخوض بالباطل، وهي سبب من أسباب دخول النار يوم القيامة، يقول الله تعالى عن المجرمين: (ما سلككم في سقر. قالوا لم نك من المصلين. ولم نك نطعم المسكين. وكنا نخوض مع الخائضين. وكنا نكذب بيوم الدين) المدثر: ٤٢ ـ ٤٦.

وفي الحديث الشريف يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة نمَّام». فالغيبة والنميمة لا فائدة من ورائهما سوى الإفلاس وإهدار الحسنات، ويكفي أن تتذكري حديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: «وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»؟. فاحفظي لسانك، فكلك عورات وللناس ألسن.

أختي المسلمة: هل تذكرت عاقبة إفشاء أسرار بيتك؟ إن ذلك قد يكون قاصمة الظهر لك، لأن زوجك لا يرضيه أن تشكيه لفلان ولفلانة، مهما بلغت بينكما المشكلات، فإياك من كشف أسرار بيتك، لأن السامعين تختلف أهواؤهم، ولا تدرين من يصلح ومن يفسد، فاحفظي أسرار بيتك تسلمين.

أختي المسلمة: تذكري عاقبة المعصية، وعاقبة الطاعة، فلا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة، ولا يستوي من يمشي مكباً على وجهه مع من يمشي سوياً على صراط مستقيم، اللهم اجعل عواقبنا إلى خير دائماً ■







﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد. الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد. الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً أولئك في ضلال بعيد) إبراهيم: ١-٣.

من هدي رسول الله ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات: فتقوى الله في السر والعلانية والقول بالحق في الرضا والسخط، والقصد في الغنى والفقر. وأما المهلكات فهوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه، وهي شرهن».

إعداد: أحمد عبدالجبار

كن بما في يد الله أوثق

قال الحسن رضي الله عنه: ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال وإضاعة المال ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها أرغب منك فيها لو لم تصبك.

طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس

قيل للربيع بن خيثم: نراك لا تذم أحداً فقال: لست عن نفسي راضياً فأتفرغ لذم الناس ثم أنشد:

لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها
لنفسي من نفسي عن الناس شاغل

اللبن لا يُباع؟

مر رجل من أهل الشام بامرأة من قبيلة كلب فقال: هل من لبن يُباع؟

فقالت: إنك للئيم أو حديث عهد بقوم لئام، وهل يبيع اللبن كريم؟ أو يمنعه إلا لئيم؟!

من كنوز لغتنا

بنت الجبل: الحية، بنت العين: الدمعة، بنت الفكر: الرأي، بنات الليل: الأحلام، بنات الدهر: الشدائد، بنت الأرض: الحصاة، بنت طبق: السلاحف، بنت السحاب: البرد، بنت أوحية: النعامة.

مبارك... لا مبروك

الدعاء بكثرة البركة أصل فعلها: بارك، فتقول: الشيء مبارك فيه ومبارك نجاحك، ومبارك عيدك، ومبارك زفاف ولدك، أي زادت بركة الشيء ونمت.

أما كلمة مبروك فهي اسم مفعول للفعل «برك»، ومعناه: وقع على بركه أي «صدره».

من روائع الشعر

كتب محمد بن عبدالملك الزيات لما أحسَّ بالموت وهو في حبس المتوكل برقعة إلى المتوكل قال فيها:

هي السبيل فمن يوم إلى يوم ... كأنه ما تريك العين في النوم
لا تعجلن رويداً إنها دول ... دنيا تنقل من قوم إلى قوم
إن المنايا وإن أصبحت ذا فرح ... تحوم حولك حوماً أيما حوم

فلما وصلت إلى المتوكل وقرأها أمر بإطلاقه فوجدوه ميتاً.

من أخلاق السلف

قال الأعمش يرحمه الله: أدركنا الناس وأحدهم يمكث الأيام المتوالية لا يلقى أخاه ثم إذا تلاقيا لا يزيد أحدهم الآخر على قوله كيف حالك ولو أنه سأله شطر ماله لأعطاه إياه، ثم صار الناس اليوم لو لقي أحدهم أخاه كل يوم أو كل ساعة يقول له كيف حالك؟ كيف أنت؟ ويسأله عن كل شيء حتى عن الدجاجة في البيت ولو أنه سأله درهماً لم يعطه؟!!



خير الناس وشرهم

روي أن سيدنا «عمر» رضي الله عنه قال: ألا أنبئكم بخير الناس وشر الناس؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين. قال خير الناس من طال عمره وحسن عمله ورجي خيره وأمن شره وشر الناس من طال عمره وساء عمله ولم يرج خيره ولم يؤمن شره.

قصة مثل

«على نفسها جنت براقش»

يقال: إن «براقش» هو اسم كلبة كانت لبيت من العرب في إحدى القرى الجبلية في المغرب العربي.. وكانت تحرس المنازل لهم من اللصوص وقطاع الطرق.

وكانت تقوم بعملها هذا خير قيام.. فإذا حضر أناس غرباء إلى القرية فإنها تنبح عليهم وتهاجمهم حتى يفروا من القرية.. وكان صاحب «براقش» قد علمها أن تسمع وتطيع أمره، وإذا ما أشار إليها بأن تسمح لضيوفه بالمرور سمعت وأطاعت، وإن أمرها بمطاردة اللصوص انطلقت كالصاروخ.. وبذلك عاش أهل القرية في أمان وسلام.

وفي أحد الأيام حضر إلى القرية مجموعة من الأعداء، فبدأت «براقش» بالنباح لتنذر أهل القرية الذين سارعوا بالخروج من القرية والاختباء في إحدى المغارات القريبة، حيث إن تعداد العدو كان أكثر من تعداد أهل القرية... وفعلاً خرج أهل القرية بسرعة واختبأوا في المغارة.

بحث الأعداء عنهم كثيراً ولكن دون جدوى ولم يتمكنوا من العثور عليهم فقرر الأعداء الخروج من القرية، وفعلاً بدأوا بالخروج من القرية... فرح أهل القرية بذلك واطمأنوا بأن العدو لن يتمكن من قتلهم.

عندما رأت «براقش» أن الأعداء بدأوا بالخروج من القرية بدأت بالنباح الشديد... حاول صاحبها أن يسكتها ولكن دون جدوى... عند ذلك عرف الأعداء المكان الذي كان أهل القرية فيه مختبئين... فذهبوا إليهم وقتلوهم جميعاً بما فيهم «براقش». ولذلك قالوا هذا المثل: «على نفسها جنت براقش». ويضرب هذا المثل لمن إذا جاء الأذى لإنسان بسبب عمل قام به هو من غير عمد.

المروءة الحق

كان فتى من قبيلة طيء يجلس إلى الأحنف وكان يعجبه فقال له يوماً: يا فتى هل تزين جمالك بشيء؟ قال: نعم إذا حدثت صدقت، وإذا حُدثت استمعت، وإذا عاهدت وفيت، وإذا وعدت أنجزت، وإذا ائتمنت لم أخن، فقال الأحنف: هذه المروءة حقاً.

الكلمات المتقاطعة

إعداد: محمد أبو دية

أفقياً ورأسياً

١ - رابع الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم - بين اثنين.
٢ - شديد اللمعان - السمينة - حب شديد.
٣ - للنداء - متشابهات.
٤ - ضد قريب - أمر الله بها أن توصل - لباس أهل الجنة.
٥ - نصف مجلس - سباق دولي للسيارات.
٦ - متشابهان - الحاجز أو الجدار - واحد الأنياب.
٧ - للإضراب - ضريبة - متشابهات.
٨ - نعم «بالإنجليزية» - الذي لا يعرف القراءة والكتابة - ثلثي قوة.
٩ - المطر «مبعثرة» - زهر طيب أبيض - ابتلع اللقمة بسرعة - ثلثي كوج.
١٠ - متشابهان - رجل «بالإنجليزية» - الوداد - مدينة سويسرية.
١١ - للنفي على التأبيد - للنفي - من دول البلقان في شرق أوروبا.
١٢ - واسع جداً - بحر - نصف قطر «مصطلح هندسي» - نصف نمام.
١٣ - يتطاير من النار - أب باللهجة اللبنانية الدارجة - ضد قاسي.
١٤ - دولة عربية عريقة - من دول الاتحاد السوفييتي السابق مجاورة لروسيا.
١٥ - عبودية - منشغلون باللهو - للاستفهام عن العاقل.

حل العدد السابق ٤٧٢

إسلامية

كيف تتصفح الإنترنت بلوحة المفاتيح؟

عرض صفحة المساعدة الخاصة بالتطبيق	F1
التغيير من عرض الصفحة بملء الشاشة إلى الوضع العادي	F11
التنقل بين روابط الصفحة	TAB
تنشيط الرابط المختار	ENTER
الرجوع إلى صفحة البداية	ALT+HOME
ذهاب إلى أعلى الصفحة	PAGE DOWN أو UP ARROW
الذهاب إلى بداية الصفحة	HOME
الذهاب إلى نهاية الصفحة	END
البحث عن كلمة ضمن الصفحة	CTRL+F
تحديث محتويات الموقع	CTRL+R أو F5
وقف تنزيل الصفحة	ESC
الذهاب إلى موقع جديد	CRTL+L أو CTRL+O
فتح صفحة جديدة	CTRL+N
إغلاق الصفحة النشطة	CTRL+W
حفظ الصفحة أو الوثيقة	CTRL+S
طباعة الصفحة	CTRL+P
تنشيط الدليل المختار	ENTER
فتح نافذة البحث	CTRL+E
فتح عمود المواقع المفضلة	CTRL+I
فتح قائمة المواقع السابق تصفحها	CTRL+H

مسلم اخترع «هت ميل» وليس «بيل غيتس»

تكشفت وقائع مفاجأة مدوية في الأوساط «الإنترنت»، فبعد أن ظل الاعتقاد سائداً لسنوات طويلة أن الأميركي «بيل غيتس»، المصنف كأغنى رجل في العالم، هو المخترع العبقري الفذ لـ «الهت ميل»، كشفت دوائر إعلامية أميركية سراً خطيراً بعدما أكدت وجود مخترع هندي مسلم وراء ظهور «الهوت ميل»...

والمعروف أن Hotmail «هوت ميل» هو أكثر ما يستخدم من أنواع البريد حول العالم، وهو تابع لشركة «مايكروسوفت» وهو ضمن باقة «ويندوز» التشغيلية، وخلف هذا البريد قصة نجاح شخصية يذكرها موقع مجلة «ستار تايمز» على الإنترنت وخصوصاً أن بطلها مسلم.

فصاحب هذا الاختراع هو المسلم الهندي: «صابر باتيا»، ففي العام ١٩٨٨م جاء «صابر» إلى أميركا للدراسة في جامعة «ستانفورد» وتخرج بامتياز مما أهله للعمل لدى إحدى شركات الإنترنت مبرمجاً وهناك تعرف إلى شاب تخرج في الجامعة نفسها يدعى «جاك سميث».

وقد تناقشا كثيراً في تأسيس شركتهما للحاق بركب الإنترنت، وكانت مناقشتهما تلك تتم ضمن الدائرة الإلكترونية المغلقة الخاصة بالشركة التي يعملان بها، وحين اكتشفهما رئيسهما المباشر حذرهما من استعمال خدمة الشركة في المناقشات الخاصة، عندها فكر «صابر» بابتكار برنامج يوفر لكل إنسان بريده الخاص، وهكذا عمل سراً على اختراع البريد وأخرجه للجماهير العام ١٩٩٦م، وبسرعة انتشر البرنامج بين مستخدمي الإنترنت، لأنه وفر لهم أربع ميزات لا يمكن منافستها: مجاني - شخصي - سري - ومن الممكن استعماله من أي مكان في العالم.

وحين تجاوز عدد المشتركين في أول عام عشرة ملايين بدأ يثير غيرة «بيل غيتس» رئيس «ميكروسوفت»، فقررت الشركة شراء البريد وضمه إلى بيئة «الويندوز» التشغيلية، وفي خريف العام ١٩٩٧م عرضت على «صابر» مبلغ ٥٠ مليون دولار، غير أن «صابر» كان يعرف أهمية البرنامج والخدمة التي يقدمها، فطلب ٥٠٠ مليون دولار، وبعد مفاوضات مرهقة استمرت حتى العام ١٩٩٨م، وافق «صابر» على بيع البرنامج بـ٤٠٠ مليون دولار شرط أن يتم تعيينه كخبير في شركة «مايكروسوفت». وقد أصبح صابر من الثراء والشهرة، بحيث استضافه رئيس أميركا السابق «بيل كلينتون» والرئيس «جاك شيراك» ورئيس الوزراء الهندي «بيهاري فاجبايي».

ومما يزيد الإعجاب بشخصية «صابر» أنه ما أن استلم ثروته حتى بنى الكثير من المعاهد الدينية والتعليمية الإسلامية في بلاده، وساعد كثيراً من الطلاب المحرومين على إكمال تعليمهم «حتى إنه يُقال إن ثروته انخفضت بسرعة إلى ١٠٠ مليون دولار فقط».

الوعي نوت كوم

إعداد: وائل عبدالرحمن

مواقع مفيدة

الإسلام
www.al-islam.com/arb

قامت «حرف» لتقنية المعلومات بتطوير هذا الموقع، وتصميمه باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والتركية والألمانية والإندونسية، ولغة الملايو، ويحتوي على الكثير من الروابط المهمة مثل: «أركان الإسلام، والقرآن، والحديث، والفقه، والفتاوى الاقتصادية، والحج والعمرة، كما يتميز هذا الموقع بوجود صفحة المتحف الإسلامي، التي تضم قاعات متخصصة مثل قاعة الحلي والمجوهرات وقاعة الحرف وقاعة الزجاج وقاعة الأسلحة وقاعة المعادن وقاعة الأخشاب.



إملاء الفراغات
http://www.kn.pacbell.com/wired/fil/

موقع ملء الفراغات بالكلمات المناسبة من أجمل المواقع التعليمية على شبكة الإنترنت يقوم فيه الزائر بالتعامل مع النصوص كما لو أنه يلعب لعبة علمية على الكومبيوتر، يمكن اختيار الموضوع والبدء بملء الفراغات للحصول على لائحة لأفضل المواقع التي يجب زيارتها والتي تهتم بالموضوع المختار الذي لابد من زيارته.





عالم المسلم الصغير:
www.gesah.net/ma

وهو موقع مخصص للأطفال، ويحتوي على صفحات تخص الطفل مثل كتب ومسابقات وبطاقات وقصص وأناشيد وقصص مسموعة ورسومات وآداب وأحكام وبرامج وألعاب للمسلم الصغير ويضم ساحات عدة مثل ساحة المسلم الصغير، وساحة قصص المسلم الصغير، وساحة الفتاة المسلمة، وساحة الحاسب الآلي في الإنترنت وساحة أولياء الأمور، وساحة الأصدقاء.

كتب
http://safaribooksonline.com

مكتبة متخصصة تتوافر فيها كتب لمستخدم الإنترنت وإمكانية البحث فيها عما يرغب والاستعانة بها وبالإمكان استخدام الموقع مدة شهر مجاناً.

كوكب المريخ
http:www.exploremasrnow.org

موقع جديد باللغة العربية، وهو موقع تعليمي تفاعلي يسعى إلى تقديم الكثير من المعلومات والصور الحية عن كوكب المريخ، في محاولة لاكتشافه والتعرف إليه، ومدى إمكانية وجود حياة عليه، ويقدم الموقع صورة تخيلية عن الحياة على سطح هذا الكوكب، ربما يفكر بعضهم في العيش على الكوكب.



علوم إنسانية
www.bafree.net/hisn

يقدم الموقع قدراً جيداً من العلوم الإنسانية التي باتت مهمة جداً في دعم الجانب النفسي والروحي



موسوعة
www.intaaj.net

موقع للموسوعة العربية العالمية فيها موضوعات وشؤون في مختلف ميادين المعرفة.

إعداد : معن خليل

بيت التمويل الكويتي حقق ١٤٨ مليون دينار أرباحاً عن العام ٢٠٠٤

أعلن رئيس مجلس الإدارة والعضو المنتدب في بيت التمويل الكويتي «بدر عبدالمحسن المخيزيم» أن «بيتك» حقق أرباحاً للعام ٢٠٠٤م بلغت ١٤٨ مليون دينار بزيادة قدرها ٢٨ مليون دينار بنسبة زيادة ٢٣،٥٪، منها أرباح للمودعين المستثمرين قدرها ٧١،٥ مليون دينار توزع كما يلي: ٤،٨٪ للودائع الاستثمارية المطلقة المستمرة و٣،٧٣٣٪ وديعة السدرة، و٣،٢٪ لحسابات التوفير الاستثمارية.

وقد بلغ صافي أرباح المساهمين ٧٤،٤ مليون دينار ليرتفع معدل العائد على رأس المال إلى ٩٦٪ أي ما يعادل ٩٦ فلساً للسهم مقاربة بـ«٨١» فلساً العام الماضي.

بيت المشورة نفذ لـ«المنار» برنامج المعاملات المالية الإسلامية

أعلن «بيت المشورة للتدريب» أنه أنجز أخيراً برنامجه التدريبي «أساسيات المعاملات المالية الإسلامية» في الكويت، وقال الدكتور «عبدالرزاق الشايجي» رئيس «بيت المشورة»: إن هذا البرنامج من البرامج الضرورية لجميع العاملين على اختلاف مستوياتهم، ووفقاً لهذا البرنامج جرى إعداد المشاركين من موظفي «المنار» لتفهم الربا ومواطنه وأحكامه والعقود الشرعية المختلفة وأركانها وشروطها وأحكامها الفقهية مع دعم ذلك بشكل أساسي بالأمثلة الواقعية المعاصرة، والقوائم النقاشية، والحالات العملية، وبأساليب مختلفة من العرض والحوار والنقاش الهادف وورش العمل المختلفة، بما يعزز قدرة المشاركين على تنفيذ أعمالهم بمستوى أكثر التزاماً بالضوابط الشرعية، ويؤدي إلى استحداث نمط من التسويق والبيع أكثر وعياً بالمنتجات والصيغ الإسلامية المنفذة في الشركة، وهذا ما ظهر من خلال ردود أفعال المشاركين فيه التي تم قياسها بموجب استبيانات علمية أعدها «بيت المشورة» بصفته منفذاً لهذا البرنامج.

وذكر أنه نفذ البرنامج الدكتور «عبدالباري مشعل» الخبير الاستشاري في التدريب الشرعي في «بيت المشورة»، و«كان تنفيذ البرنامج متميزاً كما أفادت ردود فعل المشاركين واستمارات التقويم التي ملأها المشاركون في البرنامج».

الإسلامي للتنمية يتابع المشاريع الممولة من صندوقي الأقصى

عقد البنك الإسلامي للتنمية اجتماعات مع مديري المشاريع الممولة من صندوق الأقصى بإشراف د.«غسان الخطيب» وزير التخطيط بالإنابة ومحافظ البنك عن فلسطين «جرار نعمان القدوة» و«المنصور بن فتى» نائب مدير العمليات في البنك الإسلامي للتنمية، وشارك في الاجتماعات نحو ٢٥ من مديري المشاريع في قطاعات الصحة والتعليم والإسكان والبنية التحتية والزراعة وقطاع الصناعات والتجارة في فلسطين.

وناقشت هذه الاجتماعات أهم التطورات المتعلقة بسير المشاريع على الأرض وتتضمن عروضاً مفصلة لحافظة المشروعات لبحث أهم القضايا المتعلقة بالتنفيذ لإتمام البرامج المقرة، وتم الاتفاق على سبيل المضي قدماً في التعاقد والصرف والإنجاز رغم ظروف الحصار والإغلاقات.

وفي هذا الإطار قدم د.«غسان الخطيب» عرضاً عن الخطة التنموية متوسطة المدى وآفاق إسهام آلية الدعم العربي المالي للشعب الفلسطيني في دعم المشاريع المندرجة في هذه الخطة، كما يبحث الاجتماع الحاجات التمويلية المستقبلية للقطاعات المستفيدة من الدعم المالي العربي.

الوعي الاقتصادي

التجارة البينية الإسلامية تمثل ١٢٪ من تجارتها الخارجية

أشار التقرير السنوي للعام ٢٠٠٤م الصادر عن المركز الإسلامي لتنمية التجارة إلى أن الصادرات البينية لدول العالم الإسلامي بلغت ٥٣,٣٧ مليار دولار أمريكي.

المصارف الإسلامية مرشحة للاستحواذ على ٥٠٪ من الادخارات الإسلامية

في الوقت الذي بات فيه من المؤكد نشوء ونجاح وتطور سوق مالي إسلامي ضخم يعمل على جذب رؤوس الأموال العربية والإسلامية الموجودة في العالم وأن يكون السوق المالي الإسلامي مركزاً مالياً مهماً له صفة الاستدامة وعدم التعرض للهزات والانهيارات التي تعرضت لها الأسواق العالمية ولديه القدرة على جذب رؤوس أموال من القطاعات غير المستهدفة من المؤسسات المالية والمصرفية التقليدية، أكد تصنيف صادر عن وكالة «انفستورز سيرفس» العالمية للتصنيف الائتماني أن المصارف الإسلامية باتت في وضع يؤهلها لمواجهة التحديات في القطاع المصرفي.

إلا أن زيادة انتشارها في العالم الإسلامي تحتاج إلى استراتيجية محكمة للعمل في ظروف محلية وعالمية، كما أكدت تقارير صادرة عن البنك الإسلامي للتنمية في جدة على أن المصارف الإسلامية مرشحة للاستحواذ على ما نسبته ٤٠ - ٥٠٪ من الادخارات الإسلامية العالمية في السنوات العشر المقبلة، في حين تشير بيانات المجلس العام للبنوك والمؤسسات المالية الإسلامية إلى أن عدد المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية بلغ ٢٦٧ خلال العام ٢٠٠١ بحجم أصول بلغ ٢٦٢ مليار دولار فقط، وبمعدل نمو وصل إلى ٢٣٪.

ولعل أبرز مثال على هذا ما كشف عنه أول بنك إسلامي في بريطانيا عن وجود خطة لدى البنك لتوسيع نشاطه إلى بقية دول أوروبا في غضون عامين أو ثلاثة أعوام من عمله في المملكة المتحدة، حيث يتجه إلى فتح ١٥ فرعاً في المدن والمناطق البريطانية في غضون ١٨ شهراً المقبلة، حيث تفيد الدراسات والأبحاث التي أجريت أخيراً إلى أن المسلمين في بريطانيا وأوروبا يعانون الحرمان في الحصول على الخدمات المصرفية والمالية التي تتفق والشريعة الإسلامية.

هذا، ويسعى البنك إلى استقطاب نحو ٧٥٪ من المسلمين في بريطانيا في الوقت الذي لم تحصر فيه خدمات البنك بمجموعة عرقية أو دينية معينة، على الرغم من أن أكثر من ٧٥٪ من المسلمين في بريطانيا ملتزمون بالقواعد المالية الإسلامية، وراغبون في الحصول على الخدمات المصرفية وفق هذه القواعد.

هذا، وتدعو الدراسات الحديثة حول قطاع المال الإسلامي إلى ابتكار أساليب حديثة للتمويل تواكب التطورات المصرفية من خلال استحداث أدوات مالية جديدة تتصف بسرعة التداول والشفافية والالتزام بالمعايير الدولية التي تتماشى مع أحكام الشريعة الإسلامية، بالإضافة إلى أهمية إجراء تقويم دوري لوسائل التمويل الإسلامية لحداثة تجربة المصارف الإسلامية وتشكيل هيئة فتوى شرعية عالمية تكون توجيهاتها ملزمة شرعياً لجميع المصارف لملاءمة العمل المصرفي الإسلامي مع حاجات المرحلة المقبلة، وتطرح هذه الدراسات التحديات التي تواجه الصيرفة الإسلامية والمتمثلة في عدم وضوح أو حسم موقف الهيئات الدينية الرسمية من قضية الفائدة والربا في بعض الدول وإلزام المصارف بالاحتفاظ بنسبة من ودائعها لدى المصارف المركزية، وعدم التزام القوانين المنظمة للنشاط المصرفي بالشريعة الإسلامية، بالإضافة إلى التحديات المتعلقة بأخطار النوافذ الاستثمارية في البنوك التقليدية التي تمارس أعمال الصيرفة الإسلامية، وقلة الكوادر البشرية المؤهلة وانخفاض درجة الشفافية في عمليات المصارف الإسلامية ونتائجها.

حصاد الأخبار

- وصف محافظ بنك الكويت المركزي الشيخ سالم عبدالعزيز الصباح الملتقى الأول للفرص الاستثمارية الإسلامية الذي عقد خلال الفترة من ٧ - ٩ فبراير بأنه مهم ويسهم في إثراء الحوار وتبادل الآراء بشأن سبل تطوير الأعمال المصرفية والمالية والاستثمارية.
- يرعى بيت التمويل الكويتي مؤتمر «الضرائب والزكاة... غد الكويت» الذي تنظمه وحدة الاقتصاد الإسلامي في مركز التميز في الإدارة في كلية العلوم الإدارية في شهر مارس ٢٠٠٥م، بالتعاون مع وزارة المالية وبيت الزكاة.
- قالت المؤسسة العربية لصحافة الاستثمار: إن تقديرات الأموال العربية المهاجرة تتباين بشكل واضح وتتراوح بين ٨٠٠ مليار دولار إلى نحو ٣ تريليونات دولار.

نمو أرباح بنك أبوظبي الإسلامي ٢٢٪

أعلن بنك أبوظبي الإسلامي أن صافي أرباحه في العام ٢٠٠٤م زاد ٢٢٪ ليصل إلى ١٢٢,٩٩ مليون درهم (٣٣,٥ مليون دولار) ارتفاعاً من ١٠٠,٦ مليون درهم في العام ٢٠٠٣م. وقال البيان: إن مجلس الإدارة اقترح توزيع أرباح نقدية على المساهمين بنسبة ٧٪. وزادت أصول البنك ٣٨٪ إلى ١٢,٧ مليار درهم في نهاية العام ٢٠٠٤م.

وارتفعت ودائع العملاء ٥٦٪ أي إلى ٩,٦ مليارات درهم خلال الفترة نفسها.

وزادت إيرادات التشغيل بنسبة ٨٠٪ إلى ٤٩٠ مليون درهم، ولكن قابل هذا زيادة بنسبة ٧٨٪ في نفقات التشغيل لتصل إلى ٢٢٤ مليون درهم. وانخفضت أسهم البنك ٤,٢٪ إلى ٣٩ درهماً للسهم في معاملات في بورصة أبوظبي للأوراق المالية مقارنة مع أعلى مستوى في ١٢ شهراً عند ٤٥ درهماً الذي بلغه ثمن السهم في الثامن من يناير.

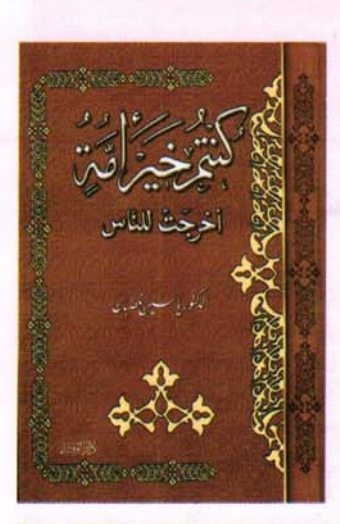
الساحة الأدبية

موازنة الأسرة

أصدر بيت الزكاة الكويتي كتيباً عنوانه: «ميزانية الأسرة»، والكتيب جاء في ٦٤ صفحة من القطع الصغير يناقش الإيرادات والمصروفات الشرائية للأسرة ويقدم الأفكار التي تساعد في المحافظة على موازنة الأسرة وطريقة تحكمها بالمصروفات والإيرادات وطريقة توفيرها للمال.

كنتم خير أمة أخرجت للناس

عن دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع في المنصورة «جمهورية مصر العربية» وفي نحو ٢٩٥ صفحة من القطع المتوسط، صدر كتاب «كنتم خير أمة أخرجت للناس» للدكتور «ياسين غضبان»، والكتاب يُعد دراسة استكمال لدراسة سابقة للمؤلف طبعت أكثر من مرة تحت عنوان «حاضر العالم الإسلامي» ويحاول المؤلف من خلال هذه الدراسة الجديدة الوقوف على معطيات أمة الإسلام وتحري صفاتها التي أرادها الله تعالى لها وتركها المسلمون ليبحثوا عن ذاتهم عند أيديولوجيات غيرهم، وتبين الدراسة سر طاقات أمة الإسلام وطرق تطورها وتقدمها وما الدوافع والمجالات التي تخلف بها المسلمون عن غيرهم، وما الدوافع والأسباب التي يمكن أن تنهض بالمسلمين في وقت ساد فيه أعداؤهم في الدنيا وقادوها.



غربيون يفوزون بجائزة الملك فيصل العالمية

استأثر ستة علماء غربيين بالفوز بجائزة «الملك فيصل العالمية» للعام ٢٠٠٥ في ثلاثة فروع هي الدراسات الإسلامية والطب والعلوم، فيما حجبت جائزة الفرع الرابع «اللغة العربية والأدب».

وأعلن رئيس هيئة جائزة «الملك فيصل العالمية» الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز في مؤتمر صحافي فوز الدكتورة البريطانية «كارول هيلين براند» بالجائزة في فرع الدراسات الإسلامية حيث كانت قد قدمت رسالة تحت عنوان «دفاع المسلمين عن ديارهم في القرنين الخامس والسادس الهجريين»، وهو الفرع الذي درج على الفوز بجائزته علماء من الدول العربية والإسلامية.

وتناصف البريطانيان الدكتور «ريتشارد دول» والدكتور «ريتشارد بيتور» الجائزة في فرع الطب حول موضوع «أخطار التبغ على صحة الإنسان»، فيما تقاسم أميركيان هما «فيدركو كاباسو» و«فرانك ويلتشيك» والنمساوي «أنطون تسايلنغر» الجائزة في فرع العلوم «الفيزياء» وهما الفرعان اللذان عادة ما يفوز بهما علماء غربيون منذ إطلاق الجائزة العام ١٩٧٩م.

وكانت هيئة الجائزة قد أعلنت تناصف رئيس البنك الإسلامي للتنمية ومؤسسة الحريري الخيرية للجائزة في الفرع الخامس «خدمة الإسلام»، وأكد الأمير خالد الفيصل استمرار الجائزة لدفع الجهود العلمية وتشجيع العلماء للمزيد من العطاء العلمي والفكري وتقديم مشروعات تخدم الإنسانية جمعاء بيد أنه لم يستبعد فتحها مستقبلاً لتشمل موضوع الإرهاب.

وأعرب عن استيائه لغياب العلماء والمفكرين العرب من الجائزة لهذا العام، مؤكداً في هذا الصدد أن اختيار الفائزين لا يخضع لأي اعتبارات سياسية أو دينية أو جغرافية، بل تلتزم هيئة الجائزة بكامل الشفافية ومعايير العدالة.

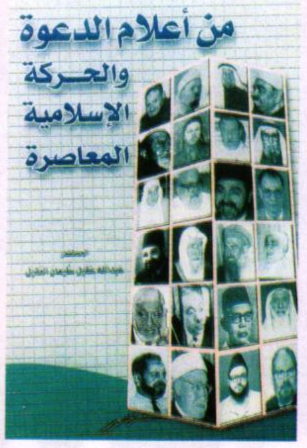
وأعلنت لجنة الجائزة موضوعاتها للعام المقبل وتشمل في الدراسات الإسلامية «الدراسات التي تناولت أصول الفقه أو جانباً منه تأليفاً أو تحليلاً» واللغة العربية والأدب «اللغة العربية والدراسات اللغوية الحديثة» وفي مجال الطب «بطانة الأوعية الدموية» والعلوم «مادة الرياضيات».

وتقدر القيمة المالية للجائزة في فروعها الخمسة ٣,٧٥٠ مليون ريال «مليون دولار» بواقع ٢٠٠ ألف دولار للفائز أو الفائزين في كل فرع، إضافة إلى ميدالية ذهبية وشهادة براءة الجائزة.

وتمنح الجائزة مؤسسة «الملك فيصل الخيرية» التي تم تأسيسها على يد أبناء الملك فيصل بن عبدالعزيز ثالث ملوك المملكة العربية السعودية بعد عام واحد من وفاته، أي في العام ١٩٧٦م، وبدأت في منحها للمرة الأولى اعتباراً من العام ١٩٧٩م للشخصيات التي أسهمت في خدمة الإسلام ورجال الأدب العربي والبارزين في مجالات الطب والعلوم.



من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة

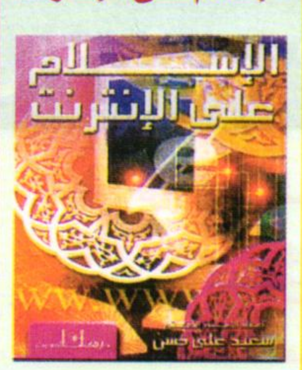
اسم المؤلف: عبدالله عقيل سليمان

دار النشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية

تنقل المؤلف في بلاد عدة للدراسة والعمل وتولى الكثير من الوظائف، آخرها منصب الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي، والأمين العام للمجلس الأعلى للمساجد، وقد أتاح له كل ذلك التعرف إلى كوكبة من العلماء والدعاة والزعماء وقادة حركات التحرير من الاستعمار، واقترب من شخصيات الكتاب ولمس آثارها عن قرب، وشاركها في محاضرات، وندوات، ولقاءات، ورحلات، فكانت كتابته عنهم كتابة الخبير، وفي هذا الكتاب يعرض المؤلف لسيرة أكثر من سبعين علماً من أعلام الأمة الإسلامية شرفت بهم الأوطان التي عاشوا فيها فامتدت في عشرين دولة عربية وإسلامية وأجنبية وسعد بهم القرن الـ«١٤» الهجري.

اصدارات

الإسلام على الإنترنت



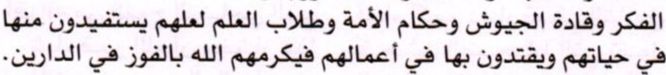
كتاب من تأليف د.«سعد علي حسن» يشير إلى المواقع الإلكترونية لعدد من الأئمة والشيوخ والدعاة ومواقع الحج والعمرة والمساجد الإسلامية والإعجاز العلمي في القرآن والمجلات الإسلامية، كما يشير الكتاب إلى مواقع تتعلق بالمرأة المسلمة والمسلم الصغير والفتاوى الشرعية وقصص الأنبياء ومواقع إسلامية باللغة الأجنبية، وقد عمد المؤلف إلى تصنيف موضوعات المواقع في محاولة لمساعدة الباحث على الوصول السريع إلى ما يحتاجه من مواد.

أبوبكر الصديق شخصيته وعصره

اسم المؤلف: د.علي محمد الصلابي

دار النشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية

تعد حياة أبي بكر الصديق رضي الله عنه صفحة مشرقة من التاريخ الإسلامي، الذي حوى من صفحات الشرف والمجد والإخلاص والدعوة ما فاق أي تاريخ مضى، لذلك قام المؤلف من خلال ٤٤٠ صفحة، يتتبع أخباره وحياته وعصره، واستخرجها من بطون الكتب وقام بترتيبها وتنسيقها وتوثيقها وتحليلها واستخلاص الدروس والعبر منها لكي تصبح في متناول الدعاة والخطباء والعلماء والساسة ورجال الفكر وقادة الجيوش وحكام الأمة وطلاب العلم لعلهم يستفيدون منها في حياتهم ويقتدون بها في أعمالهم فيكرمهم الله بالفوز في الدارين.



عثمان بن عفان شخصيته وعصره

اسم المؤلف: د.علي محمد الصلابي

دار النشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية

من خلال ٤٨٠ صفحة تناول المؤلف اسم ذي النورين ونسبه وكنيته وألقابه وأسرته ومكانته في الجاهلية وإسلامه وزواجه برُقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، وابتلاءه وهجرته إلى الحبشة، وعن حياته مع القرآن الكريم وملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم وعن مواقفه في الغزوات وحياته الاجتماعية في المدينة، وإسهاماته الاقتصادية في بناء الدولة الإسلامية، كما تتبع الكتاب أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في ذي النورين فيما ورد في فضائله مع غيره، وكذلك مكانته في عهد أبي بكر الصديق والفاروق عمر وقصة استخلافه.

أخبار ثقافية

- وجه وكيل وزارة التربية والتعليم للتطوير التربوي السعودي الدكتور محمد بن سعد العصيمي بسحب كتاب «تفسير وبيان كلمات القرآن الكريم»، من تأليف الشيخ حسنين محمد مخلوف من المكتبات المدرسية ومكتبات إدارات التربية والتعليم ومدارس البنين والبنات.
- صدر الجزء الثاني من كتاب «من الحداثة إلى العولمة» العدد ٣١٠ من سلسلة عالم المعرفة من تأليف «ج.تيمونز روبيرتس» و«ايمي هايت»، وترجمة «سمير الشيشكلي»، ومراجعة «محمود ماجد عمر»، والكتاب يستعرض معالجات متنوعة الاتجاهات عبر مجموعة من المقتطفات الأصيلة من الفكرين الكلاسيكي والمعاصر، واختيرت بعناية لتشكل مرجعاً في موضوعات التغيير الاجتماعي والتمية في دول العالم الثالث.
- أفاد تقرير داخلي للمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة «أليكسو» في تونس أن عدد الأميين في العالم العربي سيبلغ هذا العام نحو سبعين مليون شخص بين الفئات العمرية التي تزيد على خمسة عشر عاماً، أي بنسبة ٣٥,٦٪ وسطياً.



«تسونامي»

الآسيويون دفعوا ثمن إنقاذ الكون من الانفجار!!

اتجاهات

«كريس أريند» سائح ألماني نجا بأعجوبة من الموت وهو يصطاف على شواطئ جزيرة «فوكيت» في «تايلند» إحدى أسوأ المناطق التي ضربتها أمواج الزلزال الكارثي المتوحشة، والذي ضرب سبع دول في جنوب شرق آسيا، ووصلت آثاره إلى اليمن وسلطنة عُمان وشرق أفريقيا ولكن شاء القدر ألا تشهد هذه الدول مأساته.

هذا الرجل السعيد الحظ هو من مدينة «هامبورغ» فقد معظم أقرانه من الفوج السياحي الذي شاء قدر الله أن يختار هذا المنتجع من دون العالم أجمع، وعندما سألناه عما حدث وهو مازال في مرحلة الصدمة قال إن الأمر لا يكاد يصدق، إنه أشبه بفيلم «يوم القيامة»، أو فيلم الكوارث الشهير «ما بعد الغد» أو أي فيلم خيالي عن نهاية الكون لم نكن أبداً نتخيل إمكان حدوثه رغم استمتاعنا به، وها هو قد حدث. والحقيقة أن هذا الزلزال الأعنف والأكثر تدميراً في تاريخ العالم، فقد بلغت قوته ٩ درجات على مقياس ريختر، ووصفه الخبراء بأنه نادر الحدوث، بل ربما لا يتكرر مرة ثانية، لأن ما حدث فعلاً يفوق الخيال وعندما تزور الدول المنكوبة تكتشف أنك أمام أكبر دمار تم في التاريخ، فجثث الضحايا التي تقول التقارير: إنها تفوق المئتي ألف هي في الحقيقة أكثر كثيراً من أن تحصى، ولا سيما أن مياه المد القاتل لم تنحسر بعد، أما عدد المصابين فربما يصل إلى المليون، والمشردين إلى العشرة ملايين والممتلكات المدمرة تقدر بعشرات المليارات.

الغريب أنه رغم كل ذلك إلا أنه كما يقول الخبراء هو ثمن نجاة باقي سكان العالم من انفجار كوني لا طاقة لأحد به لأنه ما لم تنفس الأرض عن نفسها في صورة هذا الزلزال لانفجر الكون في أماكن أخرى وتصدع كوكبنا.

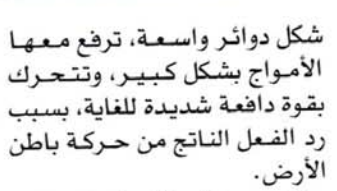
وإذا ما وضعنا هذه الحقيقة العلمية في الاعتبار، فإن ما يتعين على العالم أن يقدمه الآن من مساعدات يتجاوز كلمة «الإنسانية» أو «التطوعية» ليكون هو أقل ما يجب لأولئك الذين صدوا عنه الأسى وسقطوا فداء لكارثة كان يمكن أن تأتي عليه.

الزلزال الأعنف والأكثر تدميراً في تاريخ العالم بلغت قوته ٩ درجات على مقياس ريختر

وقد أثار الزلزال موجات متوحشة تسمى «تسونامي» تحولت إلى جدران مياه بلغ ارتفاعها عشرة أمتار مع اجتياحها السواحل، و«تسونامي» كلمة يابانية تعني «أمواج الموانئ»، وترمز إلى تحرك القشرة الأرضية في قاع البحار والمحيطات، حيث تنتقل الهزة الأرضية إلى الماء فيتحرك في

شكل دوائر واسعة، ترفع معها الأمواج بشكل كبير، وتتحرك بقوة دافعة شديدة للغاية، بسبب رد الفعل الناتج من حركة باطن الأرض.

تضرب تلك الأمواج العاتية الشواطئ بشكل قوي، نتيجة سرعتها الكبيرة وارتفاعها الشاهق.

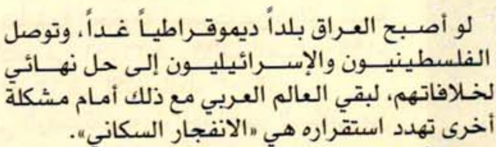


وأرسلت وكالات الإغاثة موظفين ومعدات وأموالاً إلى المنطقة محذرة من أن تعفن الجثث في الماء بدأ بالفعل يهدد إمدادات المياه التي يحصل عليها الناجون، وتحدث رجال الإنقاذ أيضاً عن جثث مازالت عالقة في الأشجار بعد أن دفعت بها الأمواج إلى الشاطئ.

وقال «بوري كارلسون» في منتجع «فوكيت التايلندي» «لا أستطيع أن أصدق ما حدث أمام عيني، عندما كنت واقفاً هنا جرفت المياه فعلاً سيارة إلى البهو وانقلبت لأن الموجة كانت قوية ■

إعداد : عبدالمنعم أحمد

القنبلة السكانية ستنفجر في العالم العربي



لو أصبح العراق بلداً ديموقراطياً غداً، وتوصل الفلسطينيون والإسرائيليون إلى حل نهائي لخلافاتهم، لبقي العالم العربي مع ذلك أمام مشكلة أخرى تهدد استقراره هي «الانفجار السكاني».

ذلك أن تزايد شريحة الشباب في المجتمع العربي، بدءاً من اليمن وحتى سورية، سيعني توافر وظائف أقل وربما أيضاً نفط أقل لبيعه في الخارج.

وبما أن هذه البلدان تقدم اليوم ربع إمدادات النفط في العالم. وربما تزداد هذه الكمية إلى الثلث خلال عشر سنوات سيكون لزيادة تعداد السكان فيها تأثير على الولايات المتحدة والدول الأخرى المستوردة للنفط في العالم. ففي المملكة العربية السعودية - مثلاً - هناك نحو ٦٠٪ من تعداد سكانها البالغ ٢٥,٦ مليون نسمة تحت سن الثامنة عشرة، و٤٠٪ تحت سن الـ«١٣» سنة.

ويمكن أن نقدم نسباً مماثلة لهذه في اليمن، وسورية، والعراق، وهي بلدان لا تمتلك سجلاً طيباً في مجال النمو الاقتصادي وتوافر الوظائف.

تقول «جوديث كيبر»، خبيرة الشرق الأوسط في مجلس العلاقات الخارجية في واشنطن: إن الوضع في مثل هذه البلدان بيئة خصبة لظهور أجيال من الشباب يغلب عليهم الشعور باليأس والإحباط، مما ينذر بوقوع اضطرابات سياسية في المستقبل.

وهذا أمر صحيح، فالدول التي يشكل فيها الشباب ما نسبته أكثر من ٤٠٪ من تعداد السكان تعرضت للاضطرابات المدنية في التسعينيات أكثر من تلك ذات البيئة السكانية المتوازنة، طبقاً لدراسة أعدها مركز السكان الدولي في واشنطن، وتناولت الصراعات التي دارت في ١٨٠ بلداً بدءاً من العام ١٩٧٠م وحتى العام ٢٠٠٠م.

ويبدو أن اليمن هي التي تثير أكثر التساؤلات، فلو أخذنا بعين الاعتبار معدل الإنجاب لدى المرأة اليمنية الذي يصل إلى سبعة أطفال للمرأة الواحدة، لتبين لنا أن اليمن التي يبلغ تعداد سكانها الآن ٢١,٤ مليون نسمة يمكن أن تتجاوز روسيا سكانياً في العام ٢٠٥٠م، لتصبح واحدة من أكثر بلدان العالم سكاناً، في حين تشهد روسيا تراجعاً في معدلات السكان لأسباب عدة، منها الإدمان على الكحول.

حول هذا يقول «ريتشارد سينكونا» مؤلف الدراسة المشار إليها سابقاً: لا يمكننا أن نعرف في ضوء هذه الزيادة السكانية الكبيرة في اليمن كيف سيستطيع الناس العيش هناك.

بيد أن الوضع في المملكة العربية السعودية أقل خطورة مقارنة مع اليمن، فمعدل الإنجاب لدى المرأة السعودية هو ٤ - ٥ أطفال، لكن بالرغم من هذا يمكن أن يتضاعف تعداد السكان في المملكة خلال السنوات الـ«٢٥» المقبلة، وحتى الآن ساعد نفط المملكة في التغلب على الكثير من العقبات، فقد ارتفع دخل البلاد من صادرات النفط وغيره من المنتجات الأخرى المرتبطة به من ٥٠ بليون دولار في العام ١٩٩٩م، إلى ١٢٠ بليوناً هذه السنة، طبقاً لتقديرات «فريد محمدي»، المتخصص في علم الاقتصاد الذي يعمل في مؤسسة «بي. إف. سي» لاستشارات الطاقة في واشنطن والذي يقول: لقد ساعد هذا الدخل الحكومة في التمتع باستقرار مالي وبدأت تعيد دفع الديون الداخلية.

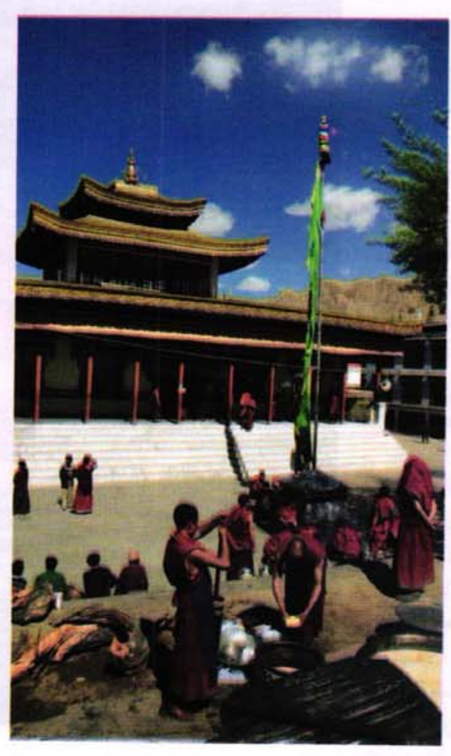
لكن مع تزايد تعداد السكان، سيزداد أيضاً الطلب الداخلي، ففي غضون عقود قليلة سيكون تعداد سكان دول الأوبيك كبيراً جداً بحيث ستجد نفسها تستهلك الكثير، وربما كل الطاقة التي تصدرها الآن. وهنا تبرز الحاجة إلى بناء أنظمة اقتصادية سليمة تساعد هذه الدول في مواجهة مشكلاتها الناجمة عما يوصف عادة بـ«الانفجار السكاني».

كريستيشن سانش مونيتور



- بلغ عدد شهداء انتفاضة الأقصى منذ بدئها في ٢٠٠٠/٩/٢٩م، ٣٩٥٦ شهيداً، إضافة إلى ٧٥٠٠ أسير، و٤٤ ألف جريح.
- بدأت الحكومة الإيطالية تطبيق حظر كامل على التدخين في جميع الأماكن العمومية منذ يوم ١٠ يناير ٢٠٠٥م.
- كشف خبراء أميركيون في علم طبقات الأرض أن الزلزال الي ضرب آسيا أدى إلى اهتزز الأرض حول محورها وتحريك جزر «سومطرة» بسبب شدته. وقال الخبير «كين هودنوت إن الزلزال الذي بلغت قوته تسع درجات على مقياس ريختر ويقع مركزه على بعد ٢٥٠ كيلومتراً جنوب شرق «سومطرة»، أدى إلى إزاحة الجزر الأصغر في المنطقة نحو عشرين متراً.

الصينيون مليار و٣٠٠ مليون نسمة



أعلن المكتب الوطني للإحصاء في الصين أن تعداد سكان الصين سيصل إلى مليار و٣٠٠ مليون نسمة.

ونقلت وكالة الأنباء الصينية التي نشرت النبأ عن المكتب الوطني أن سياسة تحديد النسل التي تطبقها الحكومة أسفرت عن تراجع نسبة الولادات من ٢١,٠١ في الألف العام ١٩٩٠م إلى ١٢,١٤ في الألف العام ٢٠٠٣م.

وفي الوقت نفسه، تراجع النمو السكاني من ١٤,٣٩ إلى ٦,٠١ في الألف في السنة.

يشار إلى أن أغلبية سكان المدن أي نحو ٤٠٪ من الصينيين ليس لديهم سوى طفل واحد أو ليس لديهم أطفال على الإطلاق.

ويسمح للفلاحين بأن ينجبوا مولوداً ثانياً إذا كان الأول أنثى.

وقال مسؤول في المكتب الوطني للإحصاء: إن الصين «تبذل جهوداً مستمرة لخفض النمو السكاني منذ ثلاثين عاماً لكنها تواجه تحديات جديدة وصعبة».

ومع ارتفاع معدل العمر تتسارع شيخوخة السكان، بينما باتت أعداد الذكور التي تفوق كثيراً أعداد الإناث تطرح مشكلة خطيرة ناجمة عن ثقافة الصينيين التي تفضل الذكور وتلجأ إلى الإجهاض لانتقاء المواليد رغم أن القانون يمنع ذلك.

ويفضل معظم الريفيين الذين لا يحظون بأي تقاعد إنجاب الذكور ليؤمنوا شيخوختهم لأن البنات عندما يتزوجن يلتحقن بعائلة الزوج.

ملك بلجيكا يدعم حجاب موظفة مسلمة

أبدى ملك بلجيكا «ألبرت الثاني» تضامنه مع رئيس شركة بلجيكية تلقى تهديدات بالقتل لدفاعه عن حق إحدى الموظفات المسلمات في ارتداء حجابها، وجاء في بيان صادر عن القصر الملكي أن الملك سيستقبل «ريك ريميري» الذي يرأس شركة مواد غذائية مع موظفته «نعيمة أمزيل». وقال البيان: إن الملك «ألبرت الثاني» يتابع عن كثب تطورات القضية، وأنه معجب بقرار المدير عدم الرضوخ للضغوط.

١٨ ألف جثة استخرجت من المقابر الجماعية في البوسنة

أكد مصدر بوسني مسؤول أن عدد الجثث التي تم استخراجها حتى أول يوم في العام الميلادي الجديد ٢٠٠٥ يصل إلى ١٨ ألف جثة، وقال «عمر ماشوفيتش» رئيس اللجنة البوسنية للبحث عن المفقودين: إن الجثث تم استخراجها من ٣٦٣ مقبرة جماعية في البوسنة، مشيراً إلى أنه «تم العثور على ٢٨٠٠ مقبرة، منذ العام ١٩٩٦م وحتى الآن»، وتابع: «أكبر عدد من الضحايا تم العثور عليه في مقبرة جماعية واحدة حتى هذا التاريخ هو ٦٢٩ في مقبرة «تسرني فره» في بلدية «أوسماتسي» (شرق البوسنة).

٦,٨٦٢ مليون نسمة تعداد سكان الكيان الصهيوني



أعلن مكتب القدس المركزي للإحصاءات في تقرير نشره لمناسبة نهاية السنة، أن إسرائيل تضم حالياً ٦,٨٦٢ مليون نسمة. ويشكل اليهود ٧٦٪ من هؤلاء السكان ويبلغ تعدادهم ٥,٢٣٥ مليون، بينما يبلغ عدد العرب ١,٣٣٧ مليون شخص ويشكلون ٢٠٪ من السكان بينهم ٢٠٠ ألف فلسطيني في القدس الشرقية، و١٨ ألفاً من السكان السوريين الذين يشكل الدروز معظمهم في هضبة الجولان المحتلة. وارتفع تعداد سكان إسرائيل إلى ١١٤ ألف نسمة، أي بنسبة ١,٧٪ فقط على مدى الأشهر الـ(١٢) الماضية. كما تضم إسرائيل (٢٩٠) ألف شخص غير يهودي (٤٪ من مجمل السكان) أصولهم جميعاً تقريباً من الاتحاد السوفيتي السابق.

وهي الزيادة الإجمالية الأقل التي تسجلها إسرائيل منذ العام ١٩٨٩م بسبب التراجع المستمر في الهجرة اليهودية إلى إسرائيل، فقد وصل في العام ٢٠٠٤م إلى الدولة العبرية (٢١٧٤٤) مهاجراً، مقابل ٢٥ ألفاً في العام ٢٠٠٣م، حسب أرقام الوكالة اليهودية، الهيئة شبه الحكومية المكلفة: هجرة يهود الشتات إلى إسرائيل.

أما تعداد الوافدين من الولايات المتحدة وفرنسا، فزاد بنسبة ٢٠٪، لكنه ما زال ضئيلاً.

حملة صهيونية لتوطين اللاجئين الفلسطينيين في البلاد المجاورة

بدأت وزارة الخارجية الصهيونية الإعداد لتحرك دبلوماسي لدى دول عربية وأوروبية للحصول على دعم لخطة أعدتها لتوطين اللاجئين الفلسطينيين - حيث يقيمون - وتذويبهم في المجتمعات العربية، وتحسين الخدمات والمرافق المقدمة لهم وإزالة أسباب شكواهم من الإقامات الموقتة بالمخيمات.

ووفقاً لجريدة «البيان» الإماراتية، فإن لاجئي العام ١٩٤٨م - مع أبنائهم وأحفادهم - ويبلغ تعدادهم ملايين عدة بينهم ٣,١ مليون لاجئ لا يزالون موزعين على ٥٩ مخيماً في الضفة الغربية وقطاع غزة، وعدد من دول الجوار الأردن وسورية ولبنان، وهي المخيمات التي تخضع لوكالة «غوث وتشغيل اللاجئين» «الأونروا» التابعة للأمم المتحدة.

وأضافت الجريدة أن «إسرائيل» تضغط بقوة من أجل استخدام نسبة الزيادة في موازنة «الأونروا» للعام الجديد ٢٠٠٥ بمبلغ ٣٣٩ مليون دولار وبنسبة قدرها ٢,٧٪ عن العام المنصرم لتحويل هذه الزيادة لإقامة مساكن ثابتة لتوطين اللاجئين.

ولادة كل ٨ ثوان في أميركا

أعلن مكتب الإحصاء الأميركي أن عدد سكان الولايات المتحدة سيتجاوز المئتين وخمسة وتسعين مليون نسمة مع بداية العام ٢٠٠٥م.

وذكرت مصادر إعلامية أن عدد سكان الولايات المتحدة سيزداد بمعدل شخص كل اثنتي عشرة ثانية على أن تحصل ولادة كل ثماني ثوان، ووفاة كل ثلاث عشرة ثانية... فيما ستكون الزيادة الناتجة من الهجرة شخصاً كل ست وعشرين ثانية.

تركيا: الجيش يحذر من خطة لتنصير ١٠٪ المواطنين

حذر تقرير للجيش التركي من وجود خطة لتنصير ١٠٪ من الشعب التركي بحلول العام ٢٠٢٠م، مستغلين الفراغ الروحي الذي يعاني منه الشباب التركي نتيجة جهله بالشعائر الأساسية للدين الإسلامي.

ونشرت صحيفة «مان» التركية في عددها الصادر الجمعة ٢٠٠٤/١٢/٣١م فقرات من التقرير الذي حمل عنوان: «الأنشطة التنصيرية في تركيا والعالم»، وجاء فيه أن جماعة تنصيرية تخطط لتنصير ١٠٪ من الأتراك الذين يدين ٩٩٪ منهم بالإسلام.

وأشارت الصحيفة إلى أن هؤلاء المنصّرين يعتزمون توزيع أكثر من مليون نسخة من الإنجيل بين أفراد الشعب التركي خلال الـ«١٦» عاماً المقبلة لتحقيق هدفهم.

وذكر التقرير أن المنصّرين البروتستانتيين يعتزمون إنشاء معهد ديني لإعداد جيل من علماء اللاهوت في تركيا.

وقال التقرير: إن «١٥ ألف تركي تحولوا إلى الديانة المسيحية، وإلى طوائف أخرى مثل البهائية، خلال السنوات القليلة الماضية».

وأضاف أن ١٨٥ مسلماً تحولوا بشكل رسمي إلى المسيحية، وواحد فقط إلى اليهودية خلال السنوات الثلاث الماضية.

وقالت الصحيفة: إنه «لا يوجد قانون في تركيا يمنع - بشكل واضح - عمليات التنصير والتحول الديني». ويقدر تعداد سكان تركيا بـ٧١ مليون نسمة، ٩٩٪ منهم مسلمون أغلبهم من السنة، ويوجد فيها ٦٩ كنيسة غير رسمية، وأماكن عبادة لغير المسلمين، تضم ٤٧ كنيسة للبروتستانت، و٩ معابد للبهائيين، و١٣ معبداً لحركة «شهود يهوه».

والله أعلم

تنازل الأم عن نفقة أولادها

هل يحق للمرأة أن تتنازل عن نفقة أولادها؟

ـ أجابت اللجنة: إن للأم أن تتنازل عن نفقة أولادها لمن تجب عليه إذا كانت مليئة، وتعهدت بالإنفاق عليهم.

التعامل ببطاقة الصرف الآلي

أرجو بيان مدى شرعية استخدام بطاقة الائتمان.

واطلعت اللجنة على سؤال مماثل ونصه ما يلي:

ـ هل يجوز التعامل بـCREDIT CARD مثل DINERS CLUB وما حدود هذا التعامل؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز التعامل بمثل هذه البطاقات في كلتا الحالين:

أ ـ ألا تتضمن شروط التعامل بها شرطاً بدفع فوائد ربوية عند التأخير.

ب ـ إذا كان هناك شرط بدفع فوائد عند التأخير فلا يجوز التعامل بها إلا إذا اتخذ المتعامل الأسباب الكافية لعدم وقوعه تحت طائلة هذا الشرط مثل: أن يدفع رصيداً سابقاً، أو يبادر إلى السداد أو يطلب تحويل الفواتير إلى المصرف الذي فيه حسابه لدفعها أولاً بأول، والغرض من هذا تحاشي اضطراره لدفع الفوائد.

أجرة حضانة الأولاد

سيدة كانت مسيحية واعتنقت الإسلام وتزوجت، أهملها زوجها وأساء معاملتها ورفض الإنفاق عليها وتسبب بنفوذه في فصلها من عملها في المدرسة الإنجليزية وكان يأخذ مرتبها ويمنعها من الاتصال بأهلها، وقد حصلت على حكم لصالحها، ولكي تعيش اضطرت إلى العمل في حضانة خاصة «مرفق مذكرة بتفصيل ما حصل منه من إهانات لها» وقد حصلت على الطلاق منه.

والسؤال: هل تستحق أجرة للأولاد وأجرة سكن حضانة لهم أم لا؟ نرجو إصدار الفتوى الشرعية في هذا الأمر وجزاكم الله خيراً.

ـ اطلعت اللجنة على طلبها، وقد سبق عرض أمرها على المحكمة وقضت بينهما فإذا جد أمر بينها وبين مطلقها فالفصل فيه للمحكمة، فإذا شاءت فعليها عرض أمرها على المحكمة، ولتفهم المستفتية بذلك.

وبالنسبة لما ذكرته أخيراً من استحقاقها أجرة حضانة للأولاد الذين في كنفها وأجرة مسكن حضانة لهم فإن المقرر شرعاً أن الحاضنة التي في كنفها المحضون، وهو في سن الحضانة تستحق أجرة نظير حضانته، وأجرة مسكن حضانة له بما يتفق وحال والده ما دامت منقضية العدة، هذا بالإضافة إلى نفقة الطعام والكسوة.

نفقة ابن المتوفى وزوجته

توفي زوجي وخلف طفلاً عمره أربعة أشهر، واستلمت الدية وقدرها ستة آلاف دينار كويتي، وبعد ست سنوات توفي الطفل بحادث سيارة أيضاً، واستلمت الدية وقدها عشرة آلاف، هنا ظهر عم الطفل يطالب بحقه في الميراث من أخيه وابنه.

أولاً: هل لي حق في المطالبة بنفقات تربية الابن المتوفى من تاريخ وفاة والده حتى وفاته؟

أجابت اللجنة بما يلي: إن الابن ورث من والده وصار ذا مال فنفقته في ماله، وليس للسائلة أن تأخذ نفقة للولد من دية أبيه.

ثانياً: هل لي حق في المطالبة بنفقات العدة وهي أربعة أشهر وعشرة أيام؟

أجابت اللجنة بما يلي: ليس للمتوفى عنها زوجها نفقة عدة بأكملها، ولها في مذهب المالكية السكنى فقط، إذا كان المسكن مملوكاً للزوج أو مستأجراً ودفع الأجرة قبل وفاته، وإلا فليس لها شيء.

الشك في الرضاع

ـ لقد حصل أن ملكت «عقدت» على ابنة عمي وبعد ذلك بعشرين يوماً جاءت زوجة أخي وأخبرت بأنها أرضعت زوجتي، فأنا انزعجت لذلك لأني تملكت على ابنة أخي ولما سألت والدة زوجتي نفت أن تكون زوجة أخي قد أرضعت زوجتي وقالت إن التي أرضعت زوجتك هي أخت زوجتك من أبيها وبعد ذلك ترددت زوجة أخي أن تكون قد أرضعت زوجتي ولكن زوجة أبي شهدت أنها سمعت زوجة أخي تقول إنها قد أرضعت زوجتي حينما كانت زوجتي صغيرة، فأرجو الإفادة وجزاكم الله خيراً.

ـ وسألته اللجنة ما يلي:

وضح ما تريد الاستفسار عنه؟ فأفاد السائل بما جاء في الطلب نفسه، وقال: لقد تملكت على «حسنة» ابنة عمي وبعد شهر أو أقل قالت زوجة أخي «دلال» بأنها أرضعت البنت أي «زوجتي» ولكن والدة البنت قالت: التي أرضعت البنت هي أخت البنت من أبيها وليست زوجة أخيك.

ورأت اللجنة أن تحضر زوجة أخي المستفتي «دلال» لسماع أقوالها، وقد حضرت في الجلسة نفسها وسألتها اللجنة: عن شأن إرضاعها لـ«حسنة زوجة المستفتي فقالت: الذي يغلب على ظني أني لم أرضعها ولكني متأكدة من أني أرضعت أخاها الذي أكبر منها، وإن كنت أرضعتها فلم أرضعها إلا مرة واحدة وهذا الموضوع منذ ١٦ سنة، وقالت: إن الذي جعلني أخبر الزوج «فهداً» بالموضوع هو أنه لما سألني لِمَ لَمْ تزوجي إحدى بناتك لأخي فقلت له: كيف أزوجه من بناتي وأنا مرضعته وأخواته، وقالت أيضاً: إذا ما رضعت قبل فك إحرام البنت أنا ما رضعت.

ـ أجابت اللجنة بما يلي: بأن زوجة المستفتي «حسنة» حلال له ولم تحرم لأجل الرضاع لوجود الشك في أصل الرضاع مع رجحان عدمه كما قالت زوجة أخيه.

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها الى أهل الاختصاص للإجابة عليها.

هاتف مباشر
خدمة الفتوى داخل الكويت
149

من خارج دولة الكويت المفتاح الدولي 00965
244 44 05 / 242 29 34 / 246 69 14

فاكس:
245 25 30

آراء فقهية معاصرة

مفتي مصر يجيز التأمين التجاري على الحياة

أجازت دار الإفتاء المصرية عمل شركات التأمين التجاري ومنها التأمين على الأشخاص في سؤال تلقته الدار من إحدى شركات التأمين المصرية وحمل رقم ١١٣٩، وذلك على خلاف فتوى الأزهر الشهيرة العام ١٩٨٩م، التي حرَّم فيها عمل هذه الشركات.

قال مفتي مصر الدكتور «علي جمعة» في الفتوى: إنه لما كان التأمين بأنواعه المختلفة من المعاملات المستحدثة التي لم يرد بشأنها نص شرعي بالحل أو الحرمة شأنه في ذلك شأن معاملات البنوك.. فقد خضع التعامل به لاجتهاد العلماء وأبحاثهم المستنبطة من بعض النصوص في عمومها مثل قوله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب) المائدة:٢، وكقوله صلى الله عليه وسلم: «مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»، وأضاف: «التأمين على ثلاثة أنواع: الأول: هو التأمين التبادلي وتقوم به مجموعة من الأفراد أو الجمعيات لتعويض الأضرار التي تلحق بعضهم، والثاني: وهو تأمين من يعتمدون في حياتهم على كسب عملهم من الأخطار التي يتعرضون لها، ويقوم على أساس فكرة التكافل الاجتماعي وتقوم به الدولة، والثالث: وهو التأمين التجاري وتقوم به شركات مساهمة تنشأ لهذا الغرض.

ويشير «جمعة» إلى أن النوعين الأول والثاني يكاد الإجماع يكون منعقداً من العلماء على أنهما موافقان لمبادئ الشريعة الإسلامية لكونهما تبرعاً في الأصل، وتعاوناً على البر والتقوى وتحقيقاً لمبدأ التكافل الاجتماعي والتعاون بين المسلمين من دون قصد للربح، ولا تفسدهما الجهالة ولا الضرر ولا تعتبر زيادة مبلغ التأمين فيهما عن الاشتراكات المدفوعة ربا... لأن هذه الأقساط ليست في مقابل الأجل وإنما هي تبرع لتعويض أضرار الخطر.

وتابع: أما التأمين التجاري.. ومنه التأمين على الأشخاص فقد اشتد الخلاف حوله فبينما يرى فريق من العلماء أن هذا النوع من التعامل حرام لما يكتنفه من الضرر المنهي عنه ولما يتضمنه من القمار والمراهنة والربا، يرى فريق آخر أن التأمين التجاري جائز وليس فيه ما يخالف الشريعة الإسلامية.. لأنه قائم على أساس التكافل الاجتماعي والتعاون على البر، وأنه تبرع في الأصل وليس معارضة، عن عقد التأمين على الحياة كأحد أنواع التأمين التجاري يقول مفتي مصر الدكتور «علي جمعة» في فتواه: هذا العقد ليس من عقود الغرر المحرَّمة، لأنه عقد تبرع وليس عقد معارضة.. فيفسده الغرر لأن الغرر فيه لا يفضي إلى نزاع بين أطرافه لكثرة تعامل الناس به، وشيوعه فيهم وانتشاره في كل مجالات نشاطهم الاقتصادي، فما ألفه الناس ورضوا به دون ترتب نزاع حوله يكون غير منهي عنه، مشيراً إلى أن الغرر يتصور حينما يكون العقد فردياً بين الشخص والشركة، أما وقد أصبح التأمين في جميع المجالات الاقتصادية وأصبحت الشركات هي التي تقوم بالتأمين الجماعي لمن يعملون لديها وصار كل إنسان يعرف مقدماً مقدار ما سيدفعه وما سيحصل عليه فهنا لا يتصور وجود الغرر الفاحش المنهي عنه كما لا يوجد في عقد التأمين التجاري شبهة القمار... لأن المقامرة تقوم على الحظر في حين أن التأمين يقوم على أسس منضبطة وعلى حسابات مدروسة ومحسوبة.



الدكتور «علي جمعة

نقل الأعضاء مسموح شرعاً ما عدا مرضى جذع المخ

أكد المؤتمر الطبي السنوي الخامس عشر لنقل الأعضاء، جواز نقل الأعضاء من المتوفى وفاة شرعية «موتاً حقيقياً» إلى الحي ومن الحي إلى الحي طالما أن الشرع يقره والقانون ينظمه، كما أكد المؤتمر أن ما يسمى بموت جذع المخ لا يعتبر موتاً حقيقياً، وبالتالي لا يسمح بنقل أي عضو من مريض يعاني من هذه الحال.

ودعا المؤتمر الذي نظمته كلية طب بنين الأزهر وعقد تحت شعار «نقل الأعضاء - الممارسة والتقويم» وافتتحه الدكتور «محمد سيد طنطاوي» شيخ الأزهر إلى سرعة اتخاذ الإجراءات اللازمة نحو إصدار القرارات التشريعية والقانونية التي تنظم وتسهل إجراءات جراحات زرع ونقل الأعضاء المباحة شرعاً والمنظمة قانوناً.

ولفتت توصيات المؤتمر - الذي شارك فيها عدد كبير من الأساتذة من مختلف كليات الطب والمراكز العلمية والمتخصصين في نقل الأعضاء - إلى ضرورة منع تجارة الأعضاء تحت أي مسمى، حيث إن التبرع الحقيقي غير موجود إلا من الأم لأولادها أو من أقارب الدرجة الأولى أو بين الأزواج.

ودعت التوصيات إلى تشجيع ودعم عمليات زراعة الكلى والكبد وعمليات نقل القلب بطرق طبية وشرعية صحيحة والعمل على تدعيمها بكل الطرق والوسائل الطبية والشرعية الصحيحة التي تضمن حياة كريمة للمريض، مع الحرص على سلامة المتبرع ولكونها أصبحت مطلوبة جداً في مصر في الوقت الحالي وتوجد آلاف الحالات التي تحتاجها.

الهندسة النفسية



د. زيد بن محمد الرماني

مستشار وعضو هيئة التدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود

ليس أشق على الإنسان من مجاهدة النفس وتغيير مرذول طباعها، وتحليها بمكارم الأخلاق ومحاسن العادات وفضائل السلوك. فكل سلوك شخصي أو نمط خلقي وراءه خصيصة نفسية منظمة له ودافعه إليه، وحتى يستطيع الإنسان أن يتحكم في سلوكاته الشخصية ويرتقي بأخلاقه ويضبط تصرفاته، فلابد أن يلتفت قبل ذلك إلى الدوافع والخصائص النفسية.

فلاشك أن للإنسان طاقات محدودة لا يستطيع أن يبذل أكثر منها ولا أن يتحمل فوق قدرته، ولكن بعض الناس تحت إغراء كثرة الفرص المتاحة أو علو الهمة وزيادة الحيوية والنشاط يندفع للعمل فيحمّل نفسه فوق طاقتها، ما يؤدي إلى القلق والاضطراب وعدم الانتاج ويصبح كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.

ثم إن من أهم أسباب النجاح في الحياة إجادة صنع القرارات واتخاذها في الوقت المناسب في أي جانب من جوانب الحياة المختلفة، سواء في التعامل مع النفس أو التعامل مع الآخرين. فكثير من الناس يعملون ويجتهدون، ثم في لحظة حاسمة من مراحل عملهم يحتاجون لقرار صائب حاسم، لكنهم بترددهم وعدم إقدامهم، ربما يضيعون الفرص تلو الفرص.

لذا، يمكن القول: إن هناك عدداً من الخطوات الضرورية لصناعة القرار وبرمجة النفس وهندسة الذات، منها: جمع المعلومات الكاملة والصحيحة عن الموضوع المراد، ثم تحديد الخيارات الممكنة والمتاحة، مع ترجيح الأفضل من تلك الخيارات المختلفة، وتنويع البرامج وتنفيذها خطوة خطوة، واكتشاف الذات والتعامل بواقعية، مع الاستفادة من النقد في تصويب العمل وإصلاح النفس، ثم الاتصال مع الآخرين والتواصل مع المعرفة، وتعويد النفس على اكتساب المهارات الإثرائية.

ختاماً أقول: إن أول طريق النجاح في الحياة هو نجاح المرء في توجيه ذاته والتعامل مع نفسه بفاعلية وإن الفشل مع النفس يؤدي غالباً إلى الفشل في الحياة. فكم من جوهرة تخطف الأبصار بأصفى الأشعة وأبهاها مستكنة في أغوار المحيطات المظلمة ■

الموقع الرسمي لوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - دولة الكويت



islam.gov.kw

الربح أكيد معنا

عند الإشتراك أو تجديد اشتراكك بـ 7.500 د.ك في :

الوعي الإسلامي براعم الإيمان

احصل على هديتك فوراً

مجلتان في آن واحد

العديد من الجوائز القيمة

اتصل بنا الآن
844 044
يصلك مندوبنا





الجابرية - قطعة ٩ - شارع ٢٠ - منزل ١١
هاتف: ٨٤٤٠٤٤ فاكس: ٥٣٤٨٩٥٤

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع
الصحف والمطبوعات هاتف: ٤٨١٦٨٨٥